

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له : وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ، وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

1 آل عمران : ١٠٢ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا زَكُوا الَّذِي عَلَيْكُمْ وَعَلَىٰ آلِ أَبِي طَالِبٍ مِنْ نَفْسِهِمْ ذَرُوا مَنْ بَيْنَهُمْ وَأُولَٰئِكَ رَجَعُوا إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانٌ عَزِيزٌ رَحِيمٌ ﴾ .

1 النساء : ١١٠ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُكْفِرُوا بِهِ ، وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ أَسْفَلَ سَفَلٍ ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُكْفِرُوا بِهِ ، وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ أَسْفَلَ سَفَلٍ ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُكْفِرُوا بِهِ ، وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ أَسْفَلَ سَفَلٍ ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُكْفِرُوا بِهِ ، وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ أَسْفَلَ سَفَلٍ ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُكْفِرُوا بِهِ ، وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ أَسْفَلَ سَفَلٍ ﴾ .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِنَ النَّبِيِّينَ الْوَعْدَ الْأَخِيرَ أَنْ لَا يَدْعُونَ بِسْمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ يُدْعُونَ الْأَلَهَاءَ الْأُخْرَىٰ وَأَنْتُمْ لَا تعلمون ﴾ . 1 آل عمران : ١٧٧ .

هذه الآية وإن نزلت في أهل الكتاب إلا أنه كما هو معلوم العمرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ؛ قال الحافظ ابن كثير :

هنا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم ، فيصتبهوا ما أصابهم ، ويسلك بهم مسلكهم . فعلى العلماء أن يدللوا ما بأيديهم من العلم النافع ، الدال على العمل

وقد حذرنا النبي ﷺ بأن الله تبارك وتعالى سائل كلنا منا يوم القيامة عن علمه وماذا عمل فيه . فقد روى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تقول قديماً عبيد يوم القيامة حتى يسأل عن خمس خصائص : عن عمره فيم أفناه ، وعن شيابه فتم أبلأه ، وماله من أين اكتسبه ، وفيما أنفقه ، وماذا عمل فيما علم »<sup>(١٦)</sup> .

وعن الشعبي أنه قال : « يتطلع قوم من أهل الجنة إلى قوم من أهل النار فيقولون : ما أدخلكم النار ؟ وإنما أدخلنا الجنة بفضل تاديبكم وتعاليمكم . قالوا : إنا كنا نأمركم بالخير ولا نمنعه »<sup>(١٧)</sup> .

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر : قد ذم الله عز وجل في كتابه قوما كانوا يأمرون الناس بأعمال البر ولا يعملون بها ذمًا ، وروى عنهم الله به توبيخًا يتلى في طول الدهر إلى يوم القيامة ، فقال تعالى : « أَتَأْتِرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ لَا نَبْرَئُ إِلَّا قَلِيلًا مَقْتُولُونَ »<sup>(١٨)</sup> .

وعن عبد الله بن عكيم قال : « سمعت ابن مسعود بدأ باليمين قبل الحديث فقال : والله ما منكم من أحد إلا سيخو به ربه كما يخو أحدكم بالقرء ليلة البدر - أو قال : لليلة - ثم يقول : يا ابن آدم ! ما غررك بي ؟ يا ابن آدم ! ما غررك بي ؟ ما عملت فيما علمت ؟ يا ابن آدم ! ماذا أجيبت المرسلين ؟ »<sup>(١٩)</sup> .

(١) أخرجه الترمذي [٢٤١٦] وقال حديث حسن صحيح . وقال الأباي في صحيح الترمذي [١٩٦٩] : حسن . والطبراني في الكبير [٨/٩٧٧٢/١٠] ، والصغير [٤٧٤] ، واللفظ له .

(٢) ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله [٧٧٤/صحيح] ، وأبو نعيم في الحلية [٣١٦/٤] ، بلنظ : يشرف قوم دخلوا الجنة على قوم دخلوا النار فيقولون : ما لكم في النار ؟ وإنما كنا نعمل بما تعلمون . فيقولون : إنا كنا نعلمكم ولا نعمل به .

(٣) ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله [٧٩٦/صحيح] .

الصالح ، ولا يكتموا منه شيئاً ، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ أنه قال : « من شغل عن علم فكتمه ألبس يوم القيامة بلجام من نار »<sup>(٢٠)</sup> .

وكان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه يقول : « لا آيات في كتاب الله عز وجل ما حدثتكم شيئاً ، إن الله تعالى يقول : « هُوَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَتَاكُمْ مِنْ أَنْبِئَاتٍ وَاللَّيْكُنَّ فِي الْبُؤْرَةِ »<sup>(٢١)</sup> . فله الآية والتي تليها ، ثم قال : إن الناس يقولون : أكثر أبو هريرة . وذكر الحديث<sup>(٢٢)</sup> .

وقد دعا النبي ﷺ لمن يبلغ دعوته للناس فقال صلوات الله وسلامه عليه : « نضر الله امرؤاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يُلغىء نوبت حامله فته إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه »<sup>(٢٣)</sup> .

وقال النبي ﷺ : « من كان همه الآخرة جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة ، ومن كانت نيته الدنيا فزوق الله عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتب له »<sup>(٢٤)</sup> .

(١) أخرجه أحمد في المسند [٢٢١٢/٢] ، وقال الشيخ شاكر [٧٥٦١] : صحيح . من حديث أبي هريرة .

(٢) أخرجه البخاري [١١٨٨] ، ومسلم [٢٤٩٢] ، والسنائي في الكبرى [٥٨٦٧] ، وأحمد في المسند [٢٤٠/٢] .

(٣) رواه أبو داود [٣٦٦٠] وصححه الأباي في صحيح أبي حازم [٣١٠٨] عن زيد ابن ثابت رضي الله تعالى عنه .

(٤) أخرجه أحمد [١٧٨٣/٥] ، والترمذي [٢٦٥٨] ، وأبو داود [٣٦٦٠] ، وصححه الأباي في صحيح الترمذي [٢١٤٠] ، وابن حبان [٦٩١٦٦] ، وقال الأرنؤوط : إسناده حسن . وذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله [٦٦/صحيح] .

الإجماع ويلم بيقين أنه ليس فيه منافع من المؤمنين أصلاً ، فهنا يجب القطع بأنه حق ، وهذا لا بد أن يكون ما بين فيه الرسول الهدي ، كما قد يسط هنا في موضع آخر . ومن جهة أنه إذا وصف الواجب بصفات متلازمة دل على أن كل صفة من تلك الصفات متى ظهرت يجب اتباعها ، وهذا مثل الصراط المستقيم الذي أمرنا الله بسؤال هدايته ، وأنه قد وصف بأنه الإسلام ، ووصف بأنه اتباع القرآن ، ووصف بأنه طاعة الله ورسوله ، ووصف بأنه طريق العبودية : ومعلوم أن كل اسم من هذه الأسماء يجب اتباعه وسماها كلها واحد وإن تفرقت صفاته ، فأي صفة ظهرت يجب اتباع مدلولها فإنه مدلول الأخرى . وكذلك أسماء الله تعالى وأسماء كتابه وأسماء رسوله هي مثل أسماء دينه . وكذلك قوله تعالى : ﴿ هُوَ فَاتَّخِذْنَا مِنَّا جَمِيعًا وَلَا تَتَّخِذْنَا مِنَّا جَمِيعًا ﴾ . حمل الله هو دين الإسلام ، وقيل القرآن ، وقيل عهده ، وقيل طاعته وأمره ، وقيل الجماعة المسلمون ، وكل هذا حق .

وكذلك إذا قلنا الكتاب والسنة والإجماع فمدلول الثلاثة واحد ، فإن كل ما في الكتاب فالرسول موافق له ، والأمة مجمعة عليه من حيث الجملة ، وليس في المؤمنين إلا من يوجب اتباع الكتاب ، وكذلك كل ما سه الرسول ﷺ ، فالقرآن يأمر باتباعه فيه ، والمؤمنون مجمعون على ذلك ، وكذلك كل ما أجمع عليه المسلمون فإنه لا يكون إلا حقاً موافقاً لما في الكتاب والسنة ، لكن المسلمين يطبقون دينهم كله عن الرسول ، وأما الرسول فيقول عليه وحي هو القرآن ، وحي آخر هو الحكمة ، كما قال ﷺ : والأبي أوتيت الكتاب ومثل معه <sup>(١)</sup> .

وقال حسان بن عطية : كان جبريل يقول على النبي ﷺ بالسنة فيعلمه إياها كما يعلمه القرآن ، وليس كل ما جاءت به السنة يجب أن يكون مفصلاً للقرآن ، بخلاف ما يقول أهل الإجماع ، فإنه لا بد أن يدل عليه الكتاب والسنة ، فإن الرسول هو الواسط بينهم وبين الله في أمره ، ونهيه ، وتحليله وتجزئته . والقمرود ذكر الإجماع .

كتاب الإيمان [٣٨:٣١٦] .

(١) جزء من حديث أخرجه أحمد في المسند [١:٣١٦/٤] ، وأبو داود [٤:٤٦٠٤] وصححه الألباني في صحيح أبي داود [٣٨٤٨] .

وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه : إن أخوف ما أخاف إذا وقفت على الحساب أن يقال لي : قد علمت فسأذا علمت فيما علمت م <sup>(١)</sup> .

وخرج أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال : ولا أخاف أن يقال لي يوم القيامة : يا أبا الدرداء ما علمت فيما جهلت ، ولكن أخاف أن يقال لي : يا عويمر ما إذا علمت فيما علمت <sup>(٢)</sup> .

ومعلوم أن مصادر معرفة أحكام الشرع أربعة ، كما قال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه : وليس لأحد أن يقول في شيء حلال ولا حرام ، إلا من جهة العلم . وجهة العلم ما نص في الكتاب ، أو في السنة ، أو في الإجماع ، أو القياس على هذه الأصول ما في معناها <sup>(٣)</sup> .

ثم قال ابن عبد البر : وأما الإجماع فمأخوذ من قول الله : ﴿ هُوَ وَمَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِهِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْتَوْبِيحِينَ قَوْلُهُ مَا تَوَكَّلْ عَلَىٰ سَبِيلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥] . لأن الاختلاف لا يصح معه هذا الظاهر <sup>(٣)</sup> .

(١) للعصر السابق [٧٩٧] .  
(٢) للعصر السابق [٨٠٠] .

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وهذه الآية تدل على أن إجماع المؤمنين حجة من جهة أن مخالفتهم مستزمنة مخالفة لرسول ، وأن كل ما أجمعوا عليه فلا بد أن يكون فيه نص عن الرسول فكل مسألة يقطع بها بالإجماع وينقله للنارح من المؤمنين فإنها ما بين الله فيه الهدي ، ومخالف مثل هذا الإجماع يكفر كما يكفر مخالف النص البين ، وأما إذا كان يعنى الإجماع ولا يقطع به ، فهذا قد لا يقطع أيضاً بأنها ما بين الله فيه الهدي من جهة الرسول ، ومخالف مثل هذا الإجماع قد لا يكفر ، بل قد يكون ظن الإجماع خطأ ، والصواب في خلاف هذا القول ، وهذا هو فصل الخطاب فيما يكفر به من مخالفة الإجماع وما لا يكفر .

والإجماع هل هو قطعي الدلالة أو ظني الدلالة ؟ فإن من الناس من يطلق الإثبات بهذا أو علنا ، ومنهم من يطلق لفظ لهذا ولهذا ، والصواب التفصيل بين ما يقطع به من =

ومنا حالنا شاهد علينا . وصدق الله العظيم : **هُوَ آوَى لَنَا أَسْبَابَكُمْ مُصِيبَةً قَدِ**

**أَصَبْتُمْ يُفَاتِحًا قَاتِمًا إِنَّ هَذَا قُلٌ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ** ﴿١﴾ .

وقوله تعالى : **هُوَ وَآؤَاتِ أَسْبَابِكُمْ مِنْ مُصِيبِكُمْ قِيمًا كَكَيْتَ آيَاتِكُمْ وَيَعْمُوا عَنْ**

**كَيْبِيرٍ** ﴿٢﴾ [التورى : ٢٢٠] .

ومثال ذلك : اعتبار مسألة تكفير الناس التى هى من أثر البدع وأخطمها ،

وأولها ما ألقاه الشيطان فى قلب المسلم حين كبرت الجوارح الإمام علياً رضى

الله تعالى عنه بعد حادثة التحكيم المشهورة .

وجعلت المترلة المؤمنين بالله ورسوله الخالفين لهم فى مقدم الباطل فى منزلة

بين البرلئين فلا هم مع الكفار ولا هم مع المؤمنين ، وحكموا عليهم بالخلود فى

النار ، ثم انتشرت جماعات الضلال فى العالم الإسلامى كله من أقصاه إلى أقصاه

تكفر وتفسق وتبدع وفق هوى شيطاني لا وفق منهج رباني ، وبالتقابل نبت نبتة

شيطانية أخرى : تكبر ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، وترد أحكام الله تعالى

وترفض هدى رسوله ﷺ وتتاول بالتحريج والسب خير القرون . وهذه النبتة

الشيطانية قسمان :

قسم أعلن تحديه الصريح ورفضه القاطع لكل ما هو إسلامى . ولم يفرق بين غالب

ومعتدل ، والقسم الآخر آآ رأى من الشهرة التى حققها القسم الأول وتألفت

الكارهين والحاقدين له وفتح أبواب بلادهم وجامعاتهم لترصمه .. زين لهم

البيضان أعمالهم وأغراهم فذهبوا المقاتلات وصنفا الكذب على طريقة وضع السم

فى العسل ؛ وإذا كان القسم الأول رفض الكل فهو لاء رفضوا الجزء ، أو تقولوا

على الله وكتابه ورسوله بغير علم ولا هدى ؛ منهم من ضرب آيات القرآن بعضها

ببعض ، أو القرآن بالحديث . ولا يخفى على كل ذى فطنة أن الإيمان بجزء والكفر

بجزء هو كفر بالكل .

وقول النبى ﷺ : « لا تجتمع أمتى على ضلالة »<sup>(١١)</sup> .

وعسى - والكلام لابن عبد البر - أن إجماع الصحابة لا يجوز خلافهم فيه ،

والله أعلم ، لأنه لا يجوز على جميعهم جهل التاويل .

وكان قد اصحح للأصلين الأربن بأحاديث صحيحة أشهرها : « تركت فيكم

أميرين لن تضلوا ما تمسكتن بهما » : كتاب الله ورسنة نبيه ﷺ<sup>(١٢)</sup> .

ولا بعدت الأمة عن دينها ، تنسبت عليها الأمور ، وظهرت الأوجاء والبدع

وتفرق المسلمون وتحقق فيهم قول النبى ﷺ : « إن بنى إسرائيل افرقت على

إحدى وسبعين فرقة . وإن أمتى ستفرق على ثنتين وسبعين فرقة كلها فى النار

إلا واحدة وهى الجماعة »<sup>(١٣)</sup> .

وبدل كثير من المسلمين نعمة الله كبرياً ، وأحاروا قومهم دار النوار فغير الله ما بهم

من ألفة ورسحة وتكاليب عليهم الأثم كما تكاليب الأكلة إلى قصمها<sup>(١٤)</sup> .

(١١) أخرجه الترمذى [٢١٦٧] بإلفظ : « إن الله لا يجمع أمتى - أو قال : أنه محمد ﷺ -

على ضلالة ، وبد الله مع الجماعة ، ومن شذ شذ إلى النار » . وقال : حديث غريب من

هذا الوجه . وذكره الألبانى فى صحيح الترمذى [١٧٥٩] وقال : صحيح دون ؛ ومن

يشذ ... وانظر صحيح الجامع [١٨٤٨] ، وشكاة الصايح [١٧٤١٧٢] ، وضعيف

ابن ماجه [٨٥٦] ، وذكره السيوطى فى الدرر اللبيرة فى الأحاديث المشهورة [٤٦٠] .

(١٢) أخرجه مالك فى الموطأ - كتاب القبر [٣] .

(١٣) أخرجه أبو داود [٤٥٩٦] ، والترمذى [٢١٤٠] وقال : حديث حسن صحيح ،

وإن ماجه [٣٩٩٣] واللفظ له ، وصححه الألبانى فى صحيح ابن ماجه [٣١١٧] ،

كلهم عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(١٤) عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « يوشك الأمم أن تتناهى

عليكم كما تتناهى الأكلة إلى قصمها » قال قائل : ومن قبذ نحن يومئذ ؟ قال : « بل

أثم يومئذ كبير ، ولكنكم غناه كغناه السبل ، وليرضى الله من صدور عدوكم الهابة

منكم ، ويليقن الله فى قلوبكم الرحمن » . قال قائل : يا رسول الله ، وما الرحمن ؟ قال :

« حب الدنيا وكرهية الموت » . أخرجه أبو داود [٤٢٩٧] واللفظ له ، وأحمد فى المسند

[٤٧٨/٥] . وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود [٣٦١٠] .

حتى أن مجرد الحجاب ولو كان « موردن » على طريقة هذه الأيام أو الأذان للصلاة في أماكن العمل ، والذهاب لها جماعة في المسجد تطرف يستحق من الدولة أن تنكّل به ، وسيخر لهذا الفريق الحاقداً الجاسداً المأجور الكثير من أجهزة الإعلام الرسمية والخاصة ولولا لطف الله تعالى بنا ، وحكمة أولى الأمر وتخليهم بالإيمان وتفريقهم بين الصالح والطالح وما نعرفه عنهم من تمسكهم بدينهم ومجاافتهم عليه ، لاندرس الإسلام في هذا البلد العظيم .

ولقد فشى هذا الفكر المنحرف وتلقفته الأيدي الكارئة للإسلام ورجحته ورجحته التي هو عليها الآن ، فصار هؤلاء المضلون وكأنهم رموز الفكر الإسلامي وقادته وظن العامة والدهماء ، وللأسف بعض المثقفين ، أن فيهم خيراً !

كلا .. هؤلاء مثلهم مثل الأرض الشبحة التي لا تُنبِت ، فهي لا تنتفع بالماء ولا تمسكه لينتفع به غيرها ؛ والمعنى : أن هؤلاء الناس ليست لهم قلوب حافظة ولا أفعال واعية ، فإذا سمعوا العلم لا ينتفعون به ، ولا يحفظونه لنفع غيرهم . وفي الحديث : « مثل ما بعثى الله عز وجل به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها بُقعةً قِيلَت الماء فأنبتت الكلاَ والعشب الكثير ، وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا وسقوا وزرعوا .. وكانت منها طائفة لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً . وذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله به ف يعلم به وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » (١) .

(١) أخرجه البخارى [٧٩] واللفظ له ، ومسلم [٢٢٨٢] ، والنسائي في الكبرى [٥٨٤٣] ، وأحمد [٣٩٩/٤] ، وأبو يعلى في مسنده [٧٣١/١٣] .

قال الحافظ : ضرب النبي ﷺ لا جاء به من الدين مثلاً بالغيت العام الذي يأتي في حال حاجتهم إليه ، وكذا كان الناس قبل مبعثه ، فكما أن الغيث يحيى البلد الميت فكذا علوم الدين يحيى القلب الميت .

مقدمة

ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل عليها الغيث ، فستهم العالم العامل المسلم . فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت فانضمت في نفسها وأبنت فنضمت غيرها . ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعمل بتواضعه أو لم يتفقه فيما جمع لكنه أداه لغيره ، فهو بمنزلة الأرض التي يسقر فيها الماء فيتبع الناس به ، وهو المشاء إليه بقوله : « نضر الله

امرأاً سمع مقالتي فادّأها كما سمعها » (١) .

ومنهم من يسع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره ، فهو بمنزلة الأرض السبخة أو اللساء التي لا تقبل الماء أو تقسده على غيرها .

وأما جمع المثل بين الطائفتين الأولين المحمودتين لأشير أكهما في الانضاج بهما ، وأورد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها . والله أعلم .

ثم ظهر لي أن نى كل حل طائفتين . فالأول قد أروض حواه ، والثاني الأولى منه من دخل في الدين ولم يسع العلم أو سمعه فلم يعمل به ولم يعلمه ، ومثالها من الأرض الشبحة وأشير إليها بقوله ﷺ : « من لم يرفع بذلك رأساً ، أى أعرض عنه فلم ينتفع به ولا نفع . والثانية منه : من لم يدخل في الدين أصلاً ، بل بلغه فكفر به ، ومثالها من الأرض الصماء اللساء المستوية التي يمر عليها الماء فلا يتبع به ، وأشير إليها بقوله ﷺ : « ولم يقبل هدى الله الذي جئت به » .

وقال الطيبي : بقى من أنسام الناس قسمان :

أحدهما : الذي انتفع بالعلم في نفسه ولم يعلمه غيره .

والثاني : من لم ينتفع به في نفسه وعلمه غيره .

قلت : والأول داخل في الأول لأن النفع حصل في الجملة وإن تفاوتت مراتبه ، وكذلك ما تنبئه الأرض ، فمنه ما ينتفع الناس به ومنه ما يصير هشيماً .

وأما الثاني : فإن كان قد عمل الفرائض ، وأعمل التواضع ، فقد دخل في الثاني - كما قرره - وإن ترك الفرائض أيضاً ؛ فهو فاسق لا يجوز الأخذ عنه ، ولعله يدخل في عموم : « من لم يرفع بذلك رأساً ، والله أعلم .

فتح الباري [٣٢٨/١] .

(١) رواه ابن ماجه [٢٣٠] ، والدرمي [٢٢٩] . وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه [١٨٧] وفيه : « فيهاها » عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه .

مقدمة

وقال رسول الله ﷺ : « إن من أشراط الساعة ثلاثاً : إحداهن أن يلتمس العلم عند الأصاغر » .

قال نعيم : قيل لابن المبارك : من الأصاغر ؟ قال : الذين يقولون برأيتهم ؛ فأما صغير بجزى عن كبير فليس بصغير .

وذكر أبو عبيد في تذييل هذا الخبر عن ابن المبارك : « أنه كان يذهب بالأصاغر إلى أهل البلع ولا يذهب إلى السن » (١١) .

وعن ابن عباس رضی الله تعالى عنه قال : « البركة مع أكابرکم » (١٢) .  
وعند أحمد بسند جيد عن أنس مرفوعاً مثله .

وعند البرزبان طريق الشعبي عن مسروق عن عائمة قالت : « ذكر رسول الله ﷺ الخواج

وقال : هم شرار أمي يقتلهم جبار أمي » وسنده حسن .  
وعن الطبراني من هذا الوجه مرفوعاً : هم شر الخلق والخليقة . يقتلهم خير الخلق والخليقة .

وفي حديث أبي سعيد عن أحمد : « هم شر البرية » .

وفي رواية عبيد الله بن أبي رافع عن علي بن عبد مسلم : « من أبيض خلق الله إليه »  
وفي حديث عبد الله بن حباب يعني عن أبيه عند الطبراني : « شر خلقي أفضلهم المساء

وأفضلهم الأرض » .

وفي حديث أبي أمامة نحوه .

وعند أحمد وابن أبي شيبة من حديث أبي بزة مرفوعاً في ذكر الخواج : « شر الخلق والخليقة . يقرؤها ثلاثاً » .

وعند ابن أبي شيبة من طريق عمر بن إسحق عن أبي هريرة : « هم شر الخلق » ومثلهما يزيد قول من قال بكفرهم .

(١١) أخرجه اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة [١٠٢/١] ، والطبراني في الكبير فتح الباري [٢٩٠/١٤] .

(١٢) أخرجه الألباني في الجمع في الضحى [١٣٥/١] .

(٢) أخرجه ابن حبان [٥٥٩] وقال : حكم الأوثوث ، والحاكم [١٢٢/١] وقال : والطبراني في الأوسط [٨٩١] . وعند البرزبان في مسنده [١٩٥٧] والخبر مع أكابرکم » .

وروى عن عبد الله بن مسعود رضی الله تعالى عنه أنه قال : « إنكم في زمان كثير فقهاؤه ، قليل خطباؤه ، قليل شؤلاه ، كثير معطوه ، العمل فيه قائد للهورى ، ويسأني من بعدكم زمان قليل فقهاؤه ، كثير خطباؤه ، كثير شؤلاه ، قليل معطوه ، الهورى فيه قائد للعمل ، اعلموا أن حسن الهامى - في آخر الزمان - خير من بعض العمل » (١١) .

وقد حدثنا رسولنا ﷺ من أنه في آخر الزمان سيخرج قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام (١٢) .

وكان ابن عمر رضی الله تعالى عنهما يراهم شرار خلق الله ، وقال : إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين (١٣) .

(١) أخرجه مالك في الموطأ ، كتاب السفر [٩١٤] ، والبخارى في الأدب المفرد [٧٨٩] ،

وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد [٢١٠٥] ، وانظر الصحيحة [٣١٨٩] ، والطبراني والطيبراني [٩٧/٥٦٧، ٩٤٩] ، وذكره الهيثمي في الجمع [١١٩٣/١] وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات .

(٢) أخرجه البخارى [٢١٩٣٠] من طريق رضی الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« في آخر الزمان أعتاك الأسنان شقياًة الأحلام يقولون من خير قول البرية ، لا يُجازر إيمانهم حناجرهم ، يترقون من الدين كما يترق السهم من الرية ، فأبسا لقتلهم فاطمروهم إن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة » .

(٣) قوله : « وكان ابن عمر يرأهم شرار خلق الله ... الخ » قال الخطاطب في الفتح : وصله الطبراني في مسند علي بن تهبذب الآثار من طريق بكير بن عبد الله بن الأشج أنه سأل نافعاً كيف كان رأى ابن عمر في الحزورية ؟ قال : كان يرأهم شرار خلق الله ، انطلقوا إلى آيات الكفار فجعلوها في المؤمنين . قلت : وسنده صحيح .

وقد ثبت في الحديث الصحيح الرفع عند مسلم من حديث أبي ذر في وصف الخواج :

« هم شرار الخلق والخليقة » .

والسنة والإجماع ؛ فهو علم يهلك به صاحبه ، ولا يكون حاصله إيماناً ولا أميناً ولا مرضياً كما قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ، وإلى هذا نزع أبو عبيد رحمه الله (١٧) .

وقال النرباضي : « كان سفيان إذا رأى هؤلاء البيط يكتبون العلم ويتغير وجهه فقلت له : يا أبا عبد الله : نراك إذا رأيت هؤلاء يكتبون العلم يشتد عليك فقال : « كان العلم في العرب وفي سادة الناس ؛ فإذا خرج عنهم وصل إلى هؤلاء - يعني البيط والسفلة - نُجِّرَ الدين (١٨) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : « كيف أنتم إذا لمستم فتنة يمر فيها الصغير ، ويعزم الكبير ، وتحذ شئنا متباعدة يجرى عليها الناس ؛ فإذا نُجِّرَ منها شئاً قيل : قد نُجِّرَت السنة ! قيل : منى ذلك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : إذا كثر وثاؤكم ، وقال قهواؤكم ، وكثر أمراؤكم ، وقال أمناؤكم ، ولتمست الدنيا بعمل الآخرة ، وثبَّتْهُ لغير الدين (١٩) .

هذا وما كان رسول الله ﷺ قد بايع أصحابه على التصح لكل مسلم ، والدين النصيحة ، ونحن لهم - إن شاء الله تعالى - تبع ، وعلى آثارهم مقتفون ؛ استمعت بالله تعالى ووضعت هذا الكتاب إصاراً إلى الله تعالى وبراءة للامة . فقد بلغ السيل الزوى ؛ إذ اعتاد فكر الخوارج من جديد ، وثبت فكر المعتزلة من مرقفة ؛ أكثر مما قد مات عليه ، فإنهم لم يتطاولوا على الله تعالى ولا على رسوله ولا على كتابه . كالدلي يدعي القلب الآن . وأنا لله وأنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

- (١) المصدر السابق [١٩٨] .  
(٢) صحيح جامع بيان العلم وفضله [٧٠٣] .  
(٣) المصدر السابق [٧٥٠] .

وكان عمرو رضي الله تعالى عنه يقول : ألا إن أضيق القيل : قيل الله ، وأحسن الهدى : هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، ألا إن الناس لم يزالوا بخير ما أتاهم العلم عن أكابرهم (١) .

وقال رضي الله تعالى عنه : قد علمت مني صلاح الناس ومنى فسادهم . إذا جاء الفقه من قبل الصغير استعصى عليه الكبير ، وإذا جاء الفقه من قبل الكبير تابعه الصغير فاعتبنا (٢) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم فإذا أخذوه عن صغارهم وشراهم هلكوا (٣) .

وعن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : إنكم لن تزالوا بخير ما دام العلم في كباركم ، فإذا كان العلم في صغاركم سئء الصغير الكبير (٤) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب رسول الله ﷺ ومن أكابرهم ؛ فإذا جاءهم العلم من قبل أصغارهم فذلك حين هلكوا (٥) .

قال أبو عمر عبد البر ، وقال بعض أهل العلم : إن الصغير المذكور في حديث عمر وما كان مثله من الأحاديث إنما يراد به الذي يُستفتى ولا علم عنده ، وإن كان الكبير هو العلم في أي شيء كان .

وقالوا : الجاهل صغير وإن كان شيخاً ، والعالم كبير وإن كان حدثاً (٦) .

يكن عن الصحابة كما جاء في حديث ابن مسعود ، ولا كان له أصل في القرآن .  
صحيح جامع بيان العلم وفضله [٢٠٣/١] أثر رقم [٢٨٩] .

- (١) المصدر السابق [٦٩] .  
(٢) المصدر السابق [١٩١] .  
(٣) المصدر السابق [٦٩٢] .  
(٤) صحيح جامع بيان العلم وفضله [٦٩٣] .  
(٥) المصدر السابق [١٩٤] .

## قتل الخراصون

كتاب الشفاعة أو إعطاء الكامل  
وهل هو عودة إلى عصر الإجماع ؟

- شهادات منكر الشفاعة والرد عليها .
- الشفاعة .. عند أهل الكتاب .
- الشفاعة .. وتحسن الظن بالله تعالى .
- الشفاعة .. والقام الضمرد .
- الشفاعة .. ومقام الأروية .
- الشفاعة .. أنواع .

هنا ما أردت أن أقدم به بين يدي كتابي هذا ؛ لعله يحفز العلماء للممارسة دورهم في إبلاغ دعوة الله للناس نقيه من الشوائب والبدع ، وأن يحذروا الناس من هؤلاء المفلين وما يحملونه من شر أو جهل لو تركوا لأفكالت الأخصر واليأس ، وتقط الناس من رحمة الله وبأسهم من عفوه .

وهذا الكتاب فيه محاولة وإن كانت بموافضة للفت الانتباه إلى الدين الحق ؛ قد رتبته على النحو التالي :

- ١ - مناقشة لأفكار واحد من رموز هذا الفكر والرد على شبهات المنكرين للشفاعة
  - ٢ - إثبات الشفاعة والرد على المعتزلة من تفسير الإمام الفخر الرازي .
  - ٣ - تفسير آيات الشفاعة من تفسير الشيخ الشعراوي .
  - ٤ - إنكار السنة النبوية وبيان صحائف الصحابة ومراحل تدوين الحديث النبوي .
  - ٥ - قضبية تكفير المسلمين وتخليد مركب الكبيرة في النار .
  - ٦ - دعاء على أبواب جهنم :
  - ١ - الجهلائيون . ٢ - الخوارج . ٣ - المعتزلة .
  - ٧ - موقف الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً .
  - ٨ - أمة النبي ﷺ أمة مصطفاة لا يخلد منها أحد في النار .
- وأسال الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجه الكريم وأن يسر لنا إخراجاه على الصورة التي يحبها ويرضاها ، وأن يتفق به قارئه وكتابه وباشره . إنه سبحانه على ما يشاء قدير .
- وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وآخر دعوانا :  
﴿ أن التمسنا لله ربنا أن يمسكنا بالرحمة والكرامة ﴾

عبد الله حجاج

غرة شهر رجب ١٤٢٠هـ  
١٠ أكتوبر ٢٠١٩م

## كتاب الشناعة .. أو الخطأ الكامل

حل هو عودة لعصر الإطحاد ١٢

من الموصف أن بعض المتقين من المسلمين تصدروا للكتابة الدينية على الرغم من جهلهم بحقائق التراث الإسلامي وعدم معرفتهم ببيانه الصافية فجاہت كتاباتهم على غير هدى ، وبالمخالفة لسبيل المؤمنين الأبر الذي أقام الدنيا وأقدها ، فهذا ينكر الميراث ، وذلك ينكر الركاة ، وآخر يرى أن الملح يكون في أي وقت من الأشهر الحرم ويعترض على اجتماع الحجيج يوم عرفة . وآخر يزعم أن الحجاب ليس من الإسلام ... الخ .

وبالطبع فإن جواز مرورهم إلى هذه الترهات ، أو إن نعت قتل : الكفریات ، هو إنكار السنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام .

ولا سبيل لهم إلى ذلك إلا بالتهجم على الأعلام من أئمة الإسلام المشهود لهم بالتمسك بالشرح المبين واقفاتهم آثار الصحابة والتابعين ، الذين حفظ الله بهم الآثار ، وقطعوا الفوارز والقفار وركبوا البراري والبحار طمع سنة النبي المصطفى المختار ، لا يخرجون عنها إلى رأي ولا هوى ، حتى نبتوا بذلك أصلها وكانوا أحق بها وأهلها . وفي هذه الأيام أهل علينا طبيب ، بكلام غير مصطنع ، وفعل غير محمود .

وثقياً علينا ما في بطنه من سموم ، ورضعها في كتاب أسماء خطا و الشناعة . هو أقرب إلى الفضيحة ، والشناعة . تهجم فيه على كلام الله و القرآن العظيم و آتاهم بتبئس الناس وتفتيطهم من رحمة الله ، بل ذهب إلى القول في بعض آياته بأنها تحصيل حاصل . حيث قال في شناعته [ص : ١٥-١٦] ما نصه :

و ونحن لا نزيد علانياً لأحد .. ونحن مثل غيرنا أهل ذنوب  
ونلتبس الخرج من أمور هذا اليوم .. ولكن القرآن لا يفتح لنا  
باباً إلا وبسمة . فهو يقول : ﴿ وَلَا تَفْتَحْ أَكْتَفَكُمْ وَعِنْدَهُ الْإِلَٰهُ  
لَمَنَ أَرْزَقْ لَهُ مِمَّا رَزَقَنَا ۗ ﴾ . ٢٣٣ .

وإذا كان هذا موقفه من الله تعالى وكتابه ، فليس موقفه من رسول الله ﷺ أسعد حالاً ، فبعد أن أنكر سنته ﷺ ورفضها زامناً الاكتفاء بالقرآن ، عاد ليؤسس الأسماء والعامة بأنه المريض على السنة ، المتبع لقول النبي ﷺ وجاء به حديث أخرجه

هو حيث يقول في شناعته [ص : 169] :

وما حفزني على الكتابة في موضوع الشناعة إلا حديث رسولنا العظيم الذي قال فيه : « من يترك العمل ويتكل على الشناعة يورد نفسه المهالك ويخزم من رحمة الله » .

وهذا والله كذب صريح على رسول الله ﷺ ، فالحديث غير موجود في كتاب من كتب السنة أئمة ، لا الصحيح ، ولا الضعيف ، ولا الموضوع .  
وهذا الحديث - كما يقول الأستاذ الدكتور عبد المهدي عبد القادر أستاذ الحديث بجامعة الأزهر وعضو هيئة كبار علماء الجمعية الشرعية - : « ليس فيه خصائص أسلوب النبوة ، ومعناه خطأ ، وليس فيه خصائص أسلوب الرضايين ، وإنما على يقين أنك أنت الذي وضعته » ، وتعمده أن يذكر الكتاب الذي جاء منه بهذا الحديث ، أي كتاب مستناباً أو غير مستناب ، أحاديثه صحيحة ، أو موضوعة ، اللهم أي كتاب ، والنحوى قائم<sup>(1)</sup> .

والكثير من كذبه وتلقينه في هذا من خلال الرد على « النضيحة » التي سماها خطأ للكثير من كذبه وتلقينه في هذا من خلال الرد على « النضيحة » التي سماها خطأ والشناعة ، فالتمسح لكتابه بلحظ عدم تأديه مع رسول الله ﷺ ومن أمثلة ذلك :  
جاء في شناعته [ص : 244] : « وما الهدف من أمثال هذه الأحاديث للمسوسة سوى إفساد الدين والتجريح على التسبب والانحلال ورفع باب الجبنه و سهلته لكل ... لأن

(1) الرد على د. مصطفى محمود في إنكار الشناعة [ص: 51] .

وهو كلام عن الملايكة .. ولكن ماذا يقول القرآن بعد ذلك ؟  
﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَٰهُم مِّن قَوْلِهِمْ ﴿ لَهول الموقف ﴾ قالوا : - أي الملايكة - ﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَائِلًا بِمَا وَعَدَ الْمَلَأُ الْأَكْبَرُ ﴾ .  
إذن .. لا معنى في هذا اليوم ( يوم الفزع الأكبر ) عن الحق ، ولا إذن إلا بالحق ، وفي مكان آخر يقول عن الملايكة : ﴿ وَلَا يَتَّبِعُونَكَ إِلَّا لِلَّيْلِ أَنْتَقُونَ ﴾ [الأنبياء : 28] .  
وبذلك عاد فأتلقى الباب وجعله مقصوراً على أهل الرضا أي المرضى عنهم .. وهو تحصيل حاصل .. فالمرضى عنهم ناجون بحكم ما فعلوا في حياتهم من خير . و ﴿ أَلَمْ تَسْتَكْبِرْ ﴾ - كما يقول القرآن - ﴿ بِذُهُوبِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ .. وما زلنا نندور في حلقة مغرقة تبدأ من الحق وتتفق إلى الحق<sup>(1)</sup> .

ليس هذا فقط بل طاش صوابه فاتهم الله تعالى بالضعف وبلجونه - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - إلى المكر الحق ليختبر درجة الإيمان التي بلغها المسلم ، حيث قال [ ص : 106 ] ما نصه :

و بالموقف من الشناعة التي وردت في القرآن هو لون من ابتلاء الله ومكروه الحق لاختبار درجة الإيمان ، ودرجة التوحيد والتزبه التي بلغها عبده المسلم<sup>(2)</sup> .

(1) ليست هذه أول مرة يتناول هذا الفكر على القرآن الكريم ، بل قد سبق له أن قال في تفسيره العمري و أن القرآن يتحدث بالشفرة والبرم والألفاظ المطلسمة .  
(2) ليست هذه أول مرة يتناول على الله تعالى وبمنه بالفاظ تعالى الله عنها علواً كبيراً ، فقد سبق له ووصف الله سبحانه بأنه : « العنان » وأنه « ينكر ويهتدي » ، وغير ذلك من الصفات التي هي للبشر ، والتي ترسب في أذهان الغراء والبسطاء صورة مجسمة لله تعالى .  
شفاحات مصطفى محمود [ص: 98] .

أما نظاره على جبل الجفاظ وشيخ الحدادين وقدمه المصنفين ؛ فهو غيرة منه وحسد والتراحم منه بخطى أسلافه من المستشرقين وأذئابهم الذين ساروا على نهجهم في إنكار السنة والنهجم على رموزها وأهلها ، ولا يعيب الإمام البخارى رضى الله تعالى عنه أن يتهجم عليه رجل في آخر الزمان . لا يعرف الفرق بين كتب السنة وكتب السيرة !

فقد اتفق علماء الأمة على أن كتاب : ه الجامع الصحيح ه للإمام البخارى أجل وأعظم من جميع كتب السنة ، بل هو أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز . قال الإمام القسطلانى - وهو أحد شراح صحيح الإمام البخارى - : ه هو أصح الكتب الموثقة في هذا الشأن ، والمتفق بالتقريب من العلماء في كل أوان ، وقد فاق أمثاله في جميع الثبوت والأقسام ونخص بجزءا من بين دولتين الإسلام ، وشهد له بالبراعة الصادقة المظلم والأفاضل الكرام ، وفوائده أكثر من أن تحصى وأغزر من أن تستقصى (١) .

ويواصل الرجل كذبه ودعاويه الباطلة على علماء المسلمين قديما وحديثا ، فما هو يكذب على شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول في شناعته [ص : ٨١] ما نصه : ه ويرى شيخ الإسلام لعن تيمية أنها دعاه يدعو النبي عليه الصلاة والسلام فيستجيبه المولى جل وعلا ه .

هنا ما ادعاه زوزا وبهتاناً على شيخ الإسلام ابن تيمية . ولا أملك إلا أن أقول : ه من بيننا من كان يفتخر عظيم ه [الدر : ٢٢١] ، وهناك ما كتبه ابن تيمية بخط يده ، قال رحمه الله تعالى عليه : ه وله ه يوم القيامة ثلاث شفاعات :

= وصلى بعض الصالحين لا مثل عن ذلك الفاضل عندما ظهر كتابه التفسير المصرى : فقال : متى استقام أوله حتى يستقيم آخره .  
(١) نقلاً عن كتاب الإمام البخارى للكوكبر تقي الدين الندوى .

الشفيع سجد عند المرش وقال متوسلاً : لا أبرح حتى تدخل كل أمنى الجنة يا رب ه ه .

ويقول أيضاً [ص : ٢٥٠] : ه هل هذه لحظة يساموم فيها النبي ربه لإخراج رجل من النار وإدخاله الجنة ه .  
ويقول أيضاً [ص : ٢١٠١] : ه فصاحب المقام المحمود سوف يخرجنا في النهاية من النار بإشارة من يده ه .

وهل بعد هذا إسائة أدب ، فمرة يقول : الشفيع سجد ... وقال : لا أبرح ! ومرة يقول : يساموم ، وأخرى يقول متهكماً : يخرجنا من النار بإشارة من يده ! وحسبنا الله ونعم الوكيل ، اعلم يا رجل أن الجباء شعبة من الإيمان ، والجهلاء ما كان في شيء إلا زانه ، وما كان الحمض في شيء إلا شانه ، فتأدب مع الله وكتابه ورسوله .. والا فإذا كنت لا تستحي فاصنع ما شئت (١) .

(١) ليست هذه أول مرة يتهكم فيها هذا الفاضل في القول على رسول الله ﷺ ، بل سبق له أن قال في تفسيره المصرى ما نصه : والقرآن يحمل الدليل على أنه من عند الله ، وليس محمد عليه الصلاة والسلام فيه شيء ، إذ أنه يقول النبي بجياته الشخصية عن القرآن بل ويقول بما يتناقض مع الرأي المنطقي للنبي . واستدل هذا الفاضل على ذلك بقول الله تعالى : ه وكلا تمتمل بالقرآنين من قبل أن يوحى إليك وكتبهم ه [طه : ١١٤] . بل ويشادى في غيه القبيح ويصف الرسول ﷺ بالجهل بالقرآن فيقول : ويضج - أى الله تعالى - في أوائل السور حورراً مقطعة لم يكن النبي ﷺ على علم بها : ه والقرآن ، حتم ، عسى ه وكانها منافع العفيرة .

والتفسير الصحيح للآية كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنها : كان عليه السلام ينادي جبريل فيقول أن يفرغ جبريل من الوحي حروصاً على الحفظ وشفقة على القرآن مخالفة للنسيان ، فبهه الله عن ذلك وأمره : ه وكلا تمتمل بالقرآنين ... وهذا كقوله : ه لا تحرك يده . إنك إن تمسك يده ه [القيامة : ١٦] .  
تفسير القرطبي [٢٥٠/١١] .

تحت اسمه : أستاذ الشريعة الإسلامية واللغة العربية بكلية دار العلوم سابقاً . هذا تخرج في دار العلوم ، وتوفي سنة ١٣١٧هـ ، ١٩٥٢م<sup>(١)</sup> .

أما شيخ الأزهر الأصغر فهو : محمد مصطفى المراغي ، وله تفسير بعض سور القرآن الكريم ، ولم يكتب تفسيراً كاملاً ، ومكث شيخاً للأزهر ثلاثين عامًا من سنة ١٩٣٥ إلى ١٩٦٤م<sup>(٢)</sup> .

إنك لو نظرت على غلاف التفسير الذي تقول إنك أخذت منه ، لو نظرت على غلافه لا أخطأت هذا الخطأ .

والمراغي نسبة إلى مراغة من جرجا ، بصعيد مصر ، وألها ينسب بعض العلماء ، د. مصطفى يبدو أنه سيحمل كل مراغي شيخاً أسبق للأزهر !!

والظاهر أن د. مصطفى يركز على صفة شيخ الأزهر ، ليعطي لكلامه وزناً ، ولا يفتقد ذكر هذا الكلام في مقال سابق ، ويهمل أن الناس يتفهوه ، لكنه لا يرجع .

وثانياً : هؤلاء العلماء يبتكرونها ، فلم يقل أحد منهم بما قلت به !!  
○ فلم يقل أحد منهم : إن أحاديث الشفاعة تتناقض مع القرآن

الكريم .

- ولم يقل أحد منهم : إن آيات القرآن الكريم تنفي الشفاعة .
- ولم يقل أحد منهم : إن آيات القرآن الكريم تنفي خروج أحد من النار .

- ولم يقل أحد منهم إن أحاديث الشفاعة مدسوسة .
- ولم يقل أحد منهم : تكفي بالقرآن عن الشبهة .
- ولم يخطئ أحد منهم في حق القرآن الكريم .
- ولم يعيب أحد منهم صحيح البخاري .

(١) له ترجمة في الأعلام [٢٥٨/١] .

(٢) له ترجمة في الأعلام [٣/٧] .

أما الشفاعة الأولى : فيشجع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن يراجع الأنبياء آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى بن مريم .

عن الشفاعة حتى تنهى إليه .

أما الشفاعة الثانية : فيشجع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة ، وهاتان الشفاعتان خاصتان له .

أما الشفاعة الثالثة : فيشجع ليعن استحق النار ، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم ، فيشجع فمن استحق النار ألا يدخلها ، ويشجع فمن دخلها أن يخرج منها . ويخرج الله من النار أقراباً بهير شفاعة بل يفعله رحمة ، ويقضى في الجنة فضل عمن دخلها من أهل الدنيا ، فينتهي الله لها أقراباً فيدخلهم الجنة<sup>(١)</sup> .

وفي كذب صريح ، وإن ثبت أن تملطف تقل : جهل فاضح يقول [ص: ٢٨٣] من شاعته :

و وقد تطابق رأى الشيخ المراغي مع أكثر ما قلناه وهو شيخ الجامع الأزهر في زمانه والعالم والفقير المتكبر في مادته .. ه .

ويعلق على هذا الإفك الأستاذ الدكتور عبد المهدي عبد القادر أستاذ الحديث بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر فيقول :

كل هذه مخالطات ، بل مخالطات في مخالطات .  
فأولاً : شيخ الأزهر الأسبق ، الشيخ المراغي رحمه الله تعالى ، ليس صاحب التفسير الذي نقلت منه . إن التفسير الذي نقلت منه ، والذي عنوانه : تفسير المراغي ، إنما هو من تأليف الأستاذ أحمد مصطفى المراغي ، ومكتوب على غلافه (١) شرح المفيدة الراضية لشيخ الإسلام ابن تيمية [ص: ١٢٣-١٢٣] .

• ولن يتجوز من المذنبين إلا من تكرم عليه رب العزة وفتح له باباً للتوبة قبل الممات .<sup>٤</sup>

• إذن الرسالة الرجعية للنجاة من العقاب هي أن يبقى ربنا عباده من الوقوع في السيئات أصلاً .. أرفق لهم باب التوبة في حياتهم إذا تورطوا فيها . وهذه هي أبواب الشفاعة الممكنة . ثم في صفحة [١٠٤-١٠٥] من شناعته يقول : • وما حدث من تدوير حالة المسلمين ، سيه : هو هذا الدور من الشرك الخفي .. يقول أن يكون لله شريك في حكمه يشفع عنده ليخرج من أدخله النار .

والشرك الخفي هو الآن حالة عامة قد أصبحت لنا محوياً وكيرة في هذه الدنيا تأخذنا ونسلمنا من حالة التفكير والاستغراق في ربنا وخالفنا ، والمسألة تبدو في البداية أنها خلاف بسيط في ألفاظ .. ولكنها في الحقيقة خلاف في لب القضية وخروج عن مقتضى التوحيد الواجب لله .<sup>٥</sup>

لا أملك أن أقول لك إلا ما قاله الدكتور عبد المهدي : • يا دكتور مصطلحي إذا كان هذا مستوراك الإسلامي فاصححك : ابتعد فاست أهلاً للكتابة في الموضوعات الإسلامية ، لقد :

- تجرأت على القرآن الكريم ...
- وأمنت سنة رسول الله ﷺ ...
- وكذبت على رسول الله ﷺ ...
- واحقرت الأمة الأعلام ...

هل هي عودة لعصر الإطجاد ؟

○ ولم يجتزئ أحد منهم آيات القرآن من وسط السياق ليستعمل بها على عكس المراد بها .

- ولم يكذب أحد منهم حديثاً على رسول الله ﷺ .
- ولم يجتزئ أحد منهم نصف الخبر ليعطى عكس معناه .
- ولم يستعمل أحد منهم بخر يعلم أنه موضوع .

مالك ولهؤلاء ٩١ ، هؤلاء علماء أفاضل ، تعلموا وتزبروا على أيدي شيوخ أبيات ، هؤلاء يتحرون الصواب ، ويتنبون الحق .

فها هو ذا الشيخ مصطلحي الراغب - صاحب التفسير - يقول : جاء في اللغنية الصحيحة وقوعها - الشناعة - كقولہ ﷺ : • شفاعي لأهل الكبائر من أمي<sup>(١)</sup> ، فمن كذب بها لم ينلها .

إنك تتجنى على هؤلاء الأعلام حينما تقول إنهم يوافقونك ، فهؤلاء أئمة أعلام ، فلا تترك كلامك بنسبته إليهم ، فهم لم يقولوا بكلامك ، ولا حرفوا تحريفك ، والله لو قلت الحق ما رددنا عليك ، ولا تمينا من القراءة لك ، فإن القراءة لأهل الحق سعادة ، أما القراءة لمتناقضات ، ومغالطات ، وأباطيل فكم تعب القاري<sup>(٢)</sup> .

وما كان أحد يتصور أن الرجل الذي بدأ حياته شاكراً في الله ومخلصاً ثم قال إنه تائب وأتاب وعاد إلى دينه وفتح بوجهه المسلمون أن يصل إلى هذا الدرک ويسقط في مستنقع تكفير المسلمين ويكون لديه رغبة عارمة تفصل إلى حد السمار في أن يدخل المسلمون النار ويخلدهم فيها مثل الكفار والمشركين الذين لم يشهدوا الله تعالى بالرحمانية ولا لرسوله ﷺ بالرسالة ، فيقول في شناعته [ص : ١٧٨ :

- (١) حديث صحيح سنن أبي تخرجه .
- (٢) دفع أباطيل د . مصطلحي محمّد في إنكار السنة النبوية [٧٨١: ٢٨٠] .

هل هي عودة لعصر الإطجاد ؟

وكل واحدة من هذه لها نصوصها الميتة لجرمها ، لكني لا زلت أرحمك بعلم  
ذكر هذه النصوص ، لأني أتمنى لك توبة ، والله يهدينا وكل المسلمين ويقينا مكر  
المالكين والكاكوبين<sup>(٤١)</sup> .

○○○

ويبلغ كفره بالشئنة النبوية المطهرة ورفضه لها مساواة ، فيقول [ص : ٢٢٧]

ما نصه :

« أما قال وقتلا وقالوا ، فهي شقشقة السن ومجرد هراء لن  
يُدخل أحداً جنة ، ولن يتنجي أحداً من نار » .  
ويقول [ص : ٢٨٩] ما نصه : « أما السنة القولية التي جمعها  
رواة الأحاديث عن الرسول الكرم فقد جمعها ودونها بشر  
مثلنا غير معصومين في سلسلة من المنعجات عبر عشرات  
السنين . لم تدون السنة إلا من بعد زمن الخلفاء الراشدين على  
أيام سلاطين القصور » .

ثم يقول في [ص : ٢٩٠] : « وقد أجمع رواية الأحاديث على  
أن النبي عليه الصلاة والسلام قد نهى عن تدوين الأحاديث  
وجاء ذلك في أكثر من حديث لأبي هريرة وعبد الله بن عمرو  
وزيد بن ثابت وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود وغيرهم »  
وهنا من جهل الرجل بالسنة النبوية وبالجهد الذي بذل في سبل العناية بها ،  
الأمر الذي أعظمه غاية الإعظام المنصفون من المستشرقين ، فهاهو ذا المستشرق  
« مرحليوث » المعروف بعمائه الإسلام يقول : « حَقَّ للمسلمين أن يفخروا بعلم  
حديثهم ما شاوروا » .

(١) الرد على د. مصطفى محمود في إنكار البعثة [ص : ٥٢:٥١] .

ويقول د. أسد رستم أستاذ التاريخ في الجامعة الأمريكية ببيروت سابقاً - وهو  
مسحي - يقول في كتابه : « مصطلح التاريخ » : « وأول من نظم نقد الروايات  
التاريخية ، ووضح القواعد لتلك ؛ علماء الدين الإسلامي ، فانهم اضطروا  
اضطرازا إلى الاعتناء بأقوال النبي ﷺ وأفعاله ، لفهم القرآن ، وتوزيع العمل -  
قتالوا : هو إن هو إلا وحى يوحي به ، ما تلقى منه فهو القرآن ، وما لم يلق فهو الشئنة ،  
فانبروا لجميع الأحاديث ودرستها ، وبحثوها ، تأخفوا علم التاريخ بقواعد لا تزال -  
في أسسها وجوهرها محترمة في الأوساط العلمية حتى يومنا هذا » .  
ثم يقول : « وبإمكاننا أن نصالح زملائنا في الغرب ، فنؤكد لهم بأن ما يفخرون  
به من هذا القليل ، نشأ وترعرع في بلادنا ، ونحن أحن الناس بتعلمه ، والعمل  
بأسسه وقواعده »<sup>(١)</sup> .

والمنعجات التي يسخر منها هذا الذي لا يفرق بين كتب السيرة وكتب السنة

يقول عنها الأعلام من العلماء ما يلي :

- ١ - يقول علي بن المديني : علم أسماء الرجال : نصف علم الحديث<sup>(٢)</sup> .
- ٢ - ويقول ابن حزم : نقل الثقة عن الثقة يُبَلِّغ به إلى النبي ﷺ مع الاتصال ؛  
خصني الله به المسلمين دون سائر الملل<sup>(٣)</sup> .
- ٣ - وقال شعبة بن الحجاج : كل تحري ليس في الحديث سميت ، فهو خُل ويقل<sup>(٤)</sup> .
- ٥ - وقال مالك بن أنس : إن هذا العلم هو علمك ودمك وعنه تُسأل يوم القيامة  
فانظر عن تأخذه<sup>(٥)</sup> .

(١) دفع أباطيل د. مصطفى محمود في : إنكار السنة [ص : ١٨٨:١٧] .  
(٢) الحديث الفاصل [٣٢٢٠] .  
(٣) الفصل في الملل والنحل [٨١٧/٢] .  
(٤) الكامل لابن عدي [٤٤٨/١] .  
(٥) سير أعلام النبلاء [٢٣٨٨/٧] .

وكن قاموا أيضًا بهذا العمل في بدايته : الإمام ابن شهاب الزهري وهو أول من دون العلم ، يقول رضي الله تعالى عنه : أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن

فكثيها دفنوا دفنوا . فبعت إلى كل أرض له عليها سلطان ؛ دفنوا (١) .  
وقد سبق هذه الحجارة محاربة متقدمة من عبد العزيز بن مروان والد الخليفة عمر

ابن عبد العزيز . ثم توالى من بعد ذلك الحولات ، واستعرض لخصيصها في كتابنا هذا إن شاء الله .

فهؤلاء هم السلاطين ، وتلك هي قصورهم . فانظروا رحمكم الله وتأملوا واحذروا رأس الأفعى هذه ، التي أطلت علينا في هذه الأيام ؛ أن تصروكم عن دينكم وستة نبيكم .

○○○

(١) جامع بيان العلم وفضله [٧٣/١] .

٦ - وقال عبد الله بن المبارك : ه الاستناد من الدين ولولا الاستناد لقال من شاء ما شاء (١) .

٧ - وقال الشافعي : مثل الذي يطلب الحديث بلا استناد كمثل خاطب ليل يحمل حربة حطب وفيه أفعى وهو لا يدري (٢) .

وقد يلخص ابن أبي حاتم الأمر بألفاظ عبارة وأخلص عبارة ، فقال : ه فلما لم نجد سيلاً إلى معرفة شيء من معاني كتاب الله تعالى ولا حسنة رسول الله ﷺ إلا من جهة النقل والرواية ، رجب أن يميز بين عدول النقلة والرواة وثقاتهم وأهل الحفظ والتثبت والإتقان منهم ؛ وبين أهل النقلة والرواه وسوء الحفظ والكذب واخراج الأحاديث الكاذبة (٣) .

فإن هذا من كلام الطبيب الذي ترك مهنته وحشر أفعى في غير تخصصه ؛ رغبة منه في شهرة زائفة ، قاده إلى تكفير جموع المسلمين وأتباعهم بالشرك حسب زعمه (٤) .

ثم هل تعلمون من هم سلاطين القصور الذين يعمزهم هذا الذي كذب على رسول الله ﷺ ؟ إنه قصر الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ، رضي الله تعالى عنه ، ففي عهد اليمون تمت أول محاربة لكتابة العلم بعد أن كان الاعتماد على الحفظ (٥) ، فكتب رضي الله تعالى عنه إلى الإمام أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حرم الأنصاري ، وكان رابياً وقاضياً على المدينة : ه انظروا كان من حديث رسول الله ﷺ فأكبه فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء (٥) .

(١) الحديث الفاصل [٤١٦] .

(٢) صحيح مسلم [١٥/١] .

(٣) مقدمة المرح والمبطل لابن أبي حاتم [٥] .

(٤) انظر إرشاد الساري للملازمة ابن حجر العسقلاني : [١٩٦/١] .

(٥) رواه مالك في الموطأ [١٣٦] ، والدارمي [٤٩٤] . والبخاري معناه [١٩٤/١] .

كما أكد القرآن : أن من دخل النار لا يخرج منها بحال من الأحوال كما قال تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ ﴾ [النار: ٤٨]

وقال : ﴿ كَذَّابَةٌ يُرِيدُ أَنَّ أَفْعَالَهُمْ حَسْرَتٌ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ [البقرة: ١٦٧]

ولا تملك إلا أن تقول : ﴿ سُبْحَانَكَ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٦]

وهذه طائفة من أقوال الأمة الأعلام تدحض مفرقاته ، وتقوض فكرة كتابه وترد سهامه في نحره :

١ - قول الله تعالى :

﴿ وَأَنْتُمْ يَوْمًا لَا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَقَقَةٌ ﴾ [البقرة: ٤٨]

الدر المنثور (١/٢٦٦)

وقال الطبري : فتأويل الآية إذا : واتقوا يومًا لا تقضى نفس عن نفس حقًا . لزمها لله جل ثناؤه ولا لغيره ولا يقبل الله منها شفاعاة شافع فيترك لها ما لزمها من حق . وقيل إن الله عز وجل خاطب أهل هذه الآية بما خاطبهم به فيها لأنهم كانوا من يهود بنى إسرائيل وكانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه وأولاد أنبيائه ومسيحينا

لنا عنده آباؤنا .

وقال القرطبي : لا تؤاخذ نفس بذنب أخرى ولا تدفع عنها شيئًا . تفسير القرطبي (١/٣٧٧)

وقال القرطبي : وقد أجمع المفسرون على أن المراد بقوله تعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ يَوْمًا ... ﴾ الآية : النفس الكافرة لا كل نفس . تفسير القرطبي (١/٧٩)

شبهات منكر الشفاعاة والرود عليها

زعم المنكر أن الشفاعاة التي يتعلق بها الكثير من المسلمين الذين يرتكبون المنكرات ، ويتهكرون الحرمات ، ثم يتكلمون على الشفاعات : هذه الشفاعاة غير

صحيحة ، وآيات القرآن تنفيها ، وهي منافية للعدالة الإلهية ، التي تجزى كل نفس بما كسبت ، ولا سيما في يوم القيامة : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ وَأُولَىٰ بِمَا كَسَبَتْ تَأْتَىٰ شَيْئًا وَلَا يُنْظَرُونَ ﴾ [البحر: ١١١]

وقد أثبت الآيات القرآنية الكثيرة أن الله تعالى وحده هو المتصرف في هذا اليوم ، ولا سلطان لأحد سواه : ﴿ يَوْمَ لَا تَنفَعُ نَفْسٌ نَفْسًا وَلَا جَنَاحٌ يَوْمَئِذٍ شَيْئًا ﴾ [الانفطار: ١٩] . ﴿ لَيْسَ لَكَ الْبَأْسَ إِلَّا بِالَّذِي أَلْهَيْتَ بِهِ النَّاسَ ، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [غافر: ١١] .

ولا يملك أحد في هذا اليوم أن ينفذ أحدًا من مصيره الذي استحقه بعمله ولا الرسول نفسه ، كما قال الله تعالى له : ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِ مِنْ فِي سَمَاءٍ مِثْلَ خَيْبَرٍ أَلَّا يَحْمِلْ صَوْرَتَهُ خِزْيًا وَعَلَىٰ غُرَّتِهِ مِثْلَ طَبَاقٍ ذَهَبٍ ﴾ [الزمر: ١٩] .

وقد أكدت آيات القرآن في أكثر من سورة أن الشفاعاة مرفوضة في هذا اليوم العظيم . كما قال تعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ يَوْمًا لَا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَقَقَةٌ وَلَا يُؤْتَىٰ مِنْهَا عَقْلٌ وَلَا يَنْصَرُونَ ﴾ [البقرة: ٤٨]

وقال سبحانه : ﴿ يَوْمَ قَدْرًا أُنزِلَ فِيهَا الْقُرْآنُ بِالْإِذْنِ وَالْحَقِّ وَلَا يُنصَرُونَ ﴾ [النور: ٢٥٤]

وقال عز وجل : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَاسِبٍ وَلَا لَشَيْءٍ يُطَاقُ ﴾ [غافر: ١٨]

وقال : ﴿ مَا لَكُمْ يَوْمَئِذٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا يُلَاقِيكُمْ فِي السَّمَاءِ مِنَ السَّحَابِ مِنْ ذُرُوعٍ وَلَا تُفْرَقُ ﴾ [النور: ٢٥]

وقال عز وجل : ﴿ قَدْ نَعَّمْنَا شَقَقَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا بَلْ لَئِيْن كَانُوا لَشَاكِرِينَ ﴾ [النور: ٢٥]

وقال على لسان أهل النار : ﴿ قَدْ كَانُوا مِنْ شِيعَةِ أَبِي سَبْطَةَ الْكَاهِنِ إِذْ سَأَلَهُمْ لِيَسْأَلَهُمْ فِي النَّارِ لِمَ كَفَرْتُمْ قَالُوا لَمْ نَكُنْ مِنَ الْفَاعِلِينَ ﴾ [النور: ٢٥]

٢ - قول الله تعالى :

هُرَبِينَ تَقْبَلُ أَنْ يَأْتِيَنَّكَ يَوْمَ لَا يَبِيعُ فِيهِمْ وَلَا يُخَالَفُ وَلَا يَتَنَبَّأُ وَلَا يُنَبِّئُ ﴿١٢٥٤﴾ [البقرة: ١٢٥٤]

○ قال أبو السمود : فيباع للمقصود ما يتلافى به تقصيره ، أو يفيدى به نفسه ، والمقصود تقي عقد المارضة بالرة .

تفسير أبو السمود [٤١٧/٥]

○ وقال ابن كثير : ولا يقبل من أحد فدية أن يتاع نفسه .

تفسير ابن كثير [٥٤٠/١٦]

لا فداء فيه ، ولا صلابة تنفع ، ولا شفاعة تغير إذنه .

تفسير الجلالين [٥٦١/١٦]

○ قوله : ﴿ وَلَا خَالَفٌ وَلَا يَنْبِئُ ﴾ قال الطبري : إنما هو مراد به أهل الكفر .

وقال : ولا خلة لهم يومئذ تنصرفهم مني ، ولا شافع لهم يشفع عندي فتخرجهم

شفاعتهم لهم من عفاي ، وهذا يومئذ فعلى بهم جزاء لهم على كفرهم .

تفسير الطبري [٤١٦/٣]

○ قال الواحدي : ﴿ وَلَا يَنْبِئُ ﴾ إنما تفي الشفاعة عما لأنه أراد الكافرين

بأن هذه الأشياء لا تنفعهم .

○ وقال ابن الجوزي : إنما تفي هذه الأشياء لأنه عني الكافرين وهذه الأشياء

لا تنفعهم ، ولهذا قال : ﴿ وَأَكْفُرُونَ بِكُمْ آفَاقِيًّا ﴾ .

زاد المسير [٢٠٢/١٦]

٣ - قول الله تعالى :

﴿ هَلْ يَتَسَاءَلُونَكَ مِنَ الْأَمْرِ جَنَاحًا ﴾ [آل عمران: ١١٨]

قال أبو السمود : ﴿ هَلْ يَتَسَاءَلُونَكَ مِنَ الْأَمْرِ جَنَاحًا ﴾ قال رسول الله ﷺ يوم أحد ، وكسرت ربايعته فجعل ﷺ يمسح الدم عن وجهه ، وسالم مولى حذيفة يفسل عن

وجهه الدم وهو يقول : ﴿ كيف يفلح قوم خضبوا وجهه بنبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى

دينهم ﴾ فترلت : ﴿ هَلْ يَتَسَاءَلُونَكَ مِنَ الْأَمْرِ جَنَاحًا ﴾ ، الآية . كأنه نوع معاناة على

إنكاره عليه السلام للتلصص ، وقيل : أراد عليه الصلاة والسلام أن يدعو عليهم

فنهأ الله تعالى لعلمه بأن منهم من يؤمن . تفسير أبو السمود [٢٨٢/١٦]

○ وقال التاملي : روى في سبب نزول هذه الآية : أنه لما قرأ أصحابه ﷺ وشيخ

وجهه وكسرت ربايعته كان يمسح وجهه ويقول : ﴿ كيف يفلح قوم فعلوا هذا

بدينهم ﴾ ، وفي بعض طرق الحديث : ﴿ كيف يقوم فعلوا هذا بدينهم وهو يدعوهم

إلى الله ﴾ فترلت الآية (١) .

○ وقال : ﴿ هَلْ يَتَسَاءَلُونَكَ مِنَ الْأَمْرِ جَنَاحًا ﴾ أي : عواقب الأمور بيد الله ، فامض

أنت لسألتك ودم على الدعاء إلى ربك .

قلت : وقد قيل ذلك ﷺ ممثلاً أمر به .

○ وقال : قال عياض : روى أن النبي ﷺ لما كسرت ربايعته وشيخ وجهه يوم

أحد شق ذلك على أصحابه وقالوا : لو دعوت عليهم . فقال : ﴿ إني لم أبعث

لعائنا ولكن بعثت داعياً ورحمة ﴾ (٢) .

تفسير التاملي [٢٠٨/١٦]

○ بل الأمر لله فاصبر . أو بمعنى : إني أن يتوب عليهم بالإسلام أو بعديهم فإنهم

ظالمون بالكفر .

الجلالين : [٨٤/١٦]

(١) أخرج مسلم [١٧٩/١١] عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كسرت ربايعته يوم

أحد وشيخ في رأسه ، فجعل يمسح الدم عنه ويقول : كيف يفلح قومنا شحوا نبيهم

وكسروا ربايعته وهو يدعوهم إلى الله ، فأقول الله عز وجل : ﴿ هَلْ يَتَسَاءَلُونَكَ مِنَ الْأَمْرِ جَنَاحًا ﴾ .

(٢) أخرج مسلم [٢٥٩/٩] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قيل يا رسول الله :

أدع على المشركين قال : ﴿ إني لم أبعث لعائنا وإنما بعثت رحمة ﴾ .

○ قول الله تعالى :

﴿ وَنَاثُمْ يَحْيِيَّتُكَ يَا نَاثُ ﴾ [التوبة: ٢٣٧].

○ عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال : قول الله عز وجل :

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْرِقُوا مِنْ أَلْقَابِ نَاثُكُمْ يَحْيِيَّتُكَ يَا نَاثُ ﴾ [التوبة: ٢٣٧]. أخبرني

رسول الله ﷺ : أنهم الكفار<sup>(١)</sup>.

○ وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : ه يخرج من النار قوم فيدخلون

الجنة ه قال يزيد بن القنبر : قلت لجابر بن عبد الله : يقول الله : ﴿ ه يُرِيدُونَكَ

أَنْ يُطْرِقُوا مِنْ أَلْقَابِ نَاثُكُمْ يَحْيِيَّتُكَ يَا نَاثُ ﴾ قال اهل اول الآية : ﴿ ه إِنْ أَلْفَيْتَ

كَكْرًا نَوْ كَأَنَّ لَهُمْ تَأْفِي فِي أَلْفَيْتَ حَيْمًا وَيُنْفَكُ مَكْرًا لِيَقْتُلُوا بِهِ مِنْ عَابِ

يَوْمِ أَلْفَيْتَ ﴾ ألا إنهم الذين كفروا<sup>(٢)</sup>.

○ وعن طلق بن حبيب قال : كنت من أشد الناس تكذبا للشفاعة حتى أقيت

جابر بن عبد الله فقرأت عليه كل آية أفرد عليها يذكر الله فيها جلود أهل النار ه

قال : يا طلق إنراك أتراك لكتاب الله وأعلم لسنة رسول الله ﷺ مني ؟

إن الذين قرأت هم أهلها ه هم المشركون . ولكن هؤلاء قوم أصابوا ذنوبنا ثم

خرجوا منها ه ثم أمرى يديه إلى أذنيه فقال : صمنا إن لم أكن سمعنا

(١) رواه الحاكم في المستدرک [٣٢٨/١].

(٢) أخرجه مسلم [١٩١١] ، وأحمد [٣٥٥/٣] . وأخرج البخاري [٢١٩١١] عن أس بن

مالك رضى الله تعالى عنه ه عن النبي ﷺ قال : ه يخرج قوم من النار بعدما مسهم بها

شئ فيدخلون الجنة فيسبهم أهل الجنة الجهيمين ه .

وأخرج البخاري [١٩١٨١] وأبو داود [٤٧٤٠] عن عمران بن حصين رضى الله تعالى

عنها عن النبي ﷺ قال : ه يخرج قوم من النار يشقاه محمد ﷺ فيدخلون الجنة

يسبون الجهيمين ه .

○ ليس لك يا محمد من أمر خاتى إلا أن تنفذ فهم أمرى وتنتهى فهمهم إلى

طاعى وإنما أمرهم إلى والقضاء فهم يهدى دون غيرى . أفضى وأحكم بالذى

إنشاء من القربة على من كفرى وعصانى وخالف أمرى ه أو العذاب إما فى

عاجل الدنيا بالقتل والنقم السيرة ولما فى أجل الآخرة بما أعدت لأهل الكفر .

تفسير الطبرى [١٨١/٤].

○ ه أن الأمور بقضاء الله وقدره ردا على التمدرية وغيرهم ه .

تفسير الطبرى [١١٩٩/٤].

٤ - قول الله تعالى :

﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ . ه ۝ الساء : ٢١٢٣ .

○ روى عبد الرزاق الصنعانى فى تفسيره عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى

عنه أنه قال : يا نبي الله كيف الصلاح مع هذه الآية : ﴿ ه مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا

يُجْزَ بِهِ . ه فقال : ه يا أبى بكر أأستخرن ؟ أأستخرن ؟ أأست تعصب ؟

أأست تعصيت الأراء ه ؟ قال بلى ه ه قال فهو ما تجزون به<sup>(١)</sup> .

تفسير الصنعانى [١٧٤/١].

○ وروى حماد بن سلمة عن عطى بن زبده عن أمية أنها سألت عائشة رضى الله

تعالى عنها عن هذه الآية : ﴿ ه وَنَاثُ نَاثُ مَا فِي أَلْفَيْتَ ﴾ أو يُخْتَفَى

يَعَابِيَّتُكُمْ بِرَبِّ اللَّهِ ه [البقرة: ٢٧٨] . وسألها عن هذه الآية : ﴿ ه مَنْ يَعْمَلْ

سُوءًا يُجْزَ بِهِ . ه فقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : هذه معانية الله العبد

بما يرضيه من الحسى واللكية والشركة حتى البصاعة يقصعها فى كفه فيفقدوها

فيفزع له فيجدها فى ضيقه حتى أن تؤمن يخرج من ذنوبه كما يخرج النير

من الأحر من الكبر .

(١) رواه أحمد فى المسند [١٧١/١] وقال الأوزب : حديث صحيح بطرقه وشرايعه .

رسول الله ﷺ يقول : و يخرجون من النار بعدما دخلوا ، ونحن نقرأ كما رأيت (١) .

○ ونحن نذكر أن نافع بن الأزد قال لابن عباس : هـ وكما لهم يخرجون منها هـ . فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : ويحك ! أو ما نوقتها هذه للكفار (١) .

○ وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة قال : إن الله إذا فرغ من القضاء بين خلقه أخرج كتابا من تحت عرشه فيه : رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين . قال : فيخرج من النار مثل أهل الجنة - أو قال مثل أهل الجنة - مكروب هاهنا منهم - وأشار إلى نحوه - عتقاء الله تعالى فقال رجل لعكرمة : يا أبا عبد الله فإن الله يقول : هـ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا هـ قال : وبك ! هم أهلها الذين هم أهلها .

○ وأخرج ابن المنذر والبيهقي في الشعب عن أنعمت قال : قلت : رأيت قول الله : هـ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا هـ فقال : إنك والله لا تستطع على شيء ، إن للنار أملا لا يخرجون منها كما قال الله تعالى (٢) .

○ وعن الأشعث الحلبي قال قلت للحسن يا أبا سعيد رأيت ما تذكر من الشفاعة حق هو ؟ قال : نعم حق .

(١) ذكر السيوطي في الدر المنثور [٢٧٢/٣] ، وأحمد في المسند [٢٧٩/٣] عن جابر رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : و إن أوقاتنا يخرجون من النار بعدما مسحوا فيها فيطمان بهم إلى نهر في الجنة يقال له نهر الحياة فيغسلون فيه فيخرجون منه أمثال الصابون .

وقال الأثروثوط إسناده قوى وقوله : و التعاريف هـ هي التفاء الصغار ووجه الشبه سرعة النساء .

(٢) رواه ابن جرير في التفسير [٢٢٧/٦] ، والسيوطي كما في الدر المنثور [٢٧٢/٣] .  
(٣) الدر المنثور للسيوطي [٢٧٢/٣] .

قال قلت : يا أبا سعيد رأيت قول الله تعالى : هـ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُمْ هـ ، قال عمران : ٢١٢ ، هـ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا هـ قال : فقال لي ابنك والله لا تستطيع على شيء إن للنار أملا لا يخرجون منها كما قال الله .

قال قلت : يا أبا سعيد فممن دخلوا ثم خرجوا . قال : كانوا أصابوا ذنوباً في الدنيا فأخذهم الله بها فأدخلهم بها ثم أخرجهم بها يعلم في قلوبهم من الإيمان والصدق به (١) .

○ وقال الطبري : هذا إعلام من الله جل ثناؤه لليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله ﷺ أنهم وغيرهم من سائر المشركين به سواء عنده فيما لهم من المناب الأليم والمقاب العظيم وذلك أنهم كانوا يقولون : هـ إن كنتنا أكلنا إلا أكلنا ما نكفد الآيات ، اغترارا بالله وكذبنا عليه .

وكذبهم تعالى ذكره بهذه الآية : هـ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ آلَكُمْ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا بِحَبِطٍ مِّمَّا كَسَبْتُمْ مِنْكُمْ لَيُقَدِّمَنَّ اللَّهُ يَوْمَ النَّارِ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ أَهْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَنْ يَكْفُرْ أَفْوَاجًا وَلَوْ لَمْ يَنْصَرِفْ إِلَّا عَنْ آلِيكُمْ وَالَّذِينَ حَمَلُوا كَيْدَهُمْ فِي أُمْتِكُمْ أَفْوَاجًا وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَلَّمَهُمْ فَقَالُوا وَعَدْنَا عَلَيْهِمْ مَا كَلَّمْتُمْ لَكُمْ وَعَدَّ اللَّهُ وَعْدًا مُّبِينًا هـ [النساء] ، يقول لهم جل ثناؤه فلا تطعموا أيها الكفرة في قول الفدية منكم ولا في خروجكم من النار بواسطة آباءكم عندى بعد دخولكموها إن أتمتم على كفركم الذي أتمت عليه ، ولكن توبوا إلى الله توبة نصوحا .

○ وأخرج ابن أبي حاتم عن طريق الأوزاعي قال : سمعت ثابت بن معبد قال : ما زال أهل النار يأملون الخروج منها حتى نزلت : هـ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا هـ (٢)

(١) تفسير الطبري [٢١١/٤] .  
(٢) تفسير السيوطي [١٠٢/١] .

○ وقال النوركاني : فبأي حديث بعد هذا القرآن يصدقون إذا لم يؤمنوا به .  
فتح القدير [٣١٧/٥]

٨ - قول الله تعالى :

﴿ قَاتِلْهُم بِمَا ظَنَنْتُمْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَصِيبُوا مَوْجِدَهُمْ ﴾ [النساء: ٢٥]

- من الذين كنا نعدهم شفقاء وأمدهاء . تفسير أبو السعود [٢٥٣/١]
- وقال الصمالي : وصف تعالى أن أهل النار يخصصون فيها ويلاومون قائلين لأصحابهم : تالله إنا كنا في ضلال مبين في أن نبعثكم ونجعلكم سواء مع الله الذي هو رب العالمين ثم عطفوا بـ "يردون" اللامة على غيرهم أي : ما أضلنا إلا كبرائنا وأهل الحرم والحزاة ؛ ثم قالوا على جهة التلهف والتأسف حين رأوا شفاعة الملائكة والأنبياء والمسلمة نائمة في أهل الإيمان عمودنا وشفاعة الصديق في صديقهم خصوصاً : ﴿ قَاتِلْهُم بِمَا ظَنَنْتُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ . ولا تصيبوا موجدهم في تفسير الطبري [١٤٩/٣]
- وقال الطبري : وإنما مناه من قبل أن يأتي يوم لا يسع فيه ولا حيلة ولا شفاعة لأهل الكفر بالله ، لأن أهل ولاية الله والإيمان به يشفع بعضهم لبعض .

٩ - قول الله تعالى :

﴿ أَقْنَتِمْ حَتَّىٰ طَلَيْتُمْ أَكْأَبُ الْأَعْيَابِ أَقْنَتِمْ حَتَّىٰ تَقُولُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ [الزمر: ١٩]

- في الجلالين : ﴿ أَقْنَتِمْ حَتَّىٰ طَلَيْتُمْ أَكْأَبُ الْأَعْيَابِ أَقْنَتِمْ حَتَّىٰ ﴾ أي : تخرج من في آثاره ﴿ حَتَّىٰ طَلَيْتُمْ أَكْأَبُ الْأَعْيَابِ ﴾ جواب الشرط وأتم فيه الظاهر مقام المضمرة والهمزة للإكثار والمعنى لا تقدر على هدائه فتقله من النار . تفسير الجلالين [٣٠٩/١]

شبهات منكر الشفاعة والرد عليها

١٠ - قول الله تعالى :

﴿ أَتَيْتُمَا مَا أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [الزمر: ٢٣]

- قال القرطبي : يعني الكتاب والسنة ، قال الله تعالى : ﴿ وَبِمَا آتَيْنَاكُمْ الْكِتَابَ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَيْكُمْ عَنْهُ فَأْتُوهُ ﴾ [المفرد: ٣٧] . تفسير القرطبي [١١٦١/٦]
- وقال النوركاني : يعني الكتاب وسنة السنة لقوله : ﴿ وَبِمَا آتَيْنَاكُمْ الْكِتَابَ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَيْكُمْ عَنْهُ فَأْتُوهُ ﴾ ونحوها من الآيات . فتح القدير [١٧٨٨/٦]
- وقال النحاس : قيل هو القرآن والسنة لقوله عز وجل : ﴿ وَبِمَا آتَيْنَاكُمْ الْكِتَابَ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَيْكُمْ عَنْهُ فَأْتُوهُ ﴾ . معنى القرآن [٤٨٧]

٧ - قول الله تعالى :

﴿ قِيَّاتٍ حَدِيثٍ أُعِدَّتْ لَهُمْ وَبُشْرًا كَثِيرًا ﴾ [البروج: ٥٠]

- قال الطبري : فبأي حديث بعد هذا القرآن ، أي : أنتم أيها القوم كذبتم به مع وضح برهانه وصحة دلائله أنه حق من عند الله ﴿ قِيَّاتٍ حَدِيثٍ أُعِدَّتْ لَهُمْ ﴾ يقول : تصدقون . تفسير الطبري [٣٠١/١]
- كان قتادة إذا تلى : ﴿ قِيَّاتٍ حَدِيثٍ أُعِدَّتْ لَهُمْ وَبُشْرًا كَثِيرًا ﴾ قال: أمنت بالله وبما أنزل . تفسير الطبري [٣٥٠/٢]
- وقال القرطبي : أي إن لم يصدقوا بالقرآن الذي هو المعجز والدلالة على صدق الرسول عليه السلام فبأي شيء يصدقون ؟ تفسير القرطبي [١١٦٩/١٩]
- وقال الواحدي : فبأي قرآن غير ما جاء به محمد يصدقون ، يعني أنه حاتم الرسل ولا وحى بعده . تفسير الوجيز [٤٢٤/١]
- وقال ابن الجوزي : أي إن لم يصدقوا بهذا القرآن فبأي كتاب بعده يصدقون ، ولا كتاب بعده . زاد المسير [٣/٩]

شبهات منكر الشفاعة والرد عليها

○ ولا يملك أحد شفاعته إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً أي : إذا أذن له الله في

الشفاعة كما قال : ﴿ هُوَ مِنْ ذَا الْأَيْدِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ ﴾ ألا يَأْتِيهِمْ هُوَ وهذا العهد هو الذي قال : ﴿ هُوَ آخِذٌ عِنْدَ الْأَرْحَامِ مَهْجُوكًا ﴾ وهو لفظ جامع للإيمان وجميع الصالحات التي يصل بها صاحبها إلى جرح من يشفع . وقال ابن عباس : العهد لا إله إلا الله . وقال مقاتل وابن عباس أيضاً : لا يشفع إلا من شهد أن لا إله إلا الله وتبرأ من الحول والقوة إلا لله ولا يرجو إلا الله تعالى لأصحابه .

○ وعن عبد الله قال : يهدب الله عز وجل قوماً من أهل الإيمان فيخرجهم بشفاعة الشافعين . ثم قال : هؤلاء الذين لا تفهمهم شفاعته الشافعين<sup>(١)</sup> .

١٢ - قول الله تعالى :

﴿ يَوْمَ لَا تَنفَعُ قَسْمَ لِقَتَيْهِمْ سَمْعًا وَلَا أَعْيُنُ يَوْمَئِذٍ يُرَى الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ أَلَمَنْ لَمْ يُحِمْ يَحْفَظْهُ ﴾ [الأنعام : ٤١٩] .

○ لا تنفي نفس عن نفس شيئاً فتدفع عنها لية نزلت بها ولا تنفها بانفاعة ، وقد كانت في الدنيا تحميها وتدفع عنها من بغاها سوعاً ، فبطل ذلك يومئذ لأن الأمر صار لله الذي لا يبله غالب ولا يقهره قاهر وأضمحلت هنالك للمالك ؛ ودهمت الراسخ وحصل الملك للملك الجبار وذلك قوله : ﴿ وَالْأَخْسَرُ يَوْمَئِذٍ ﴾ يقول : ﴿ وَالْأَمْرُ هُوَ يَوْمَئِذٍ ﴾ يعني الذين هـؤنوا دون سائر خلقه ليس لأحد من خلقه معه يومئذ أمر ولا نهي .

○ فتادة : ﴿ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ ﴾ لله قال : ليس ثم أحد يومئذ يقضي شيئاً ولا يضع

شيئاً إلا رب العالمين .

○ فتادة : لا يتجاوز أحد .

(١) رواه الطبراني في الكبير [٩/٣٥٧/٩٧٦٢٧٢] .

شبهات منكر الشفاعته والرود عليها

○ قال القرطبي في تأويل قوله تعالى : ﴿ هُوَ أَعْلَمُ حَقًّا عِنْدَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّخْتَبِئًا ﴾

من في الآثار ﴿ كان النبي ﷺ يحرض على إيمان قوم وقد سبق لهم من الله الشفاعة ، فخرت هذه الآية ، قال ابن عباس : يريد أبا لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبي ﷺ عن الإيمان .

تفسير القرطبي [١٥/٢٤٤/٢٢٤٤] .

١٠ - قول الله تعالى :

﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ [الزمر : ٤٤] .

○ أي : هو مختص بها فلا يشفع أحد إلا بإذنه .

○ عن مجاهد ، قال : لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه .

○ الشفاعه جميعاً له ، لا يشفع عنده إلا من أذن له ورضى له . الطبري [٤٣/٩٠٢] .

○ نفس في أن الشفاعه لله وحده كما قال :

﴿ هُوَ مِنْ ذَا الْأَيْدِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ ﴾ ألا يَأْتِيهِمْ هُوَ . [البقرة : ٢٥٥] .

○ أي لا يملكها أحد إلا بعلمه ، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه . زبد السمر [٧/١٨٧٧] .

○ فليس لأحد منها شيء إلا أن يكون بإذنه لمن ارتضى . فتح القدير [٤/١٢٧٧] .

○ كما قال : ﴿ هُوَ مِنْ ذَا الْأَيْدِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ ﴾ ألا يَأْتِيهِمْ هُوَ . [البقرة : ٢٥٥] .

○ حكي القرآن للحامى [٦/١٨٧٧] .

١١ - قول الله تعالى :

﴿ قُلْ تَتَّبِعُونَ شَيْئًا كَثِيرًا مِمَّا كَفَرْتُمْ ﴾ [النور : ٤٨] .

○ يقول فما يشفع لهم الذين شفعمهم الله في أهل اللذونب من أهل التوحيد

فتفهمهم شفاعتهم ، وفي هذه الآية دلالة واضحة على أن الله تعالى ذكره مشفع

بعض خلقه في بعض .

تفسير الطبري [٢٨ / ١٦٦٦] .

شبهات منكر الشفاعته والرود عليها

## الشفاعة عند أهل الكتاب ١ - الشفاعة في التوراة

جاء في التوراة عن صفة النبي ﷺ ما نصه : « يقم لك الرب إلهك : نيبا . من وسطك . من إخرتاك . منى . له تسمون ا . . . » وأقم لهم : نيبا . من وسط إخرتهم . مثلك . وأجعل كلامي في فمه ؛ فيكلمهم بكل ما أمره به » .  
[ تسمية ١٥:١٨-٢٢ ]

ويزعم اليهود : أن هذا النبي إلى عصرنا هذا لم يظهر ؛ وإذا ظهر فإنه سيظهر من بني إسرائيل . وبقبرته بلقب « المسيح الرئيس » ؛ أو بلقب « الأنبياء المنتظر » أو بلقب « العبد المتالم » ؛ من إعراض الناس عن دعوته .

وقد شرح علماء المسلمين هذا النص الوارد في صفة النبي محمد ﷺ ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه : « الجواب الصحيح » وشيخ الإسلام ابن قيم الجوزية في كتابه : « هداية الحيارى » والعلامة فخر الدين الرازي في كتابه : « التفسير الكبير » وغيرهم من أهل العلم والفضل .

ويزعم النصارى : أن هذا النبي قد جاء . وأنه لهو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ويضعون أنه خاتم النبيين . وقد رد عليهم كثيرون من أهل العلم من المسلمين كشيخ الإسلام ابن تيمية ، وابن قيم الجوزية ، وفخر الدين الرازي ورحمهم الله الهندي في كتابه : « إظهار الحق » وغيرهم كثير ، كما رد عليهم طائفة من علماء اليهود منهم ابن كمونة اليهودى المرانى ، في كتابه : « تفتيح الأبحاث » . وجاء في أسفار الأنبياء من صفة النبي ﷺ مثل ما جاء في توراة موسى عنه . وقرأ النبي إشعياء في أوصافه : « وتقع في اللذين » وذلك في الأصحاح الثالث والخمسين . وقال مفسر التوراة : إن هذا النبي سيشفع في اللذين من أتباعه ، إذا دخلوا جهنم . وقد طلق النصارى تسمية إشعياء هذه على عيسى عليه السلام وقالوا : إنه الذي سيشفع في اللذين .

الشفاعة .. عند أهل الكتاب

○ والمعنى أنها لا تملك نفس من النفوس لنفس أخرى شيئاً من النفع أو الضرر ، **هو والآخرون يؤمنون بالله** وحده ، لا يملك شيئاً من الأخر غيره كائناً ما كان . قال مقاتل : يعنى لنفس كارة شيئاً من المنفعة .

قال قتادة : ليس ثم أحد يقضى شيئاً أو يصنع شيئاً إلا بالله رب العالمين ، والمعنى : أن الله لا يملك أحداً في ذلك اليوم **شيئاً** من الأمور كما ملكهم في الدنيا ومثل هذا قوله : **هو ليس آتئلك اليوم لله الآخرون الآخرون** .

فتح القمر ١٣٩١/٥٧ .

○ ... وهذا كله تكذيب لأطماع المشركين الباطلة أن من تعلقوا به من دون الله من قرابة أو صهر أو نكاح أو صحبة تمنعهم يوم القيامة أو تجيرهم من عذاب الله تعالى أو تشفع لهم عند الله تعالى » .  
ابن القيم في الأمان (ص: ٢٥١) .

○ قوله تعالى : **هو ليس لك بين الآخرة حق** أي : لست تملك إصلاحهم ولا تعديلهم ، بل ذلك ملك لله فاصبر **هو** أي يتوب **عليهم** **هو** بالإسلام **هو** أي يهديهم **هو** بالقتل والأسر والقهر **هو** أي يأمهم **عليهم** **هو** بالكفر . والمعنى : أن الله مالك أمرهم يصنع بهم ما يشاء من الإهلاك أو الهزيمة ، أو التوبة إن أسلموا ، أو العذاب إن أسروا على الكفر .  
تغية الأموي (١٢٨٢/٨) .

ولمنا بتوفيق من الله تعالى في تنفيذ هذه الشبهات والوهط عليها من خلال علماء الأمة وسادتها أن نكون أبطالا حجاج ها المنكر وأشباهه من المتخرصين الكارهين للإسلام والحقائدين عليه والمتلئين منه اللذين يتصيدون غرائب الأحكام وشواذ الفتاوى وضميف القول ليخرجوا نار الفتنة ويوصلوا للمجهم الفاسد ، ولكن الله لهم بالمرصاد كلما أخطوا نار الفتنة أطفئها الله ، وكشف عن خبيث طويتهم ، وهم كثير ، تجدهم في كل مكان يتلونون كالحرباء ، والله تعالى ليس بمغافل عما يعملون ، بل سبحانه يكشف لعباده خبيث طويتهم وسوء مقصدهم ، والله غالب على أمره ، وناصر جنده ، إنه سبحانه لقوى عزيز .

شبهات منكرو الشفاعة والرد عليها

## ٢ - الشفاعة في الإنجيل

يوجد فرق بين الخير ، والبشرى المترجة بالخير . وكلمة : « البشرى » باللغة العربية هي كلمة « الإنجيل » باللغة اليونانية . فموسى عليه السلام أخبر عن معنى نبي من بعده في قوله : « يقسم لك الرب إلهك : نبتا ... الخ » .  
والسبح عيسى عليه السلام بشر بالقرب زمان تحقق الخير . وقال : إنه سيتحقق من بهدى .

ومن كلامه عليه السلام لبني إسرائيل : « توبوا ؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات » ربي:٤: ١٧ .

وقال هو ويوحنا المعمدان . الذي هو النبي يحيى عليه السلام . عن البشارة بالنبي محمد ﷺ : « يأتي بهدى من هو أقوى مني الذي لست أهمل أن أنحى وأحل سيور حياته » . رزم:١: ٧٧ .

وقد كتب الحواريون إنجيل المسيح عيسى عليه السلام من بعد رفته إلى السماء . كل بروايته عنه . كما شاهد أو كما سمع .

ثم اجتمع الصماري في مجمع « نيقية » سنة ٣٢٥م وانفقوا على انتخاب أربعة أناجيل هم : « متى .. وماركس .. ولوقا .. ويوحنا » .

ومن الأناجيل التي رفضوها : إنجيل ثوما القبطي . وفيه : مثل الأمة الإسلامية الذي جاء ذكره في القرآن الكريم . في سورة الفتح .

ومنها : إنجيل برنابا . وفيه اسم محمد ﷺ أربعة عشر مرة .  
وفي إنجيل برنابا : أن المسيح طلق نبوة العبد المآلم . من إعراض الناس عن دعوته . التي فيها : « وشقيع في المذنبين » على النبي محمد ﷺ .  
كما أثبت عليه السلام الشفاعة للنبي محمد ﷺ في زمانين :

الزمن الأول : زمن الفصل في القضاء بين الناس . وفي هذا الزمن سيشفع المختارين من أمته ؛ لينجو من هول الموقف العظيم .

والزمن الثاني : إذا دخل الملائكون من أرباعه جهنم ؛ يستفتح فيهم ؛ ليخرجهم منها .

○○○

يقول الله : اذهب وادعهم يا جبريل ، ٢٣ فأتى جبريل الى رسول الله ويقول : من هم شعورك أيها السيد ؟ ٢٤ ، فيحجب رسول الله : هم آدم وإبراهيم واسماعيل وموسى وداود ويسوع بن مريم ، ٢٥ فيصرف الملاك وينادي بالشهود المذكورين الذين يحضرون الى هناك خائفين ، ٢٦ فمتى حضروا يقول لهم الله : أتدرون ما أتيتهم رسولى ؟ ٢٧ ، فيحيون : أى شيء يا رب ، ٢٨ يقول الله : انى خلقت كل شيء حياً فيه ليحمدنى كل الملائكة ، ٢٩ فيحجب كل منهم : عندنا ثلاثة شهود أفضل منا يا رب ، ٣٠ فيحجب الله : ومن هم هؤلاء الثلاثة ؟ ٣١ ، يقول موسى : الأول الكتاب الذى أعطيتيه . ويقول داود : الثانى الكتاب الذى أعطيتيه ، ٣٢ ويقول الذى يكلمكم : يا رب إن العالم كله أغراه الشيطان فقال : انى كنت ابنك وشريكك ، ٣٣ ولكن الكتاب الذى أعطيتيه قال حقاً : انى أنا عبدك ، ٣٤ ، ويعترف ذلك الكتاب بما أتيت به رسولك ، ٣٥ ، فيتكلم حينئذ رسول الله ويقول : هكذا يقول الكتاب الذى أعطيتيه يا رب ، ٣٦ فندما يقول رسول الله هذا يتكلم الله قائلاً : إن ما فعلت الآن إنما فعلته ليعلم كل أحد مبلغ حى لك ، ٣٧ ، وبعد أن يتكلم هكذا يعطى الله رسوله كتاباً مكتوباً فيه أسماء كل مختارى الله ، ٣٨ ، لذلك يسجد كل مخلوق لله قائلاً : لك رحمتك اللهم والمد والجزل والإكرام لأنك وهبتنا لرسولك .

#### الفصل السادس والخمسون

١ ويفتح الله الكتاب الذى فى يد رسوله ، ٢ فيقرأ رسوله فيه وينادى كل الملايكة والأنبياء ؛ كل المختارين ، ٣ ، ويكون مكتوباً على جهة كل علامة رسول الله ويكتب فى الكتاب مجد الجنة ، ٤ فيمر حينئذ كل أحد إلى يمين الله الذى يكون بالقرب منه رسول الله ، ٥ ويجلس الأنبياء بجانبه ، ٦ ، ويجلس القديسون بجانب الأنبياء ، ٧ والمباركون بجانب القديسين ، ٨ فيفتح حينئذ الملاك فى البرق ويدعون الشيطان للديونة (١) .

(١) إنجيل برنابا ١٤٩٧ : ١٥١ : ١٥١ دار النشر بالقاهرة . بناية الدكتور أحمد حجازى السقا .

النص من إنجيل برنابا ص :

شفاعة النبي محمد ﷺ فى فصل القضاء للمختارين

من أمته فقط لينجو من هول المرقف العظيم

#### الفصل الخامس والخمسون

١ ويذهب رسول الله ليجمع كل الأنبياء الذين يكلمهم رغباً إليهم أن يدعوا معه ؛ ليضربوا إلى الله لأجل المؤمنين ، ٢ فيعذر كل أحد خوفاً ، ٣ ولعمر الله انى أنا أيضاً لا أذهب إلى هناك لانى أعرف ما أعرف ، ٤ وعندما يرى الله ذلك يدرك رسوله كيف أنه خلق كل الأشياء محبة له ، ٥ فيذهب خوفه ويقدم إلى العرش بحجة واحترام ، ٦ والملائكة تزم : تبارك اسمك القدوس يا الله إلهنا ، ٧ ومنى صار على مقربة من العرش يفتح الله لرسوله كخيل ليليه بعد طول الأمد على اللقاء ، ٨ ويبدأ رسول الله بالكلام أولاً فيقول : انى أعبدك وأحيك يا إلهى ، ٩ وأشكرك من كل قلبى ونفسى ؛ ١٠ لأنك أردت فخلفتى لأكون عبدك ، ١١ ، وخلفت كل شيء حياً فى أحبك لأجل كل شيء ، ١٢ وفى كل شيء وفوق كل شيء فليحمدك كل خلقتك يا إلهى ، ١٣ حينئذ تقول كل مخلوقات الله : نشكرك يا رب وتبارك اسمك القدوس ، ١٤ الحق أقول لكم : إن الشياطين والمبوزيين مع الشيطان يكون حينئذ حى أنه ليجرى من الماء من عين الواحد منهم أكر عا فى الأردن ، ١٥ ومع هذا فلا يورث الله ، ١٦ ، ويكلم الله رسوله قائلاً : مرحباً بك يا عبدى الأمين ، ١٧ ، فاطلب ما تريد تنل كل شيء ، ١٨ فيحجب رسول الله : يا رب أذكر أنك لا خلقتى قلت : إنك أردت أن تخلق العالم والجنة والملائكة والناس حياً فوجى ليمجدوك بى أنا عبدك ، ١٩ لذلك أصرخ إليك أيها الرب الإله الرحيم العادل أن تذكر وعذك لعبدك ، ٢٠ فيحجب الله كخيل يجازح خيله ويقول : أعبدك شهود على هذا يا تخلى محمداً ، ٢١ فيقول باحترام : نعم يا رب ، ٢٢ ،

كان لهم إيمان بدون أعمال صالحة ، إذ كان الفريق الأول حزينا على الأعمال الصالحة ، والآخر مسرورا بالشر فسيكتون جميعاً في الجحيم سبعين ألف سنة ١٨- وبعد هذه الستين يحيى الملك جبريل إلى الجحيم ، ويصعقهم يقولون : يا محمد أين وعظك أن من كان على دينك لا يمكث في الجحيم إلى الأبد ؟ ، ١٩ فيعود حيثد ملاك الله إلى الجنة ويعد أن يقرب من رسول الله باحترام يقص عليه ما سمع ٢٠ ، فحينئذ يكلم الرسول الله ويقول : ربي والهوى اذكر وعظك لي أنا عبدك بأن لا يمكث الذين قبلوا ديني في الجحيم إلى الأبد ٢١ ، فيجيب الله : اطلب ما تريد يا خليلي لأني أبهيك كل ما تطلب .

### الفصل السابع والثلاثون بعد المئة

١ فحينئذ يقول رسول الله : يا رب يوجد من المؤمنين في الجحيم من ليث سبعين ألف سنة ٢ أين رحمتك يا رب ٣ ، ٤ ، إني أضرع إليك يا رب أن تعتمهم من هذه العقوبات المرة ؛ ، فيأمر الله حيثد الملايكة الأربعة القربين لله أن يذهبوا إلى الجحيم ؛ ويخرجوا كل من كان على دين رسوله ، ويقوده إلى الجنة ، ٥ وهو ما سيفعلونه ٦ ، ويكون من مبلغ جدوى دين رسول الله أن كل من آمن به يذهب إلى الجنة ، بعد العقوبة التي تكلمت عنها حتى ولو لم يعمل عملاً صالحاً لأنه مات على دينه ٧ (١) .

○○○

(١) إنجيل برنابا [٢٣٣:٢٣٦] دار البشير بالقاهرة . بعناية الدكتور أحمد حجازي السقا .

النص من إنجيل برنابا عن :  
خروج المؤمنين من أمة محمد ﷺ من النار بشفاة محمد ﷺ

### الفصل السادس والثلاثون بعد المئة

١٥ ففى هذه البقعة الملمونة يقيم الكافرون إلى الأبد ، ٢ حتى لو فرض أن العالم ملئ جبوب دخن ، وكان طير واحد يحمل حبة واحدة منها كل مئة سنة إلى انقضاء العالم لسر الكافرون لو كان يتاح لهم بعد انقضائه الذهاب إلى الجنة ، ٣ ولكن ليس لهم هذا الأمل إذ ليس لعذابهم من نهاية ؛ ٤ إذ لم يريدوا أن يضرخوا حدأً لخطيئتهم حبأً في الله ٥ ، أما المؤمنون فسيكون لهم تعزية ؛ لأن لعذابهم نهاية ، ٦ فذعر التلاميذ لما سمعوا هذا وقالوا : أيزهد إذا المؤمنون إلى الجحيم ؟ ٧ ، أجاب يسوع : يتحتم على كل أحد أنما كان أن يذهب إلى الجحيم ، ٨ بيد أن ما لا مشاحة فيه أن الأظهار وأنباء الله إنما يذهبون إلى هناك ليشاهدوا لا ليكابدوا عقاباً ، ٩ أما الأبرار فإنهم لا يكابدون إلا الحوف ١٠ وماذا أقول ؟ أفيذكم أنه حتى رسول الله يذهب إلى هناك ؛ ليشاهد عدل الله ، ١١ فترعد ثمة الجحيم لحضوره ١٢ وبما أنه ذو جسد بشرى يرفع العقاب عن كل ذى جسد بشرى من القضى عليهم بالعقاب فيمكث بلا مكابدة عقاب مدة إقامة رسول الله لمشاهدة الجحيم ١٣ ، ولكنه لا يقيم هناك إلا طرفة عين ، ١٤ وإنما يفعل الله هذا ؛ ليعرف كل مخلوق أنه نال نفعاً من رسول الله ١٥ ومتى ذهب إلى هناك ولولت الشياطين وحاولت الاختباء تحت الجمر المتقد قائلاً بعضهم لبعض : اهربوا اهربوا فإن عدونا محمداً قد أتى ١٦ فمتى سمع الشيطان ذلك يصفع وجهه بكتنا كفيه ويقول صارخاً : ذلك بالرغم عني لأشرف مني وهذا إنما فعل ظلما ، ١٧ أما ما يختص بالمؤمنين الذين لهم اثنان وسبعون درجة مع أصحاب الدرجتين الآخرين ، الذين

## الشفاعة .. وخسن الظن بالله تعالى

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ قبل وفاته بثلاثين يوماً يقول : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله »<sup>(١)</sup> .

وعن أنس رضي الله تعالى عنه : أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال : « كيف تجدك ؟ » قال : أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي ، فقال رسول الله ﷺ : « لا يحتملن في قلب عبد مؤمن في مثل هذا الموضع إلا أعطاه الله ما يرجو وأمه ما يخاف »<sup>(٢)</sup> .

قال القرطبي : خسن الظن بالله تعالى ، ينبغي أن يكون أغلب على العبد عند الموت منه في حال الصحة ، وهو أن الله تعالى يرحمه ، ويتجاوز عنه ، ويعفوا له ، ويتبنى جلسائه أن يذكره بذلك حتى يدخل في قوله تعالى : « أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء »<sup>(٣)</sup> .

وروى حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يموتن أحدكم حتى يحسن ظنه بربه ؛ فإن خسن الظن بالله فمن الجنة »<sup>(٤)</sup> .

(١) أخرجه مسلم [٢٨٧٧] ، وابن ماجه [٤١٦٧] عن جابر رضي الله تعالى عنه .

وذكره ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله و زاد : « فإن قوماً قد أرادهم سوء ظنهم بالله فقال لهم تبارك وتعالى : ﴿ وَذَكَرَ لَكَ كَلِمَاتٍ الَّتِي عَلَيْكَ أَنْ تَكْفُرَ بِمَا أَنْصَبْنَا مِنَ الْمَغْنَمِ لَكَ فَتَكْفُرَ بِهَا ﴾ [فصلت : ٢٣] .

(٢) رواه ابن ماجه [٤٢٦١] ، والترمذي [٩٨٣] . وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه [٣٤٣٦] .

(٣) رواه أحمد في المسند [٤١١/٣] ، والدارمي [٧٧٣] . وقال الأزروقي : إسناده صحيح .

(٤) ذكره الخطيب البغدادي في موضع أرواح الجمع والتفريق .

الشفاعة .. وخسن الظن بالله

وروى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال : « صمود الدين وعاقبة مجده وذروة سنامه : خسن الظن بالله . فمن مات مكم وهو يحسن الظن بالله : دخل الجنة »<sup>(١)</sup> .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه : « والله الذي لا إله غيره : لا يحسن أحد الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه ، وذلك أن الخير بيده » .

وذكر ابن المبارك قال أخبر سفيان : أن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : « إذا رأيتم بالرجل الموت فيشروه ؛ يلقي ربه وهو حسن الظن به ، وإذا كان حياً فمخوفه » .

وقال الفقيهيل : « الحروف أفضل من الرجاء . ما كان العبد صحيحاً فإذا نزل به الموت ، فالرجاء أفضل من الحروف » .

وذكر ابن أبي الدنيا : عن العسر ، قال : قال أنس حين حضرته الوفاة : « يا معتمر حدثني بالرخص ؛ لعلى ألقى الله وأنا حسن الظن به » .

وذكر عن إبراهيم قال : « كانوا يستحبون أن يلقوا العبد محاسن عمله عند الموت ، حتى يحسن ظنه بربه عز وجل » .

وقال ثابت البناني : كان شاب به رهن فلما نزل به الموت انكبت عليه أمه وهي تقول : يا بني قد كنت أحذرک ممرعك منا ، قال : يا أماه : إن لي رباً كبيراً المعروف ، ولاني لأرجو اليوم أن لا يهدمني بعض معروفه .

وقال زيد بن أسلم : « يموتى بالرجل يوم القيامة ، فيقال : انطلقوا به إلى النار فيقول : يا رب فأنى صلاتي وصيالي ؟ فيقول الله تعالى : « اليوم أقطعت من رحمتي كما كنت تقطيط عبادي من رحمتي »<sup>(١)</sup> .

(١) التذكرة للقرطبي [٤٠/١] .

الشفاعة .. وخسن الظن بالله

الثالث : ما حكاه الطبري عن فزعة منها مجاهد . أنها قالت : المقام المحمود : هو أن يجلس الله محمدا ﷺ معه على كرسيه ، وورث في ذلك حديثا . قلت : وهذا قول مرغوب عنه ، وإن صح الحديث ؛ فيتأول على أنه يجلسه مع أنبيائه وملائكته .

الرابع : إخراج طائفة من النار .  
عن يزيد الفقيه ، قال : كنت قد شفتي رأى من رأى الجوارح فخرجنا في عصاة ذوى عدد يزيد الملح ، ثم نخرج على الناس ؛ فمرنا على المدينة ، فإذا جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه يحدث الناس أو القوم إلى سارية عن رسول الله ﷺ ، قال : وإذا هو قد ذكر الجاهلين قال :

قلت له : يا صاحب رسول الله ما هذا الذي نخشون ؟ والله تعالى يقول : **هُوَ رَبُّنَا بِأَنَّكَ مَن تَدْعِلْ أَتَانَا فَتَقْدَأْخَرْتِنَا** ﴿٢١٢﴾ . **هُوَ كَلَّمَآ أَرَادْنَا أَن يَخْرِجَنَا مِنْهَا إِفْتِرَاءً فَبَدَأَ** ﴿٢٢٠﴾ . فسا هذا الذي تتولون ؟ فقال : أتقرأ القرآن ؟

قلت : نعم .  
فقال : فهل سمعت بمقام محمد ﷺ ؟ يعني الذي يعينه الله عز وجل فيه .

قلت : نعم .  
قال : فإنه مقام محمد ﷺ الذي يخرج الله به من يخرج ، وذكر الحديث (١) .  
وفي البخاري من حديث أس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ وفيه وفيه سمعته يقول فأخرج ؛ فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار إلا من حسبه القرآن . أي وجب عليه الجلود . قال : ثم تلا هذه الآية **هُوَ عَصَى أَن يَشَآءَ رَبُّكَ مَقَامًا تَحْتَمُونَا** ﴿١٣٧﴾ [الإسراء : ٢٧] . قال : هو المقام المحمود الذي وعدته بيكم ﷺ (٢) .

الخامس : ما روى أن مقامه المحمود شفاعة رابع أريمة (٣) .

- (١) أخرجه مسلم [١٩١] .  
(٢) أخرجه البخاري [٧٠٠٢] .  
(٣) العذكرة للقرطبي [٢٨٥:٢٨٢/١] .

### الشفاعة .. والمقام المحمود

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا كل أمة جميع فيها يقولون : يا فلان اشفع ، يا فلان اشفع ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يعينه الله المقام المحمود (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه : قال : قال رسول الله ﷺ في قوله : **هُوَ عَصَى أَن يَشَآءَ رَبُّكَ مَقَامًا تَحْتَمُونَا** ﴿١٣٧﴾ [الإسراء : ٢٧] . شغل عنها قال : ه هي الشفاعة (٢) .

قال القرطبي : واختلف الناس في المقام المحمود على خمسة أقوال :  
الأول : أنه الشفاعة العامة للناس يوم القيامة ، قاله حذيفة بن اليمان وابن عمر رضي الله تعالى عنهم .

الثاني : أنه إعطاؤه عليه السلام لواء الحمد يوم القيامة . قلت : وهذا القول لا تنافي بينه وبين الأول فإنه يكون بيده لواء الحمد ، ويشفع .

عن أس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بَعَثُوا ، وَأَنَا خَطِيئَتُهُمْ إِذَا وَفَدُوا ، وَأَنَا مَبْشَرُهُمْ إِذَا أَلْبَسُوا ، لِرِوَاءِ الْحَمْدِ بِوَعْدِي يَسُدُّ ، وَأَنَا أَكْرَمُ رِبْدِ آدَمَ عَلَى رَأْسِي وَلَا فَخْرَ »** (٣) .

وفي رواية : **« أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بَعَثُوا ، وَأَنَا قَائِدُهُمْ إِذَا وَفَدُوا ، وَأَنَا خَطِيئَتُهُمْ إِذَا أَنْصَبُوا ، وَأَنَا شَفِيعُهُمْ ، إِذَا أَلْبَسُوا ، وَأَنَا مَبْشَرُهُمْ إِذَا أَلْبَسُوا ، لِرِوَاءِ الْكِرَامِ يَسُدُّ ، وَأَنَا أَكْرَمُ وَوَلَدِ آدَمَ عَلَى رَأْسِي ، يَعْلَفُ عَلَيْهِ أَلْفُ خَادِمٍ كَانَهُمْ لَوْزُهُ مَكُونُ »** (٤) .

- (١) أخرجه البخاري [٤٤٤١] ، والنسائي في الكبرى [١١٢٩٥] .  
(٢) رواه الترمذي [٣١٣٧] ، وأحمد في المسند [٤٤٤/٧] . وقال الأزرقي : حسن لغيره .  
(٣) رواه الترمذي [٣٦١] . وقال : هذا حديث حسن غريب .  
(٤) رواه الدارمي [٤٨] .

فأما صلة العبد بالرب ، ورحمة الرب للعبد ، والقرصى والورد والندد ، فالإسلام يعزوها ويسكنها في النفس سكناً ؛ ويملأ بها قلب المؤمن ويفيضها عليه فيضاً ؛ ويدعه يعيش في ظلالها الدلالية المملوءة دون ما حاجة إلى خلط طبيعة الأروحية وطبيعة المودية . ودون ما حاجة إلى العيش والركام والرزق والاضطراب الذي لا تبين فيه صورة واحدة واضحة ولا ناصمة ولا محددة (١) ١

○○○

## الشفاعة .. ومقام الأروحية

قال الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى في تأويل قول الله تعالى : هو من ذا الذي يشفع عندهم ألا يؤذونهم ، هذه صفة أخرى من صفات الله ؛ توضح مقام الأروحية ومقام المودية ، فالعبد جميعاً يقفون في حضرة الأروحية موقف المودية ؛ لا يعتمدونه ولا يتجاوزونه ، يقفون في مقام العبد الخاضع الخاضع ؛ الذي لا يقدم بين يدي ربه ؛ ولا يجرؤ على الشفاعة عنده ، إلا بعد أن يؤذن له ، فيخضع للإذن ويشفع في حدوده ، وهم يفاضلون فيما بينهم ، ويفاضلون في ميزان الله . ولكنهم يقفون عند الحد الذي لا يتجاوزه عبد .

إنه الإيحاء بالجلال والرهبة في ظل الأروحية الجميلة العلية . يريد هذا الإيحاء عمقاً صيغة الاستفهام الاستكبارية ؛ التي توحى بأن هذا أمر لا يكون ؛ وأنه مستكر أن يكون . فمن هو هذا الذي يشفع عنده إلا بآذانه ؟ وفي ظل هذه الحقيقة تبدو سائر التصورات المنحرفة للذين جاؤوا من بعد الرسل فخطأوا بين حقيقة الأروحية وحقيقة المودية ، فزعموا لله سبحانه خليفاً يمازجه أو يشاركه بالبنوة أو يعبرها من الصور في أي شكل وفي أي تصور ، أو زعموا له سبحانه سجانه أئامداً يشفعون عنده فيستجيب لهم حتماً . أو زعموا له سبحانه من البشر خليفاء يستمدون سلطانتهم من قرابتهم له . في ظل هذه الحقيقة تبدو تلك التصورات كلها مستكرة مستبعدة لا تخطر على الذهن ؛ ولا تجول في الخاطر ، ولا تلوح بظلالها في خيال ١

وهذه هي النشاعة التي يتميز بها التصور الإسلامي ؛ فلا تدع مجالاً للليس أو وهم ، أو اعتزاز في الرؤية الأروحية أروحية ، والمودية مودية . ولا مجال الاعتناء طبيعتها أدنى التقاء . والرب رب ، والعبد عبد . ولا مجال للمشاركة في طبيعتها ولا التقاء .

(١) في ظلال القرآن [ ص : ٢٨٨ وما بعدها ] .

## الشفاعة .. أنواع

قال ابن أبي العز الطنفي شارح الطحاوي : الشفاعة أنواع : منها ما هو متفق عليه بين الأمة ، ومنها ما يخالف فيه المعتزلة ونحوهم من أهل البدع .

الشفاعة الأولى : وهي المطلبية ، الخاصة ببينا ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، صلوات الله عليهم أجمعين في حياي الرب سبحانه وتعالى لفصل القضاء ، كما ورد هذا في حديث الصور<sup>(١)</sup> ، فإنه المقصود في هذا المقام ، ومقتضى سياق أول الحديث ، فإن الناس إنما يستشفعون إلى آدم فمن بعده من الأنبياء في أن يفصل بين الناس ويستريحوا من مقامهم ، كما دلت عليه سياقاته من سائر طرقه ، فإذا وصلنا إلى الجراء إنما يذكر الشفاعة في عصاة الأمة وإخراجهم من النار . وكان مقصود السلف . في الاقتصار على هذا المقدم من الحديث . هو الرد على المخارج ومن تابعهم من المعتزلة ، الذين أنكروا خروج أحد من النار بعد دخولها ، فيذكرون هذا القدر من الحديث الذي فيه النص الصريح في الرد عليهم ، فيما ذهبوا إليه من البدعة المخالفة للاحادِيث . وقد جاء التصريح بذلك في حديث الصور ، ولولا حروف الإطالة ؛ استقته بطوله ، لكن من مضمونه : أنهم يأثرون آدم ثم نوحاً ، ثم إبراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى ﷺ بأثرون رسول الله محمداً ﷺ ، فيذهب فيسجد تحت العرش في مكان يقال له : الفحص ، فيقول الله : ما شأنك ؟ وهو أعلم ، قال رسول الله ﷺ : يا رب ، وعدتني الشفاعة ؛ فشفعتني في خلقك ، فاقض بينهم ، فيقول سبحانه وتعالى : شفيعك ، أنا أتيكم ؛ فاقض بينهم ، قال : فأرجع فأوقف مع الناس ، ثم ذكر اشتقاق السموات ، وتناول الملائكة في القيام ، ثم يحيى والرب . سبحانه وتعالى ؛ لفصل القضاء ، والكروبيون

(١) رواه أحمد في المسند [٤٢٥/٢] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، وقال الأربوزط : إسناده صحيح على شرط الشيخين ، وصححه الألباني في خلال الجنة [٨١١] .

والملائكة المقربون يسمون بأنواع التسبيح ، قال : فيضع الله كرسيه حيث شاء عن أرضه ، ثم يقول : يا بني أنصت لكم منذ خلقكم إلى يومكم هذا أسمع أقرالكمه وأرى أعضالكم ؛ فأنصتوا لي ، فإنا هي أعضالكم ومصحفكم تقرأ عليكم ، فمن رأى خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، إلى أن قال ﷺ : وإذا أفضى أهل الجنة إلى الجنة ، قالوا : من يشفع لنا إلى ربنا فندخل الجنة ؟ فيقولون : من أحق بذلك من أيكم ، إنه خلقه الله بيده ، وفتح فيه روحه ، وكلمه فجلاً ؛ فيأثرون آدم ؛ فيطلبون ذلك إليه ، وذكر نوحاً ، ثم إبراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى ، ثم محمداً ﷺ .. إلى أن قال : قال رسول الله ﷺ : لا فائز الجنة ، فأخذ بحلقه الباب ، ثم استفتح ، ففتح لي ، فأجأ ويرحب بي ، فإذا دخلت الجنة فنظرت إلى ربي . عز وجل . خربت له ساجداً ، فيأذن لي من حمده وتحميده بشيء ما أذن به لأحد من خلقه ، ثم يقول الله لي : ارفع يا محمد واشفع تشفع ، وسل تعطه ، فإذا رفعت رأسي ، قال الله . وهو أعلم : ما شأنك ؟ فأقول : يا رب ، وعدتني الشفاعة ، فشفعتني في أهل الجنة يدخلون الجنة ، فيقول الله . عز وجل : قد شفعتك ، وأذنت لهم في دخول الجنة . الحديث . رواه الأئمة : ابن جرير في تفسيره ، والطبراني ، وأبو يعلى الموصلي ، والبيهقي وغيرهم<sup>(١)</sup> .

النوع الثاني والثالث من الشفاعة : شفاعتهم ﷺ في أروام قد تسارت حسنتهم وسيئاتهم ، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة ، وفي أروام آخرين قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها .

(١) قال الألباني : ضعيف ، أخرجه ابن جرير في تفسيره كما ذكر الشارح [٢١/٢٣٠] طريق إسماعيل بن رافع الذي عن يزيد بن أبي زياد وكلاهما ضعيف بضعفهما عن رجل من الأنصار ، وهو مجهول لم يسم ، وقول الحافظ ابن كثير في تفسيره [١/٢٤٨] : رجل من الأنصار ، وهو مجهول مشهور .. الخ ، لا يستلزم صحته كما لا يخفى على أهل العلم . [٢١٣/٤]

فخالقوا في ذلك ؛ جهلاً منهم بصحة الأحاديث ؛ وصادأ عن علم ذلك واستمر على بدعته . وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضاً . وهذه الشفاعة تنكر منه عليه السلام أربع مرات . ومن أحاديث هذا النوع ، حديث أنس بن مالك . رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله عليه السلام : « شفاعة أهل الكباير من أمي » . رواه الإمام أحمد <sup>(١)</sup> رحمه الله .

وروى البخارى . رحمه الله . في كتاب « الترجيد » : حدثنا سليمان بن حرب ، وحدثنا حماد بن زيد ، حدثنا ميمد بن هلال العنزي ، قال : اجتمعنا ، نأش من أهل البصرة ، فذهبنا إلى أنس بن مالك ، وذهبنا معنا بيات البياني إليه ، يسأله لنا عن حديث الشفاعة ، فإذا هو في قمره ، فوافقناه يصلى الفجرى ، فاستأذنا ؛ فإذا لنا وهو قاعد على فراشه ، فقلنا لثابت : لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة ، فقال : يا أبا حمزة ، هؤلاء إخوانك من أهل البصرة ، جارك يسألك عن حديث الشفاعة ، فقال : حدثنا محمد عليه السلام ، قال : إذا كان يوم القيامة ، من حاج الناس بعضهم في بعض ؛ فيأتون آدم ، فيقولون : اشفع لنا إلى ربك ، فيقول : لست لها ولكن عليكم إبراهيم ؛ فإنه خليل الرحمن ؛ فيأتون إبراهيم ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم موسى ، فإنه كلم الله ؛ فيأتون موسى ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم يعيسى ؛ فإنه روح الله وكلمته ؛ فيأتون عيسى ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم محمد عليه السلام ؛ فيأتونى ؛ فيأتونى ، أنا لها ، فاستأذن على رضى ؛ فيؤذنى لى ، ويلهمنى محامد أحصاه بها ، لا تحضرنى الآن ، فأحصاه بذلك الجاهل ، وأخبر له ساجداً ، فيقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، واشفع تشفع ، ورسل تعط ، فأقول . يا رب أمي أمي ، فيقال : انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مقال شجيرد من إيمان ، فأطلق فأفصل ، ثم أعرد فأحمد . تلك

(١) رواه أبو هريرة [٤٧٣٩] ، والترمذى [٢٤٢٥] ، وأحمد في المسند [٢١٣/٣] قال الألبانى : صحيح وله طرق وشراهد المشكاة [٥٥٩٩، ٥٥٩٨] .

النوع الرابع : شفاعته عليه السلام في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقضيه ثواب أعمالهم . وقد وافقت المعتزلة هذه الشفاعة خاصة ، وخالقوا فيما عداها من المقامات ، مع تنازل الأحاديث فيها .

النوع الخامس : الشفاعة في أرقام أن يدخلوا الجنة بغير حساب ، ويحسن أن يستشهد لهذا النوع بحديث عكابة بن محسن ، حين دعاه رسولا الله عليه السلام أن يجعله من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، والحديث مخرج في الصحيحين <sup>(١)</sup> .

النوع السادس : الشفاعة في تخفيف العذاب عن مستحقه ، كشفاعته في عهده أبى طالب أن يخفف عنه عذابه <sup>(٢)</sup> . ثم قال الترمطى في « الفذكرة » بعد ذكر هذا النوع : « وإن قيل : فقد قال تعالى : ﴿ قَدْ نَعَّمْنَا سُنَّاتٍ لِّلنَّبِيِّينَ ﴾ . قيل له : لا تنعمه في الخروج من النار ، كما تنفع عصاة الوحدين ، الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة .

النوع السابع : شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة ، كما تقدم . وفي « صحيح مسلم » عن أنس . رضى الله عنه ، أن رسول الله عليه السلام قال : « أنا أول شفع في الجنة » <sup>(٣)</sup> .

النوع الثامن : شفاعته في أهل الكباير من أمته ، عن دخول النار ، فيخرجون منها ، وقد توارث بهذا النوع الأحاديث . وقد خفى علم ذلك على الجوارح والمعتزلة ؛

(١) أخرجه البخارى [١٥٤١] عن عكابة بن محسن رضى الله تعالى عنه ، وسلم [٣١٧/٢١٦] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه .

(٢) أخرجه البخارى [٢١٢٠٨] ، وسلم [٣١٦٠/٢١] عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أنه سمع النبي عليه السلام وذكر عنده عنه فقال : « والله تنعمه شفاعة يوم القيامة فيحصل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه يلقى منه دماقه ، واللفظ لاسم .

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم [٢٣٢/٩٦] .

ثم إن الناس في الشفاعة على ثلاثة أقوال : فالشركون والنصارى واليبدوون من العلة في المشايخ وغيرهم : يجعلون شفاعة من يعظمونه عند الله كالشفاعة المبرورة في الدنيا . والمترلة والبراج أكرروا شفاعة نبينا ﷺ وغيره في أهل الكبار ، وشفاعة ربنا أما أهل السنة والجماعة ، فيقولون بشفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبار ، وشفاعة غيره ، لكن لا يشفع أحد حتى يأذن الله له ويخذه له حتماً (١) .

فالخاصل أن الشفاعة عند الله ليست كالشفاعة عند البشر ، فإن الشفيع عند البشر كما أنه شافع للطالب شفعة في الطلب ، بمعنى أنه صار شفيعاً فيه بعد أن كان وزيراً ، فهو أيضاً قد شفيع المتشوق إليه ، وشفاعته صار فاعلاً للمطلوب ، فقد شفيع الطالب والمطلوب منه ، والله تعالى وتر ، لا يشفعه أحد ، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، فالأمر كله إليه ، فلا شريك له بوجه . فسيد الشفاء يوم القيامة إذا سجد وحمد الله تعالى فقال الله : و ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وارسال تعطه ، وانشفع تشفع ، فيحد له حتماً فيدخلهم الجنة ، فالأمر كله لله . كما قال تعالى : **قُلْ إِنَّ الْآخِرَ كَأَوْلَهُ** [آل عمران : ١٥٤] .

وقال تعالى : **قُلْ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْآخِرِ شَيْءٌ** [آل عمران : ١٧٨] وقال تعالى : **قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ** [الأنعام : ١٥٤] .

فإذا كان لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه لمن يشاء ، ولكن يكرم الشفيع بقبول شفاعته ، كما قال ﷺ : و اشفعوا توجروا ، ويقضى الله على لسان نبيه ما يشاء (٢) . وفي الصحيح : عن النبي ﷺ : و لا ألفين أحدكم يأتي يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء ، أو شاة لها يعلر ، أو رفاع تخفق ، فيقول : أغنني أغنني ، فأقول : قد أبغيتك ، لا أملك لك من الله من شيء . فإذا كان سيد الخلق

(١) أخرجه البخاري [٦٥٥٦] ومسلم [٣٢٧١/١٩٩٢] عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه .  
(٢) أخرجه البخاري [١٤٢٢٧] ومسلم [١٤٥/٢٦٧٧] عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه .

الحامد ، ثم آخر له ساجداً ، فيقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وانشفع تشفع ، ورسول تعط ، فأقول : يا رب أمي ، فيقال : انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مقال ذرة أو خردلة من إيمان ، فأقول ، ثم أعود بذاك الحامد ، ثم آخر له ساجداً ، فيقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، ورسول تعط ، وانشفع تشفع ، فأقول : يا رب ، أمي أمي ، فيقول : انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مقال حبة من خردل من إيمان ، فأخرجه من النار ، فأطلق فأقول . قال : فلما خرجنا من عند أنس ، قلت لبعض أصحابنا لو مررتنا باليمن ، وهو مزار في منزل أبي خليفه ، فحدثناه بما حدثنا به أنس بن مالك ، فأبناه ، فسلمنا عليه ، فأذن لنا ، قلنا له : يا أبا سعيد ، جئناك من عند أبيك أنس بن مالك ، فلم تر مثل ما حدثنا في الشفاعة ، فقال : فيه ؟ فحدثناه بالحديث ، فانتهي إلى هذا الموضع ، فقال : فيه ؟ قلنا لم يزل لنا على هذا ، فقال : لقد حدثني وهو جميع ، منذ عشرين سنة ، فما أدري ، أنسى أم كره أن تكلموا ؟ قلنا : يا أبا سعيد ، فحدثنا ، فضحك ، وقال : نحن الإنسان عجولاً ما ذكرته إلا وأنا أريد أن أحدثكم ، حدثني كما حدثكم به ، قال : ثم أعود الرابعة ، فأحمد بذاك الحامد ، ثم أريد له ساجداً ، فيقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يسمع ، ورسول تعطه ، وانشفع تشفع ، فأقول : يا رب ، الآن لي فيمن قال : لا إله إلا الله ، فيقول : وعزني وجلالي ، وكبريائي وعظمي ، لأخرجن منها من قال : لا إله إلا الله ، وهكذا رواه مسلم (١) .

وفي الصحيح : من حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً ، قال : و يقول الله تعالى : شفعت الملائكة ، وشفيع التبرون ، وشفيع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار ؛ فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط ، الحديث (٢) .

(١) أخرجه البخاري [٢٧٥١٠] .  
(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري [٧٤٢٩] ومسلم [٣٠٢/١٨٧٢] .

## إثبات الشفاعة والرد على المعتزلة

من تفسير العلامة

فخر الدين الرازي

- الشفاعة .. بين الإثبات والنفي .
- إثبات الشفاعة .

وأفضل الشفاعة يقول لأخص الناس به : و لا أملك لكم من الله من شيء (١)  
فما العطن بعنزه ؟ وإذا دعاه الماضي ، وشفع عنده الشفيخ ، فسمع الدعاء ، وقيل  
الشفاعة ، لم يكن هنا هو المؤثر فيه كما يؤثر الخلق في الخلق ، فإنه سبحانه  
وتعالى هو الذي جعل هذا يدعو ويشفع ، وهو الخالق لأعمال العباد ، فهو الذي  
وَقَّع العبد للتوبة ثم قبلها ، وهو الذي وقفه للعمل ثم أتاه ، وهو الذي وقفه للدعاء  
ثم أجابه . وهذا مستقيم على أصول أهل السنة المؤتمنين بالقدر ، وأن الله جلّ جلاله  
كل شيء (٢)

○○○

(١) أخرجه البخاري [٣٠٧٢] ومسلم [٢٤/١٨٣٧] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .  
(٢) شرح المفيدة الطحاوية [ ص : ٩٩٢/٩٣٢ ] بتصريف .

## الشفاعة .. بين الإيجاب والنفي

قوله تعالى : ﴿وَإِنَّمَا يَوْمًا لَا يُجْرَىٰ فِيهِ النَّفْسُ مِن نَّفْسِ الْيَتِيمِ وَلَا يُفْعَلُ فِيهَا مَقْتَتَةٌ وَلَا يُؤْتَىٰ مِنهَا مَسَدٌ وَلَا يُعْمَرُونَ﴾ [البقرة : ٢٤٨] .  
اعلم : أن اتقاء اليوم : اتقاء ما يحصل في ذلك اليوم من العقاب والشدائد ، لأن نفس اليوم لا يبقى . ولا بد من أن يورده أهل الجنة والنار جميعاً . فالمراد : ما ذكرناه . ثم إنه تعالى وصف اليوم بأشد الصفات وأعظمها تهويلاً ، وذلك لأن العرب إذا ذُفِع أحدهم إلى كربهة وحاولت أعوانه دفع ذلك عنه ؛ بذلت ما في نفوسها الأثيمة من مقتضى الحمية ، فلدبت عنه ، كما يذب الولد عن ولده ، بعاقبة قوته . فإن رأى من لا طاقة له بممانعته ؛ عاد بوجوه الضراعة وصنوف الشفاعة ، فحاول بالآية ما قصر عنه بالخشنة . فإن لم تنفع عنه الحائتان من الخشونة والليان ، لم يبق بعده إلا فداء الشيء بمثله . إما مال أو غيره . وإن لم تنفع عنه هذه الثلاثة تعلل بواجبه من نصر الأخلاء والإخوان . فأخبر الله سبحانه أنه لا يبقى شيء من هذه الأمور عن المجرمين في الآخرة .

بقي على هذا الترتيب سؤالان :

السؤال الأول : الفائدة من قوله : ﴿لَا يُجْرَىٰ فِيهِ النَّفْسُ مِن نَّفْسِ الْيَتِيمِ﴾ هي الفائدة من قوله : ﴿لَا تُفْعَلُ فِيهَا مَقْتَتَةٌ وَلَا يُؤْتَىٰ مِنهَا مَسَدٌ وَلَا يُعْمَرُونَ﴾ فما المقصود من هذا التكرار ؟

والجواب : المراد من قوله : ﴿لَا يُجْرَىٰ فِيهِ النَّفْسُ مِن نَّفْسِ الْيَتِيمِ﴾ : أنه لا يحصل عنه غيره ما يلزمه من الجراء . وأما النصرة : فهي أن يحاول تخليصه عن حكم المماقب . وسند ذكره فرقاً آخر إن شاء الله تعالى .

السؤال الثاني : إن الله تعالى قدم في هذه الآية قول الشفاعة على أخذ القديمة ، وذكر هذه الآية في هذه السورة بعد العشرين والمائة ، وقدم قول القديمة على ذكر الشفاعة . فما الحكمة فيه ؟

محدروف . تقديره : لا تجزى فيه . ومعنى التكثير : أن نفساً من الأنفس لا تجزى عن نفس غيرها شيئاً من الأشياء . وهو الإقواط الكلى القاطع للمطامع .  
 وإنما قوله تعالى : ﴿ هُوَ وَلَا يُقْبَلُ مِنَّا شَيْئًا ﴾ فالشفاعة أن يستوجب أحد لأحد شيئاً . ويطلب له حاجة . وأصلها : من الشفع الذي هو ضد الوتر ، كان صاحب الحاجة كان فوراً ففصل الشفيع له شيئاً . أى صار زوجاً .

وأصله : أن الضمير في قوله : ﴿ هُوَ وَلَا يُقْبَلُ مِنَّا ﴾ راجع إلى النفس الثانية العاصية . وهى التى لا يؤخذ منها عدل ، ومعنى لا يقبل منها شفاعة : أنها إن جاءت بشفاعة شفيع ؛ لا يقبل منها . ويحوز أن يرجع إلى النفس الأولى ، على أنها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها . كما لا تجزى عنها شيئاً .

وأما قوله تعالى : ﴿ هُوَ وَلَا يُؤْتِنَا مِنَّا عَدْلًا ﴾ أى فدية . وأصل الكلمة : من معاداة الشيء . تقول : ما عدل بفلان أحداً ، أى : لا أرى له نظيراً . قال تعالى : ﴿ هُوَ يُؤْتِنَا كَثْرًا بِرَبِّهِمْ يُعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام : ١١١] ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿ هُوَ يُؤْتِنَا كَثْرًا بِرَبِّهِمْ يُعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام : ١١١] .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ إِنْ أَرَادَ لِيُضِلَّنَا مَا ثَبَتْنَا لِي فِيهِ فَذَرُونَاهُ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الأنعام : ١٦١] .  
 وقال : ﴿ هُوَ وَإِن تَعَدَّلَ لَكُمْ لَمْ نَحْنُقْ بِكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٦١] .  
 وقال : ﴿ هُوَ وَإِن تَعَدَّلَ لَكُمْ لَمْ نَحْنُقْ بِكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٦١] .  
 وقال : ﴿ هُوَ وَإِن تَعَدَّلَ لَكُمْ لَمْ نَحْنُقْ بِكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٦١] .

وأما قوله تعالى : ﴿ هُوَ وَلَا يُمْسِكُونَ ﴾ فاعلم : أن العناصر إنما يكون فى الدنيا بالمخالطة والقرابة . وقد أخصر الله تعالى أنه ليس يومئذ حلة ولا شفاعة وأنه لا أنساب بينهم ، وإنما الله يفر من أخيه وأبيه وقربائه . قال القفال : والنصر بمراد به المعونة . كقوله : ه انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً (١) ومعنى الإغاثة . تقول

(١) أخرجه البخارى [٢٤٤٣٦ ، ٢٤٤٤٤] والترمذى [٢٢٥٥] عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه .

الجواب : أن من كان موله إلى حب المال أشد من موله إلى علو النفس ؛ فإنه يقدم التمسك بالشافعين على إعطاء الفدية ، ومن كان بالمكس يقدم الفدية على الشفاعة فقيادة بغيب الترتيب : الإشارة إلى هذين الصنفين .  
 ولذا ذكر الآن تفسير الألفاظ :

أما قوله تعالى ﴿ هُوَ لَا يُجْزَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ فقال القفال : الأصل فى جزى هذا . عند أهل اللغة . قضى . ومنه الحديث : أن رسول الله ﷺ قال لأبي بردة ابن يسار : ه تجزىك ولا تجزى أحداً بملك (١) هكذا يرويه أهل العربية ه تجزىك ه يفتح التاء غير مهموز . أى تقضى عن أضحيك وتزوب ، ومعنى الآية : أن يوم القيامة لا تزوب نفس عن نفس شيئاً ، ولا تحمل عنها شيئاً مما أصابها ، بل يفر الله فيه من أخيه وأمه وأبيه . ومعنى هذه النجاة : أن طاعة المطيع لا تقضى على العاصي ما كان راجعاً عليه . وقد تقع هذه النجاة فى الدنيا كالرجل يقضى عن قريبه وصديقه دينه ويتحمل عنه ، أما يوم القيامة فإن قضاء المحقوق إنما يقع فيه من الحسنات . روى أبو هريرة قال : قال عليه السلام : ه رحم الله عبداً كانت

لأخيه مظلمة عنده فى عرض أو مال فجاهه ، فاستحله قبل أن يؤخذ وليس ثم دينار ولا درهم . فإن كانت له حسنات ، أخذ من حسناته ، وإن لم تكن له حسنات ؛ حلقه عليه من سيئاتهم (٢) قال صاحب الكشاف : وه شئنا ه مفعول به ويحوز أن يكون فى موضع مصدر أى قليلاً من الجراء . كقوله تعالى :

﴿ هُوَ وَلَا يَحْكُمُونَ شَيْئًا ﴾ [سورة : ١٦٠] ومن قرأ : ﴿ هُوَ لَا يُجْزَى ﴾ [سورة : ٢٣٣] من أجرأ عنه إذا أعنى عنه فلا يكون فى قراءته إلا بمعنى شيئاً من الأجزاء وهذه الجملة منصوبة المحل ، صفة ليوماً . فإن قيل : فالن العائد منها إلى المرصوف ه قلنا : هو

(١) ذكره الإمام الشافعى فى الأم [١٣٢/٢] .  
 (٢) رواه الترمذى [٢٢٤١٩] ، وابن حبان فى صحيحه [٧٣٦٢٠١١] ، وأبو يعلى فى مسنده [١٢٥٣٩/٤١٣/١١] . وقال الأزهري : إسناده قوى رجاله ثقات .

وقال أصحابنا تأثيرها في إسقاط العقاب عن المستحقين للعقاب ؛ إما بأن  
يشفع لهم في عرصة القيامة ، حتى لا يدخلوا النار .  
وإن دخلوا النار فيشفع لهم ، حتى يخرجوا منها ويدخلوا الجنة . واتفقوا على  
أنها ليست للكفار .

○○○

المرتب : أرض منصوره . أي مطبورة ، والبيت ينصر البلاد إذا أُنبتا . فكأنه أفادت  
أهلها . وقيل في قوله تعالى : **هُوَ مَنْ كَانَتْ يَمْكُلُ أَنْ تَنْصُرَهُ اللَّهُ** [المع: ١٠٥] :  
أي أن الله عز وجل كما يورق اللبنة بالبلاد .  
وسمى الانتقام نصرة وانتصاراً . قال تعالى : **هُوَ وَنَصْرِيهِ مِنَ الْفَيْزِ الْأَبْدِيِّ**  
**كَلْبًا بِأَبْنَيْتًا** [الأنبياء: ٢٧٧] قالوا : معناه فانتقمنا له . فقوله تعالى : **هُوَ وَلَا تُمْ**  
**يُنصُرُونَ** [يحمل هذه الرجوه فإنهم يوم القيامة لا يعاينون ، ويحصل : أنهم إذا  
عدلوا لم يجدوا من ينتقم لهم من الله . وفي الجملة : كأن النصر هو دفع الشكائد ،  
فأخبر الله تعالى أنه لا دافع هناك من عنابه .  
يبقى في الآية مسألان :  
المسألة الأولى : أن في الآية أعظم تحذير عن الماصي ، وأقوى ترغيب في تلافئ  
الإنسان ما يكون منه من المعصية بالتوبة ؛ لأنه إذا تصور أنه ليس بعد الموت  
استدراك ولا شفاعة ولا نصرة ولا فدية ؛ علم أنه لا خلاص له إلا بالطاعة ، فإذا  
كان لا يأمن كل ساعة من التقصير في العبادة ، ومن فورت التوبة من حيث إنه لا  
يقين له في البقاء ؛ صار حذراً خائفاً في كل حال . والآية وإن كانت في بني  
إسرائيل فهي في المعنى مخالفة للكل ؛ لأن الرفض الذي ذكر فيها ؛ وصف لليوم .  
وذلك يعم كل من يحضر في ذلك اليوم .  
المسألة الثانية : أجمعت الأمة على أن لعمد **سَيِّئًا** شفاعة في الآخرة . وحصل  
على ذلك : قوله تعالى : **هُوَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا** [الإسراء: ٢٧٩]  
وقوله تعالى : **هُوَ وَكَسْرَتُ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** [الغنى: ١٥٠] .  
ثم اختلفوا بعد هذا في أن شفاعته عليه السلام لمن تكون ؟ أكرن للمؤمنين  
المستحقين للثواب ، أم تكون لأهل الكبائر المستحقين للعقاب ؟  
فذهبت المذاهب على أنها للمستحقين للثواب . وتأثير الشفاعة في أن تحصل  
زيادة من المنافع على قدر ما استحقوه .

افترا يوماً لا أسقط فيه عقاب المستحق للمقاب بشفاعة شفيع ، لكان ذلك زجرًا

عن الماضي . فثبت : أن المقصود من الآية : نفى تأثير الشفاعة في إسقاط

العقاب ، لا نفى تأثيرها في زيادة المنافع .

وثانيها : قوله سبحانه وتعالى : **هُوَ مَا الظَّالِمِينَ مِنْ حَسْبِهِ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ**

والظالم هو الاتي بالظلم . وذلك يتناول الكافر وغيره . لا يقال : إنه تعالى **تَفِيعَاتِ**

يكون للظالمين شفيع يطاع ، ولم ينف شفيعاً يجاب . ونحن نقول بوجهه ؛ فإنه لا

يكون في الآية شفيع يطاع ، لأن المطاع يكون فوق المطيع ، وليس فوقه تعالى

أحد يطيعه الله تعالى .

قال الرازي : لأننا نقول : لا يجوز حمل الآية على ما قلتم من وجهين :

الأول : أن العلم بأنه ليس فوقه تعالى أحد يطيعه ؛ متفق عليه بين المعتاد .

أما من أثبت سبحانه ؛ فقد اعترف أنه لا يطيع أحداً ، وأما من فناه ؛ فمع القول

بالنفي ؛ استحالة أن يعتقد فيه كونه مطيعاً لغيره . فإذا ثبت هذا كان حمل الآية

على ما ذكرتم حملاً لها على معنى لا يقيد .

الثاني : أنه تعالى نفى شفيعاً يطاع ؛ والشفيع لا يكون إلا دون المشفوع إليه ؛

لأن من فوقه يكون أمره وحكاماً عليه . وبشأنه لا يسمى شفيعاً . فأفاد قوله :

**هُوَ شَفِيعٌ** كونه دون الله تعالى فلم يمكن حمل قوله : **هُوَ يُطَاعُ** على من يفقيه ،

فوجب حمله على أن المراد به : أنه لا يكون لهم شفيع يجاب .

وثالثها : قوله تعالى : **هُوَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا يَنْبَغُ فِيهِ وَلَا حُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ**

ظاهر الآية يقتضي نفى الشفاعات بأسرها .

ورابعها : قوله تعالى : **هُوَ وَكَانَ الْغَالِيُونَ مِنْ أَنْصَارِهِ** ، ولو كان الرسول

يشفع للفاقد من أمته ؛ لوصفوا بأنهم منصورون ؛ لأنه إذا تخلص بسبب شفاعة

الرسول عن العقاب ؛ فقد بلغ الرسول النهاية في نصرته .

### أدلة المعتزلة في إنكار الشفاعة والرد عليها

قال العلامة فخر الدين الرازي : وأسماحت المعتزلة على إنكار الشفاعة لأهل الكبار بوجوه :

أحدها : هذه الآية . قالوا : إنها تدل على نفى الشفاعة من ثلاثة أوجه :

الأول : قوله تعالى : **هُوَ لَا يَجْزِي نَفْسٍ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً** وهو أثرت الشفاعة في

إسقاط العقاب ، لكان قد أثرت نفس عن نفس شيئاً .

الثاني : قوله تعالى : **هُوَ وَلَا يُثْقِلُ رِثَةً شَقِيَّةً** وهذه نكرة في سياق النفي فتعم

جميع أنواع الشفاعة .

والثالث : قوله تعالى : **هُوَ وَلَا تُمْ يُعْتَرُونَ** ولو كان محمد شفيعاً لأحد من

المصاة ؛ لكان ناصراً له . وذلك على خلاف الآية .

قال الرازي لا يقال : الكلام على الآية من وجهين :

الأول : أن اليهود كانوا يرفعون أن آباؤهم يشفعون لهم ، فأيسرو من ذلك

والآية . نزلت فيهم .

الثاني : أن ظاهر الآية يقتضي نفى الشفاعة مطلقاً إلا أن أجمعنا على تطويق

التخصيص إليه في حق زيادة الثواب لأهل الطاعة . فنحن أيضاً نخصمه في حق

المسلم صاحب الكبيرة بالدلائل التي نذكرها ؛ لأننا نجيب : عن الأول : بأن العمرة

بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

وعن الثاني : أنه لا يجوز أن يكون المراد من الآية نفى الشفاعة في زيادة المنافع ؛

لأنه تعالى حذر من ذلك اليوم بأنه لا تنفع فيه شفاعة ، وليس يحصل التحطير إذا

رجع نفى الشفاعة إلى تحصيل زيادة النفع ؛ لأن عدم حصول زيادة النفع ليس فيه

خطر ولا ضرر . بين ذلك ؛ أنه تعالى لو قال : افترا يوماً لا يزيد فيه منافع

المستحق للثواب بشفاعة أحد ؛ لم يحصل بذلك زجر عن الماضي . ولو قال :

في أن يذبوا ثم يتوبوا ، وإنما يعرضون في أن يوقفهم للتوبة ، إذا كانوا مذنبين . وكذا  
الرضيخين مشروطة بشرط ، وهو تقديم الإصرار ، وتقديم الذنب .

لذا نقول : الجواب عنه من وجهين :

الأول : ليس يجب إذا شرطنا شرطاً في قولنا : اللهم اجعلنا من العارفين ؛ أن

زيد شرطاً في قولنا : اجعلنا من أهل الشفاعة .

الثاني : أن الأمة في كلتا الرغبتين إلى الله تعالى يسألون منه تعالى أن يفعل بهم  
ما يصلحهم إلى المغرب فيه . ففي قولهم : اجعلنا من التوابين ، أنهم يعرضون في أن  
يوقفهم للتوبة من الذنوب ، وفي الثاني يعرضون في أن يفعل بهم ما يكوزون عنده  
أهلاً لشفاعته عليه السلام ، فلو لم تحصل أهلية الشفاعة إلا بالخروج من الدنيا  
مصرراً على الكبائر ؛ وكان سؤال أهلية الشفاعة سؤالاً للإخراج من الدنيا حال  
الإصرار على الكبائر ، وذلك غير جائز بالإجماع . أما على قولنا : إن أهلية  
الشفاعة إنما تحصل بالخروج من الدنيا مستحقاً للتواب ؛ كان سؤال أهلية الشفاعة  
حسناً . فظهر الفرق .

وثامها : أن قوله تعالى : ﴿ هُوَ وَكَأَنَّ الْعَمَلُ لَكَ بِخَيْرٍ ﴾ [سورة الأعراف] يوم الدين ﴿١٣﴾ وكما  
﴿ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ ﴾ [الأنعام] يدل على أن كل الفجار يدخلون النار ، وأنهم  
لا يغيرون عنها . وإذا ثبت أنهم لا يغيرون عنها ثبت أنهم لا يخرجون منها . وإذا كان  
كذلك ؛ لم يكن للشفاعة أثر لا في الصفو عن العقاب ولا في الإخراج من النار بعد  
الإدخال فيها .

وثامها : قوله تعالى : ﴿ هُوَ بِذُنُوبِ الْإِنسِ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ [يونس: ٢٣]  
نفى الشفاعة ضمن لم يأذن في شفاعته . وكذا قوله : ﴿ هُوَ مِنْ ذَا الْعَرْشِ يَنْتَظِعُ عِنْدَهُ  
إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وكذا قوله تعالى : ﴿ هُوَ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا مَنْ أُوذِنَ لَهُ  
أَرْجُوهُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [الحا: ٢٧٨] وأنه تعالى لم يأذن في الشفاعة في حق أصحاب  
الكبائر ؛ لأن هذا الإذن لو عُرف ، لسرف إما بالعقل أو بالقل . أما العقل فلا مجال

الشفاعة .. للرازي

وخامسها : قوله تعالى : ﴿ هُوَ وَكَأَنَّ يَتَكَلَّمُ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ ﴾ [سورة الأعراف] أخبر تعالى عن  
ملاكه أنهم لا يشفعون لأحد إلا أن يرتضيه الله عز وجل ، والشافع ليس يرتضيه  
عند الله تعالى ، وإذا لم تمنع الملاحة له كلنا الأبياء عليهم السلام ؛ لأنه لا قائل  
بالفرق .

وسادسها : قوله تعالى : ﴿ هُوَ قَدْ تَبَيَّنَ حَقِّقَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [سورة الأعراف] ولو أثرت الشفاعة  
في إسقاط العقاب ، لكانت الشفاعة قد تنفعهم . وذلك ضد الآية .  
وسابعها : أن الأمة مجمعة على أنه ينبغي أن نرغب إلى الله تعالى في أن يجعلنا من  
أهل شفاعته عليه السلام ويقولون في جملة أدعيتهم : واجعلنا من أهل شفاعته (١) ؛  
فلو كان المستحق للشفاعة هو الذي خرج من الدنيا مصرراً على الكبائر ؛ لكانوا قد  
رغبوا إلى الله تعالى في أن يختم لهم مصيرين على الكبائر .

قال الرازي : لا يقال : لم لا يجوز أن يقال : إنهم يعرضون إلى الله تعالى في أن  
يجعلهم من أهل شفاعته إذا خرجوا مصيرين ، لا أنهم يعرضون في أن يختم لهم  
مصيرين ، كما أنهم يقولون في دعواتهم : اجعلنا من التوابين (٢) ، وليسوا يعرضون

(١) قال رسول الله ﷺ : أتاني آت من ربي عز وجل فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة  
وربما الشفاعة فاخترت الشفاعة . قلنا : نذكر الله والصحة إلا جعلنا من أهل شفاعتك .  
قال : أتممت بهم ، ثم مضيت فبقي والرجل والرجلان فيخرجهم بالذي أخصرنا به ، فبدكره الله  
والصحة إلا جعلهم من أهل شفاعته ، فيقول : فإنكم منهم حتى انتهى الناس فأضربوا عليه  
وقالوا : اجعلنا منهم ، قال : فأنى أشهدكم إنها لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً .  
رواه أحمد في المسند [٣٢٧/١] عن عوف بن مالك الأشجعي .

(٢) روى الترمذي [٢٥٥] ، وابن ماجه [٤٧٠] عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال :  
قال رسول الله ﷺ : ه من ترضى فأحسن الرضوه ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله  
لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم اجعلني من التوابين ، واجعلني من  
الطاهرين ، فتمت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء . ورضحه الألباني في  
صحيح ابن ماجه [٣٨٠٧] .

الشفاعة .. للرازي

لا يقول ذلك ، وكيف يجوز أن يكون شفيعاً لهم في الخلاص من العقاب الدائم ، وهو يتمتع شربة ماء ؟

**الثاني :** روى عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله : أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة : يا كعب بن عجرة أعيذك بالله من إهارة السفهاء . إنه سيكون أمره من دخل عليهم فأعانهم على ظلمهم وصدقتهم بكذبهم فليس مني ولست منه ولن يرد على الحوض . ومن لم يدخل عليهم ، ولم ينتهم على ظلمهم ، ولم يصدقهم بكذبهم ؛ فهو مني وأنا منه . وشترؤ على الحوض . يا كعب بن عجرة الصلاة قرآن ، والصوم جنة ، والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفى الماء النار ، يا كعب بن عجرة لا يدخل الجنة لحم نبت من سمحت<sup>(١)</sup> . والاستدلال بهذا الحديث من ثلاث أوجه :

أحدها : أنه إذا لم يكن من النبي ولا النبي منه ؛ فكيف يشفع له ؟  
وثانيها : قوله : ولم يرد على الحوض ؛ دليل على نفى الشفاعة ؛ لأنه إذا منع من الوصول إلى الرسول حتى لا يرد عليه الحوض ؛ فكان يمنع الرسول من خلاصه من العقاب أولاً .

وثالثها : إن قوله : لا يدخل الجنة لحم نبت من السمحت ؛ صريح في أنه لا أثر للشفاعة في حق صاحب الكبيرة .

**الثالث :** عن أبي هريرة قال : قال عليه الصلاة والسلام : لا ألين أحدكم يوماً القيامة على رقبته شاة لها ثغاء ، يقول : يا رسول الله أغنني . فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغتك<sup>(٢)</sup> .

(١) رواه أحمد في المسند [٣٩٩/٣] والترمذي [٦١٤] عن كعب بن عجرة رضي الله عنه . وقال الأثرؤوط : إسناده قوي على شرط مسلم رجاله ثقات غير ابن خنيم ، فصدوق لا بأس به .

(٢) أخرجه البخاري [٣٠٧٢] ، ومسلم [٢٤/١٨٣١] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .

له فيه ، وأما النقل فيما بالبرابر أو بالأحاد . والأحاد لا مجال له فيه ؛ لأن رواية الأحاد لا تقيد إلا الظن . والمسألة علمية . والنسك في المطالب العلمية بالدلائل الظنية ؛ غير جائز . وأما بالبرابر فباطل . لأنه لو حصل ذلك لبره جهور المسلمين . ولو كان كذلك ، لا أنكر هذه الشفاعة ، فحيث أظن الأئمة على الإنكار ، علمنا أنه لم يوجد هذا الإذن .

**وعاشرها :** قوله تعالى : هُوَ الَّذِي يَجْعَلُونَ أَمْوَالَهُمْ حَتَّارَاتٍ يَتَوَدَّعُونَ بِهَا أَمْوَالَهُمْ لِيُرْسِلُوهَا وَأَلَّوْا بِهَا طَائِفًا مِّنْ عَمَلِهِمْ وَالَّذِينَ كَانُوا يُكْسِبُ سُبُوحًا وَنُجُومًا وَكُنُوزًا وَمَعِينًا وَتَأْتِيهِم بِلَيْلٍ كَالظَّهِيرِ إِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْ نَّارٍ كَثِيرٍ مِّنْ حَتَّارَاتِهِمْ . ولو كانت الشفاعة حاصلة للناسق ، لم يكن لتفسيدها بالنوبة ، وطامة السيل ؛ معنى .

**الحادي عشر :** الأخبار السالفة على أنه لا توجد الشفاعة في حق أصحاب الكبائر وهي أربعة :

**الأول :** ما روى العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام دخل المقبرة فقال : والسلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وأنا إن شاء الله بكم لاحقون ، وددت أني قد رأيت إخواننا . قالوا : يا رسول الله ألسنا إخوانك ؟ قال : بل أنتم أصحابي . وإخواننا الذين لم يأتوا بعد . قالوا : يا رسول الله كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك ؟ قال : أرايت إن كان لرجل خيل غزى محمجة في خيل وهم قهول لا يعرف خيله ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : فإنهم يأتون يوم القيامة غزاً محجطين من الرضوء ، وأنا فرطهم على الحوض . ألا فلينادؤ رجال عن حوضي كما يناد البعير الضال . أناديهم : ألا هلم . ألا هلم . فيقال : إنهم قد يأتوا بعدك . فأقول : فسحقاً فسحقاً<sup>(١)</sup> والاستدلال بهذا الخبر على نفى الشفاعة : أنه لو كان شفيعاً لهم لم يكن يقول : فسحقاً فسحقاً ؛ لأن الشفيع

(١) أخرجه مسلم [٣٩/٢٤٩] .



إذا ثبت هذا فنقول : الآية تدل على حصول الشفاعة لأهل الكبائر ؛ لأنه قال عنه : ﴿ إِلَّا مَنْ أَفْعَدَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَذَابًا ﴾ والتقدير : أن الجحيم لا يستحقون أن يشفع لهم غيرهم إلا إذا كانوا الصالحين عند الرحمن عهداً ، وكل من اتخذ عند الرحمن عهداً ، وجب دخوله فيه . وصاحب الكبيرة اتخذ عند الرحمن عهداً وهو التوحيد والإسلام ؛ فوجب أن يكون داخلاً تحته .

أقصى ما في الباب أن يقال : واليهودي اتخذ عند الرحمن عهداً . وهو الإيمان بالله ؛ فوجب دخوله تحته . لكننا نقول : ترك العمل به في حقه . لضرورة الإجماع . فوجب أن يكون معمولاً به فيما وراءه .

ورأيها : قوله تعالى في صفة الملائكة : ﴿ وَلَا يَتَّقُونَكَ إِلَّا الَّذِينَ آتَوْكَ ﴾ وجه الاستدلال به : أن صاحب الكبيرة مرتضى عند الله تعالى . وكل من كان مرتضى عند الله تعالى وجب أن يكون من أهل الشفاعة إنما قلنا : إن صاحب الكبيرة مرتضى عند الله تعالى ؛ لأنه مرتضى عند الله بحسب إيمانه وتوجهه ، وكل من صدق عليه أنه مرتضى عند الله بحسب هذه الوصف ؛ يصدق عليه : أنه مرتضى عند الله تعالى ؛ لأن المرتضى عند الله جزء من مفهوم قولنا : مرتضى عند الله بحسب إيمانه . ومنى صدق الركب صدق الفرد . فثبت : أن صاحب الكبيرة مرتضى عند الله ، وإذا ثبت هذا وجب أن يكون من أهل الشفاعة ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَتَّقُونَكَ إِلَّا الَّذِينَ آتَوْكَ ﴾ ففى الشفاعة إلا لمن كان مرتضى ، والاستثناء عن النفس ؛ إثبات . فوجب أن يكون المرتضى أهلاً للشفاعة . وإذا ثبت أن صاحب الكبيرة داخل في شفاعة الملائكة ، وجب دخوله في شفاعة الأنبياء ، وشفاعة محمد ﷺ ضرورة أنه لا قائل بالفرق .

فإن قيل : الكلام على هذا الاستدلال من وجهين :

قوله : ﴿ وَمَنْ عَمِلَ كَأَنَّهُ كَانُوا ﴾ لا يجوز حمله على الكافر ؛ لأنه ليس أهلاً للمنفرة بالإجماع . ولا حمله على صاحب المنفرة ؛ ولا على صاحب الكبيرة بعد التوبة ؛ لأن غفرانه لهم واجب عقلاً عند المحض . فلا حاجة له إلى الشفاعة ؛ فلم يبق إلا حمله على صاحب الكبيرة قبل التوبة .

وما يؤكد دلالة هاتين الآيتين على ما قلناه : ما رواه البيهقي في كتاب شعب الإيمان أنه عليه الصلاة والسلام تلا قوله تعالى في إبراهيم : ﴿ وَمَنْ عَمِلَ كَأَنَّهُ كَانُوا ﴾ وقول عيسى عليه السلام : ﴿ إِنَّ مَعَكُمْ قَاتِلَهُمْ يَتَذَكَّرُ ﴾ الآية ، ثم رفع يديه وقال : اللهم آمين ، وركب فقال الله تعالى : يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يكون فسله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال ، فقال الله عز وجل : يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له : إنا سنرضيك في أملاك ولا نسوذك ، رواه مسلم في الصحيح (١) .

والتلها : قوله تعالى في سورة مريم : ﴿ يَوْمَ نَحْمُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَكَلَّا ﴾ ونسب المتقين إلى جهنم وذلك ﴿ لَا يَتَلَكَّؤْنَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ أَفْعَدَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَذَابًا ﴾ [١٠٧] .

فنقول : ليس في ظاهر الآية أن القصور من الآية أن الجحيم لا يملكون الشفاعة لغيرهم ، أو أنهم لا يملكون شفاعة غيرهم لهم ؛ لأن المصدر كما يجوز ويحسن إضافته إلى الفاعل يجوز ويحسن إضافته إلى المفعول . إلا أننا نقول : حمل الآية على الوجه الثاني أولى ؛ لأن حملها على الوجه الأول يجرى مجرى إيضاح الواضحات . فإن كل أحد يعلم أن الجحيم الذين يساقون إلى جهنم ورثاً ؛ لا يملكون الشفاعة لغيرهم . فتمين حملها على الوجه الثاني .

(١) أخرجه مسلم [٣٤٦/٢٠٦] عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه .

وأما السؤال الثاني : فجهابه : أن حمل الآية على أن يكون معناها : ولا يشفون إلا لمن ارتضاه الله ؛ أولى من حملها على أن المراد : ولا يشفون إلا لمن ارتضى الله شفاعته ؛ لأن على التفسير الأول نفي الآية الترضيب والتعرض على طلب مرضاة الله عز وجل ، والأحرز عن معاصيه . وعلى التفسير الثاني لا يحدد الآية ذلك . ولا شك أن تفسير كلام الله تعالى بما هو أكثر فائدة ؛ أولى .  
 وخصمها : قوله تعالى في صفة الكفار : **هُوَ قَدْ أَتَىكَ الْفَكْرَةُ الْفَكِينَةُ** .  
 خصمهم بذلك ، فوجب أن يكون حال المسلم بخلافه ، بناء على مسألة دليل الخطاب .

وسادسها : قوله تعالى : **لِحَمْدِكَ** : **هُوَ وَاسْتَعْتَرَكَ بِذُنُوبِكُمْ** وَالتَّوْبَتَيْنِ وَالتَّوْبَتَيْنِ .  
 دلت الآية على أنه تعالى أمر محمداً بأن يستغفر لكل المؤمنين والمؤمنات .  
 وقد بنا في تفسير قوله تعالى : **هُوَ الَّذِي يُؤْتِيكَ بِالنَّعِيمِ** يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ أَنَّ صاحب الكبيرة مؤمن ، وإذا كان كذلك ، ثبت : أن محمداً **ﷺ** استغفر لهم ، وإذا كان كذلك ثبت : أن الله تعالى قد غفر لهم .  
 ولا لكان الله تعالى قد أمره بالدعاء ؛ ليرد دعاه .  
 فيصير ذلك محض التحقير والإهزاء . وهو غير لائق بالله تعالى ولا بمحمد **ﷺ** .  
 فدل على : أن الله تعالى لما أمر محمداً بالاستغفار لكل العصاة ؛ فقد استجاب دعاه .  
 وذلك إما يتم لو غفر لهم . ولا معنى للشفاعة إلا هذا .  
 وسابعها : قوله تعالى : **هُوَ وَرَأَىٰ مَجِيئَهُمْ يَهِيمًا** فَحَسِبْنَا بِمَا تُرِيدُهَا **أَوْ رُدُّوهَا** .  
 فالله تعالى أمر الكل بأنهم إذا حياهم أحد بجملة أن يقابلوا تلك التوجه بأحسن منها أو بأن يردوها ثم أمرنا بتوجه محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال : **هُوَ يَكْتَابُ الْآيَاتِ بِأَمْرِنَا** سَلَامًا عَلَيْهِ وَسَلَامًا وَسَلَامًا .  
 والأحراب : ٥١ .  
 والصلوة من الله رحمة . ولا شك أن هذه تحية ، فلما طلبنا من الله الرحمة لحمد عليه الصلاة والسلام وجب بتفضي قوله : **هُوَ فَحَسِبْنَا بِمَا تُرِيدُهَا** **أَوْ رُدُّوهَا** .  
 أن يفعل محمد عليه . وهو أن يطلب لكل المسلمين الرحمة من الله تعالى . وهذا هو معنى الشفاعة ،

الأول : أن التماسك ليس برتضى ، فوجب ألا يكون أملاً للشفاعة اللادعة ، وإذا لم يكن أملاً للشفاعة اللادعة ، وجب أن لا يكون أملاً للشفاعة محمد **ﷺ** .  
 قلنا : أنه ليس برتضى ؛ لأنه ليس برتضى بحسب نفسه وفجوره . ومن صدق عليه أنه ليس برتضى بحسب نفسه ؛ صدق عليه أن ليس برتضى بين ما ذكرتم من الدليل ، وإذا ثبت أنه ليس برتضى ؛ وجب ألا يكون أملاً للشفاعة اللادعة ؛ لأن قوله تعالى : **هُوَ وَلَا يَتَّقُونَكَ إِلَّا الَّذِينَ آرَضُوا** **لَكَ** يدل على نفي الشفاعة عن الكل إلا في حق المرتضى .  
 وإذا كان صاحب الكبيرة غير مرتضى ، وجب أن يكون داخلياً في النفي .  
 الوجه الثاني : أن الاستدلال بالآية إنما يتم لو كان قوله : **هُوَ وَلَا يَتَّقُونَكَ إِلَّا لِمَنِ آرَضُوا** **لَكَ** محمولاً على أن المراد منه : ولا يشفون إلا لمن ارتضاه الله ، أما لو حملناه على أن المراد منه : ولا يشفون إلا لمن ارتضى الله منه شفاعته .  
 فحينئذ لا تدل الآية إلا إذ ثبت أن الله تعالى ارتضى شفاعة صاحب الكبيرة . وهذا أول المسألة .

والجواب عن الأول : أنه ثبت في العلوم المنطقية : أن المهملين لا يتناقضان .  
 فقولنا : زيد عالم . زيد ليس بعالم ؛ لا يتناقضان ؛ لاحتمال أن يكون المراد : زيد عالم باللقب . زيد ليس بعالم بالكلام .  
 وإذا ثبت هذا ، فكنا قولنا : صاحب الكبيرة مرتضى . صاحب الكبيرة ليس برتضى . لا يتناقضان .  
 لاحتمال أن يقال : إنه مرتضى بحسب دينه . ليس برتضى بحسب نفسه ، وأيضاً : فمنى ثبت أنه مرتضى بحسب إسلامه ، ثبت مسعى كونه مرتضى .  
 وإذا كان المشتكى هو مجرد كونه مرتضى . ومجرد كونه مرتضى ؛ حاصل عند كونه مرتضى بحسب إيمانه .  
 وحب دخوله تحت الاستثناء ، وخروجه عن المشتكى منه .  
 ونفى كان كذلك ، ثبت : أنه من أهل الشفاعة .

له بذلك منزلة عنده ؛ فإنه لا يقال : إنه يتشفع لابن السلطان . وهذه حالتنا في حق الرسول ﷺ فيما نسأله له من الله تعالى فلم يصحح أن تكون شفاعتين .

والجواب على الأول : لا نسلم أن الرتبة معتبرة في الشفاعة ؛ والدليل عليه : أن الشفيع إنما سمي شفيعاً ماخوذاً من الشفع ، وهذا المعنى لا تعبير فيه الرتبة ؛ فسقط قولهم .

وبهذا الوجه يسقط السؤال الثاني . وأيضاً : فنقول في الجواب عن السؤال الثاني : إنا وإن كنا نقطع بأن الله تعالى يكرم رسوله ويعظمه سواء سألت الأمة ذلك أو لم تسأل ؛ لكننا لا نقطع بأنه لا يجوز أن يريد في إكرامه بسبب سؤال الأمة ذلك على وجه ، لولا سؤال الأمة لا حصلت تلك الزيادة . وإذا كان هذا الاحتمال يجوز ؛ وجب أن يبقى

تجويز كوننا شفاعتين للرسول ﷺ ولا بطل ذلك باتفاق الأمة بطل قولهم . وعاشروها : قوله تعالى في صفة الملائكة : **هُنَّ الَّذِينَ يَخْلُقْنَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ حَوَالَيْهِمْ يُحَدِّثُونَ كَلِمَاتٍ لَّهُمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهَا وَيَسْتَعِينُونَ** [٢٧ : ٢٧] .

وصاحب الكبيرة من جملة المؤمنين فوجب دخوله في جملة من تستغفر الملائكة لهم . أقصى ما في الباب : أنه ورد بعد ذلك قوله : **هُنَّ قَاتِلَاتٌ لِّذِينَ كَانُوا يَكْفُرُونَ سَيِّئَاتِهِمْ** [٢٧ : ٢٧] إلا أن هذا لا يقتضي تخصيص ذلك العام ما ثبت في أصول الفقه : أن اللفظ العام إذا ذكر بعده بعض أقسامه فإن ذلك لا يوجب تخصيص ذلك العام بذلك الخاص .

الحادي عشر : الأخبار المائة على حصول الشفاعة لأهل الكيبار ، ولندكر منها ثلاثة أحاديث :

الحديث الأول : قوله عليه الصلاة والسلام : **و شفاعتى لأهل الكيبار من أمتي** (١) .

قالت المعتزلة : الاعتراض عليه من ثلاثة وجوه :

(١) رواه أبو داود [٤٧٣٩] ، والترمذي [٢٤٢٥٦] ، وأحمد في المسند [٢١١٣/٦] ، وقال الأباقي : صحيح وله طرق وشراهد . المشكاة [٥٥٩٨] ، [٥٥٩٩] .

ثم توافقنا على أنه عليه الصلاة والسلام غير مردود الدعاء ، فوجب أن يقبل الله شفاعته في الكل . وهو المطلوب .

وأيضاً : قوله سبحانه وتعالى : **هُنَّ وَأَنْتُمْ إِذْ كُنْتُمْ كَافِرِينَ** [٢١٤ : ٢١٤] .

وليس في الآية ذكر التوبة ، والآية تدل على أن الرسول متى استغفر للمصاة والطالين فإن الله يفر لهم . وهذا يدل على أن شفاعة الرسول في حق أهل الكيبار مقبولة في الدنيا ، فوجب أن تكون مقبولة في الآخرة ؛ لأنه لا قائل بالفرق .

وتامرها : أجمعنا على وجوب الشفاعة ل محمد صلى الله عليه وسلم فتأثيرها إما أن يكون في زيادة المنافع أو في إسقاط المضار . والأول باطل والألنا شفاعتين للرسول عليه الصلاة والسلام إذا طلبنا من الله تعالى أن يزيد في فضله عند ما تقول : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد . وإذا بطل هذا القسم ، تبين الثاني . وهو المطلوب .

فإن قيل : إنما لا يطلق علينا كوننا شفاعتين ل محمد صلى الله عليه وسلم لوجهين : الأول : أن الشفيع لابد أن يكون أعلى رتبة من الشفوع له ، ونحن وإن كنا نطلب الخير له عليه الصلاة والسلام ولكن لا كما أدنى رتبة منه عليه الصلاة والسلام لم يصح أن نوصف بكوننا شفاعتين له .

الثاني : قال أبو الحسين [ البصرى ] . صاحب المعتمد في أصول الفقه [ : سؤال المنافع للخير . إنما يكون شفاعة إذا كان فعل تلك المنافع لأجل سؤاله ؛ ولولا لم تفعل ، أو كان لسؤاله تأثير في دفعها ، أما إذا كانت تفعل سواء سألها أو لم يسألها ، وكان غرض السؤال التقرب بذلك إلى المسؤول ، وإن لم يستحق المسؤول له بذلك السؤال منفعة زائدة ، فإن ذلك لا يكون شفاعة له . ألا ترى أن السلطان إذا عزم على أن يعقد لابه ولاية فمعه بعض أربابه على ذلك . وكان يفعل ذلك لا محالة سواء حثه عليه أو لم يحثه ، وقصد بذلك التقرب إلى السلطان ؛ ليحصل

وثالثها : هب أنه يجب حمل أهل الكبار على أهل المعاصي الكبيرة ، لكن أهل المعاصي الكبيرة أصعب من أهل المعاصي الكبيرة بعد التوبة ، أو قبل التوبة ؟ فبحسب حمل الخير على أهل المعاصي الكبيرة بعد التوبة ، ويكون تأثير الشفاعة في أن يتفضل الله عليه بما انحيط من ثواب طاعته المتقدمة على نفسه .

سلمانا : دلالة الخير على قولكم ، لكنه معارض بما روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « أنفعني لأهل الكبار من أمي » ؟ ذكره مع هجرة الاستفهام على سبيل الإنكار . وروى الحسن عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « ما ادخرت شفاعتي إلا لأهل الكبار من أمي » .

واعلم : أن الإنصاف : أنه لا يمكن التمسك في مثل هذه المسألة بهذا الخير وحده ، ولكن يجمع الخير الواردة في باب الشفاعة وإن سائر الأخبار دالة على سقوط كل هذه التأويلات .

الحديث الثاني : روى أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ، وإنى اجنبت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهدى نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يترك بالله شيئاً » (١) رواه مسلم في الصحيح .

والاستدلال به : أن الحديث صريح في أن شفاعته ﷺ تنال كل من مات من أمته لا يترك بالله شيئاً . وصاحب الكبيرة كذلك ؛ فوجب أن تناله الشفاعة .

الحديث الثالث : عن أبي هريرة قال : « أتى رسول الله ﷺ يوماً يلحم فرفع إليه الدراع وكانت تصعبه فنهش منها نهشة . ثم قال : أنا سيد الناس يوم القيامة . هل تدرون لم ذلك ؟ قالوا : لا يا رسول الله . قال : يجمع الله الأوثان والأخرين في صعيد واحد ؛ فيسمهم للماعي وينفاهم البصر ، وتذنبو الشمس ؛ فيبلغ الناس من العم والكرب ما لا يطيقون . فيقول بعض الناس لبعض : ألا تدرون ما أتم فيه ؟

(١) أخرجه مسلم [٣٣٨/١٩٩] .

أحدهما : أنه خير واحد ، ورد على مضادة القرآن . وثالثنا : أن كثيراً من الآيات تدل على نفي هذه الشفاعة . وخير الواحد إذا ورد على خلاف القرآن :

ويجب رده .

وثالثها : أنه يدل على أن شفاعته ليست إلا لأهل الكبار . وهذا غير جائز ؛ لأن شفاعته منسب عظيم فتخصيمه بأهل الكبار فقط ؛ يقتضي حرمان أهل الثواب عنه . وذلك غير جائز ؛ لأنه لا أقل من التسوية .

وثالثها : أن هذه المسألة ليست من المسائل العملية ؛ فلا يجوز الاكتفاء فيها بالظن . وخير الواحد لا يفيد إلا الظن . فلا يجوز التمسك في هذه المسألة بهذا الخير . ثم إن سلمانا صحة الخير ، لكان فيه احتمالات :

أحدهما : أن يكون المراد منه : الاستفهام بمعنى الإنكار . ويعني : أنفعني لأهل الكبار من أمي ؟ كما أن المراد من قوله : « هو هذا رأيي » [الأنام : ٢٧٦] أي أننا رآه ؟

وثانيها : أن لفظ الكبيرة غير مختص لا في أصل اللغة ولا في عرف الشرع بالمعينة ، بل كما يتناول المعينة يتناول الطاعة . قال تعالى في صفة الصلاة : « وَأَنَّ لَكِبْرًا كَثِيرًا إِلَّا عَلَى الْمُتَّقِينَ » وإذا كان كذلك فقوله لأهل الكبار ، لا يجب أن يكون المراد منه : أهل المعاصي الكبيرة ، بل لعل المراد منه : أهل الطاعات الكبيرة .

فإن قيل : هب أن لفظ الكبيرة يتناول الطاعات والمعاصي ، ولكن قوله أهل الكبار صيغة من أهل الكبار سواء أكان من أهل الطاعات الكبيرة أو المعاصي الكبيرة .

قلنا : لفظ الكبار وإن كان للمعوم إلا أن لفظ « أهل » مفرد ، فلا يفيد المعوم فيكفي في صدق الخير شخص واحد من أهل الكبار ؛ فنحصله على الشخص الآتي بكل الطاعات ؛ فإنه يكفي في العمل يقتضي الحديث ؛ حملة عليه .

عيسى : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله . ولم يغضب بعده مثله . ولم يذكر له ذنباً ، نفسى . اذهبوا إلى غيرى . اذهبوا إلى محمد .

فيأتونى . فيقولون : يا محمد أنت رسول الله ، وحاتم النبيين ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ فأنتلأئ وأستاذن على ربي فيؤذن لى . فإذا رأيت ربي ؛ وقعت ساجداً . فبدعتى ما شاء الله أن يدعى . ثم يقول لى : يا محمد ارفع رأسك ، وقل تسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع . فأحمد ربي بمحمد علمتها ، ثم أشفع فيحد لى حداً فأدخلهم الجنة ، ثم أرجع أرجع فإذا رأيت ربي تبارك وتعالى وقعت له ساجداً . فبدعتى ما شاء الله أن يدعى ، ثم يقول : ارفع رأسك ، وقل تسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع . فأحمد ربي بمحمد علمتها ، ثم أشفع فيحد لى حداً . فأدخلهم الجنة . ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً فبدعتى ما شاء الله أن يدعى ، ثم يقول : يا محمد ارفع رأسك ، وقل تسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأحمد ربي بمحمد علمتها ، ثم أشفع فيحد لى حداً فأدخلهم الجنة . ثم أرجع فأقول : يا رب ما بقى فى النار إلا من حبسه القرآن . أى وجب عليه الخلود . وأكثر هذا الخبر مخرج بلفظه فى الصحيحين<sup>(١)</sup> .

قالت المتزلة : الكلام على هذا الخبر وأمثاله من وجوه :  
أحدها : أن هذه الأخبار أخبار طريفة فلا يمكن ضبطها بلفظ الرسول صلى الله عليه وسلم ، فالظاهر : أن الراوى إنما رواها بلفظ نفسه ، وعلى هذا التقدير لا يكون شىء منه حجة .

وثانيها : أنها خبر عن واقعة واحدة ، وأنها زويت على وجوه مختلفة مع الزيادات والقصصانات ، وذلك أيضاً مما يطوق التهمة إليها .

(١) رواه إسحاق بن راهويه فى مسنده [٢٢٧/١٨٤] وهو فى البخارى [٣٣٤٠] ومسلم [٣٢٧/١٩٤] .

ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تذهبون إلى من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : أيوب آدم . فيأتون آدم فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده . ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك . اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب مثله قبله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهانى عن الشجرة فصعبته . نفسي . نفسي . اذهبوا إلى غيرى . اذهبوا إلى نوح .

فيأتون نوحاً فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وسماك الله عبداً شكوراً . اشفع لنا إلى ربك . ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه كانت لى دعوة دعوت بها على قومى . اذهبوا إلى غيرى . اذهبوا إلى إبراهيم .

فيأتون إبراهيم عليه السلام فيقولون : أنت إبراهيم نبي الله وخيله من أهل الأرض . اشفع لنا إلى ربك . ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول لهم إبراهيم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله . وذكر كتابته<sup>(١)</sup> . نفسي . نفسي ، اذهبوا إلى غيرى . اذهبوا إلى موسى .

فيأتون موسى ويقولون : يا موسى أنت رسول الله . فضلك الله برسالاته وبكلامه على الناس . اشفع لنا إلى ربك . ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول لهم موسى : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنى قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها . نفسي . نفسي . اذهبوا إلى غيرى . اذهبوا إلى عيسى بن مريم .

فيأتون عيسى فيقولون : أنت رسول الله ، وكلمته أتقاه إلى مريم ، وروح منه ، وكلمت الناس فى الهدى . اشفع لنا إلى ربك . ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول لهم

(١) قال القاضي عياض : هى مداومة إبراهيم عليه السلام الكفار بقول عؤرض به هو فيه من وجوه صادق . مسلم بشرح النورى [٦٤/٦] .

وتقيض المرجية الكلية ؛ سلبية جزئية . والسالية بكفي في صدقها : تحقق ذلك السلب في بعض الصور ، ولا يحتاج فيه إلى تحقق ذلك السلب في جميع الصور . وعلى هذا فمنقول بوجهية ؛ لأن عدنا ؛ أنه ليس لبعض الظالمين حميم ولا شفيخ بجانب . وهم الكفار ؛ أما أن يحكم على كل واحد منهم بسلب الحميم والشفيخ ؛ فلا .

وأما الوجه الثالث : وهو قوله : **هُوَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا يُخَالَفُ وَلَا يَشْفَعُ** [ البز: ٢٥٥ ] فالجواب عنه : ما تقدم في الوجه الأول .

وأما الوجه الرابع : وهو قوله : **هُوَ وَكَأَنَّ الظَّالِمِينَ مِنْ أَمْسِكَارٍ** فالجواب عنه : أنه تقيض لقولنا : للظالمين أنصار . وهذه موجهة كلية . قوله : **هُوَ وَكَأَنَّ الظَّالِمِينَ مِنْ أَمْسِكَارٍ** لا يفيد عموم السلب .

وأما الوجه الخامس : وهو قوله : **هُوَ كَمَا تَقْتَضِيهِ مَقْتَضِيَةُ الْمُتَقَبِّلِينَ** فهنا وُارِد في حق الكفار . وهو يدل بسبب التخصيص على ضد هذا الحكم في حق المؤمنين .

وأما الوجه السادس : وهو قوله : **هُوَ وَلَا يَقْتَضِيهِكَ إِلَّا لِمَنْ أَرْتَضِي** فقد تقدم القول فيه .

وأما الوجه السابع : وهو قول المسلمين : اللهم اجعلنا من أهل شفاعته محمد ﷺ فالجواب عنه : أن عدنا : تأثير الشفاعته في جلب أمر مطلوب . وأبغى به : القدر المشترك بين جلب المنافع الزائدة على قدر الاستحقاق ، ودفع المضار المستحقة على المعاصي . وذلك القدر المشترك لا يتوقف على كون العبد عاصياً . فالدفع السؤال .

وأما الوجه الثامن : وهو التمسك بقوله : **هُوَ وَكَأَنَّ الْمُتَجَرِّبِينَ يَحْسِبُونَ** فالالكلام عليه سيأتي إن شاء الله تعالى في مسألة الوعيد .

وأما الوجه التاسع : وهو قوله : لم يوجد ما يدل على إذن الله عز وجل في الشفاعته لأصحاب الكبائر . فجوابه : أن هنا ممنوع . والدليل عليه : ما أوردنا من الدلائل الدالة على حصول هذه الشفاعته .

وثالثها : أنها مشتملة على التشبيه . وذلك باطل أيضاً بطرق التهمة إليها . ورابعها : أنها وردت على خلاف ظاهر القرآن . وذلك أيضاً بطرق التهمة إليها . وخامسها : أنها غير عن راقمة عظيمة تنوار الدواعي على نقلها ؛ فلو كان صحيحاً لوجب بوجهه إلى حد التنوير . وحيث لم يكن كذلك ، فقد تطرقت التهمة إليها .

وسادسها : أن الاعتماد على خير الواحد الذي لا يفيد إلا الفطن في المسائل القطعية ، غير جائز .

أجاب أصحابنا عن هذه المطاعن : بأن كل واحد من هذه الأخبار ، وإن كان مروياً بالأحاد إلا أنها كثيرة جداً وبينها قدر مشترك واحد وهو خروج أهل المقاب من النار بسبب الشفاعته . فبغير هذا المعنى مروياً على سبيل التنوير فكون حجة . والله أعلم .

والجواب على جميع أدلة المعتزلة بعرف واحد وهو : أن أدلتهم على نفى الشفاعته تفيد نفى جميع أقسام الشفاعات ، وأدلتنا على إثبات الشفاعته تفيد إثبات شفاعته خاصة . والعام والخاص إذا تمارضا ؛ فقدم الخاص على العام . فكانت دلالتنا مقدمة على دلالتهم . ثم إننا نخص كل واحد من الوجوه التي ذكرناها بجواب على حدة :-

أما الوجه الأول : وهو التمسك بقوله تعالى : **هُوَ وَلَا يَقْتَضِيهِ مَقْتَضِيَةُ** فهب أن العمرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، إلا أن تخصيص مثل هذا العام بذلك السبب المخصوص ؛ يكفي فيه أدنى دليل . فإذا قامت الدلائل الدالة على وجود الشفاعته ؛ وجب المصير إلى تخصيصها .

وأما الوجه الثاني : وهو قوله تعالى : **هُوَ كَمَا الظَّالِمِينَ مِنْ أَمْسِكَارٍ** فالجواب عنه : أن قوله : **هُوَ كَمَا الظَّالِمِينَ مِنْ أَمْسِكَارٍ** ولا شفيخ يُطْلَعُ فَتَقْبِضُ لِقَوْلِنَا : للظالمين حميم وشفيخ . لكن قولنا : للظالمين حميم وشفيخ ؛ موجهة كلية .

## تفسير آيات الشفاعة

للشيخ الإمام داعية الإسلام  
محمد متولي الشعراوي

- الشفاعة .. بإذن منه سبحانه .
- الشفاعة .. والنفس الجارية والجزى عنها .
- الشفاعة الحسنة .
- لا أحد يشفع عنده إلا من بعد إذنه .

وأما الوجه المباشر : وهو قول في حق الملائكة : ﴿ تَأْتِيهِمُ اللَّيْلُ نَائِمًا ﴾ فجوابه : ما بينا أن بخصوص آخر هذه الآية لا يفتح في عموم أولها .  
وأما الأحاديث : فهي دالة على أن محمداً ﷺ لا يشفع لبعض الناس ، ولا يشفع في بعض مواطن القيامة ، وذلك لا يدل على أنه لا يشفع لأحد أبية من أصحاب الكبار ، ولا أنه يجتمع من الشفاعة في جميع المواطن .  
والذي نحققه : أنه تعالى بين أن أحداً من الشافعين لا يشفع إلا بإذن الله . فلمل الرسول لم يكن مأذوناً في بعض المواضع وبعض الأوقات ؛ فلا يشفع في ذلك المكان ، ولا في ذلك الزمان . ثم يصير مأذوناً في موضع آخر وفي وقت آخر في الشفاعة . فيشفع هناك . والله أعلم (١) .

○○○

(١) التفسير الكبير للإمام الرازي [٢/٥٩ : ٦٦] .

## الشفاعة بإذن منه سبحانه

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَیْلٌ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .  
إن كلمة : ﴿ هُوَ اللَّهُ ﴾ هي علم على واجب الوجود . وعندما نقول : ﴿ هُوَ اللَّهُ ﴾ فإن اللهن يتصرف إلى اللات الراجعة الوجود .

ما معنى : ٥ واجبة الوجود ٤ ؟ إن الوجود قسمان : قسم واجب ، وقسم ممكن . والقسم الراجب هو الضروري الذي يجب أن يكون موجوداً ، والحق سبحانه وتعالى حين أعلننا باسمه ﴿ هُوَ اللَّهُ ﴾ أعطانا فكرة على أن كلمة ﴿ هُوَ اللَّهُ ﴾ هذه يتحدث بها سبحانه أن يسمى بها سواه . ولو كان المطلق مؤمسين لكان احترامهم لهذا التحدى نابعا من الإيمان . ولكن هناك كاثرون بالله ومتوردون وملحدون يقولون : ٥ الله .. خرافة ٤ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، ومع ذلك هل يجوز واحد من هؤلاء أن يسمى نفسه ﴿ هُوَ اللَّهُ ﴾ ؟

لم يفعل أحد هنا ؛ لأن الله تحدى بذلك ، فلم يجوز واحد أن يدخل في هذه التجربة . وعدم جرأة الكفار والملاحدة في أن يدخلوا في هذه التجربة ، دليل على أن كفرهم غير وطيد في نفوسهم ، فلو كان كفرهم صحيحاً لقالوا : سيمسى وزيرى ما يحدث ؛ ولكن هنا لم يحدث .

وقوله تعالى : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ فيها النفي وفيها الإثبات ، النفي في : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ، والإثبات في ﴿ هُوَ هُوَ هُوَ ﴾ .

ولذلك ربنا سبحانه يقول: ﴿قُلْ تَرَوْا كَافِرِينَ إِذْ لَا يَتَّبِعُونَ إِذَا دُعُوا

بِالَّذِي سُبِّحَ بِهِ سَبُّهُ إِلَّا يَقُولُونَ مَا لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٢٥].

قل إن هناك آفة كما برعتمون لدينهم إلى الله سبحانه وتعالى وانكروا ألوهيته .

ولو كان هناك إله غير الله لحدثت معركة بينهما ، ولكن هذا لم يحدث .

إذن .. قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا معبود بحق إلا هو سبحانه

وتعالى ، والمعبود: هو الذي يتوجه إليه وحده بالعبادة ، والعبادة هي الطاعة .

فمعنى عابد: طائع ، وكل طاعة تقتضي أمراً وتقتضي نهياً ، وما دامت العبادة

تقتضي أمراً وتقتضي نهياً ، فلا بد أن يكون الأمور والنهي صالحاً لأن يفعل ،

وصالحاً لئلا يفعل . فنعلمنا تقول له: افعل كذا كمنهج إيمان ، فهو صالح لئلا يفعل .

وعندما تقول له: لا تفعل فهو صالح لأن يفعل .

إذن .. لا بد أن يكون صالحاً لهذه وتلك . وإلا لكان الأمر والنهي عبثاً ولا طائل

من ورائهما . لذلك عندما أراد بعض الناس أن يقصروا الدين على أركان الإسلام

التي هي: شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، والصلاة ، والزكاة ،

والمسرة ، والحج . قلنا لهم: لا ، إن الإسلام: هو كل حركة في الحياة تناسب

خلافة الإنسان في الأرض ؛ لأن الله يقول في كتابه الكريم: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ فِي

الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَ عَلَيْهَا﴾ [مرد: ١٦١] .

ومعنى قوله: ﴿هُوَ وَاسْتَعْمَرَ عَلَيْهَا﴾ أي: طلب منكم أن تعمروها ، فكل حركة

في الحياة تؤدي إلى عمارة الأرض فهي من العبادة ، فلو جعلت الإسلام هو هذه

الأركان فقط لجملت الإسلام أساساً بدون معنى ، فهذه هي الأركان التي بُني

عليها الإسلام<sup>(١)</sup> .

(١) أخرج البخاري [٨١] ، ومسلم [١٦٦] عن عبد الله ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ: « بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً

رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان » .

تفسير آيات الطاعة

٩٧

والنبي تحلية ، والإيات تحلية . خلق سبحانه نفسه من وجود الشريك له ، ثم

أثبت لنا وحدانيته . ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا معبود بحق إلا الله . ونحن

نعرف أن بعضاً من البشر في غرابة العقلة قد عبدوا أصناماً وعبدوا الكواكب .

ولكن هل كانت آلهة بحق أم يباطل ؟ لقد كانت آلهة يباطل . ودليل صدق

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أن أحداً لم يرع أنه شريك مع الله .

إذن .. فهذا الكلام هو حق . وصدق .

وإن ادعى أحد غير ذلك ، تقول له: إن الله قد أخبرنا أنه لا معبود بحق غيره ؛

لأنه هو الذي خلق وهو الذي رزق ، وقال: أنا الذي خلقت . إن كان هذا الكلام

صحيحاً ؛ فهو صادق فيه ، فلا نعبد إلا هو . وإن كان هذا الكلام غير صحيح ،

وإن أحداً غيره هو الذي خلق هذا الكون ؛ فأين هذا الأحد الذي خلق ثم ترك من

لم يخلق ليأخذ الكون منه ويقول له: « أنا الذي خلقت الكون » ؟

إنه أمر من اثنين ، الأمر الأول: هو أنه ليس هناك إله غير الله . ناقضية إذاً منتبهة .

والأمر الآخر: هو أنه لو كان هناك آلهة أخرى ، وقال الله: « أنا الإله وليس

هناك إله إلا أنا » ، فأين هذه الآلهة الأخرى ؟ ألم تعلم بهذه الحكاية ؟

إن كانوا لم يعلموا بها فهم لا يصلحون أن يكونوا آلهة ، وإن كانوا قد علموا ؛

فلماذا لم يقولوا: لا . نحن الآلهة ، وهذا الكلام كذب ؟

وكذلك كما بعث الله رسلاً بمعجزات ؛ كان عليهم أن يعثروا رسلاً بمعجزات ،

فصاحب الدعوة إذا أذاعها ؛ ولم يوجد معارض ؛ ثبت للدعوى له إلى أن يوجد منازع .

إذن .. قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ معها دليل الصدق ؛ لأنه إما أن يكون هذا

الكلام حقاً وصدقاً ؛ فتنتهي المسألة ، وإن لم يكن حقاً . فأين الإله الذي خلق ،

والذي يجب أن يُعبد بعد أن سمع من جده ليأخذه . منه هذه القضية ؟ وبعد ذلك

لا نسمع له حساً ولا حركة ، ولا يتكلم ، ولا تعلم عنه شيئاً ، فما هو شأنه ؟ إما أنه

لم يعلم فلا يصلح أن يكون إلهياً ؛ لأنه لو كان قد علم ولم يرزق فليست له قوة .

تفسير آيات الشفاعة

٩٦

فلا يتلظن ظان أن أسماء الله كلها هي هذه الأسماء التي نعرفها ، ولكن هذه الأسماء هي التي أذن الله سبحانه وتعالى بأن نعلمها (١)

(١) أخرج البخاري [١٤١٠] ، ومسلم [٣٦٧/٥] وأحمد في المسند [٣/٤٢٧] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : لله تسعة وتسعون اسماً ؛ مائة إلا واحد لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة ، وهو وتر حسب الوتر .

وفي رواية عند الترمذي [٣٥٠٧] وابن ماجه [٣٨١١] وابن جبان [٨٠٨] بزيادة : وهو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدير ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارئ ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المر ، المدلل ، السميع ، البصير ، الحكيم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، المحيط ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلي ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، الجيد ، الباسط ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوي ، القين ، الولي ، الحميد ، الغني ، المبدئ ، المعيد ، الحى ، الميت ، الحى ، القيوم ، الواحد ، المتحد ، الواحد ، الأحد ، الصمد ، الغافر ، القدير ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الظاهر ، الباطن ، البر ، العزب ، المتقن ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام ، المقسط ، المانع ، العتيق ، المنفى ، الجامع ، الضار ، النافع ، النور ، الهادي ، البصير ، الباقى ، الوارث ، الرشيد ، الصبور .

قال الأرنؤوط : رجائه ثقات ، صفوان بن صالح والوليد بن مسلم ، كلاهما صحح بالتحديث إلا أنه أصل بالأضطراب ، واحتمال أن يكون التعيين مدرجاً من بعض الرواة ، وبالرفوف .

قال الترمذي بعد أن أخرجه في وسنه [٣٥٠٧] : وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، ولا تعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث . وقد روى آدم ابن أبي إسحاق هذا الحديث بإسناد غير هنا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، وذكر فيه الأسماء ، وليس له إسناد صحيح .

وكذلك يخرج علينا أناس يقولون : نحن ليس لنا إلا أن نعبد ولا نعمل . ويقولون لأى منهم : كم تأتد الصلاة منك فى اليوم ؟ ساعة مثلاً ؟ والزكاة كم تأتد منك فى العام؟ يوماً واحداً ؟ والصوم كم تأتد منك من وقت ؟ شهراً واحداً فى العام . وفريضة الحج تأتد منك أكثر من رحلة واحدة فى صورك ؟ فبالله عليك ماذا تفعل فى الباقى من صورك من بعد ذلك ، وهو كثير ؟ ستأكل وتلبس ، ستطلب رغيف الخبز للطعام .. فمن الذى سيصنعه لك ؟ إن هذا الخفيف يتر بأرجل حتى يصير لقمة تأكلها ، ويحتاج إلى أكثر من علم وأكثر من حركة وأكثر من طاقة . إن الخلق سبحانه وتعالى قد استخلفنا فى الأرض من أجل أن نعملها . ومن حسن العادة أن نتقن كل عمل وبذلك لا تقم أركان الإسلام فقط ، ولكن تقم الأركان واللبيان معاً . وتكون حينئذ قد أدبنا مسوية الإيمان ، وطابق كل فعل من أفعالنا قولنا : و لا إله إلا الله .

ولقد عرفنا أن هو الله هو علم على واجب الوجود ، وهو اسم من أسماء الله تعالى ، ولله أسماء كثيرة . كما روى فى الحديث عن رسول الله ﷺ حين سأل الله بكل اسم هو له أنزله فى كتابه ، أو علمه أحداً من خلقه - أى خلقه به - أو استأثر به فى علم الغيب عنده (١) .

(١) روى أحمد فى المسند [٣٩١٧] عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : وما أصاب أحداً قط هم ولا حزن ، فقال : اللهم إني عبدك ، ابن عبدك ، ابن أمك ، ناصيتي بيديك ، وما نسيك مني فى حكمك ، عدل فى قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سئيت به نفسك ، أو علمه أحداً من خلقك ، أو أنزله فى كتابك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عنك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهب همي ، إلا أذهب الله همه وحزبه ، وأبدله مكانه فرحاً . قال : قيل يا رسول الله ألا تعلمها ؟ فقال : و لى ينهى ابن سبغها أن يعلمها . وقال الشيخ أحمد شاركي فى المسند : إسناده صحيح . وهو فى صحيح الزوائد [١٣٦١/١] ونسبه لأحمد وأبى يعلى والبراء ، وقال : رجال أحمد وأبى يعلى رجال الصحيح غير أبى سلمة الجهوى ، وقد وثقه ابن جبان .

وقوله تعالى: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ .. فالحياة هي أول صفة يجب أن تكون لذلك الإله ، لأن القدرة بعد الحياة ، والعلم بعد الحياة . فكل صفة لا بد أن تأتي بعدها في الذكر ، ولا قايست صفة من صفات الله أسبق من صفة ولا متقدمة عليها . فكلمة قديمة لا أول لها ، فالمراد عندما فكيف تأتي الصفات على العلم ؟ وكلمة : ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ عندما نسمعها نقول : ما هو الحي ؟ إن الفلاسفة قد احتاروا في تفسيرها . فمنهم من قال : الحي هو الذي يكون على صفة تجمله مثلاً كأن يُوجد ما يُثبِّتُه .

كان الفيلسوف الذي قال ذلك : يعني بالحياة حياتنا نحن ، وما دوننا كأنه ليس فيه إدراك . ويقول لصاحب هذا الرأي : لا . إن أردت الحياة بالمعنى الواسع الدقيق ؛ فلا بد أن تقول : الحياة هي أن يكون الشيء على الصفة التي تبقى صلاحيته له ، هذا هو ما يجب أن يكون عليه التعريف ، فـ «الحي» : هو الذي يكون على صفة تبقى له صلاحيته له ، مثلاً ذلك : النبات ، ما دمت تجده ينمو ، إذا فقه حياة تبقى له صلاحية مهمته . فلو قُطِعَ لانتهت صلاحية . وكذلك الإنسان عندما يموت تنتهي صلاحية مهمته ، والمناصر الجارمة عندما تأتي مع بعضها ؛ تتفاعل ، هذا التفاعل فرغ وجود الحياة ، لكنها حياة مناسبة لها وليست مثل حياتنا . إذن .. فكل كائن حي يكون على صفة تبقى له صلاحية مهمة ، وتكون له حياة مناسبة لتلك المهمة . ومن تدبر القرآن الكريم ؛ علم أن الحياة يقابلها الهلاك . يقول سبحانه وتعالى : ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأأنفال: ٤٢] .

= منها الرب والمولى والتصور والفاطر ، والمحيط ، والمجيب ، والصدائق ، والقديم ، والوتر ، والحنان ، والنان ، والنعاني ، والكفيل ، وذو العرش ، وذو الفضل ، وذو العرش ، وذو المارج ، وغيرهما ، وتخصيص بعضها بالذكر لكونها أشهر الأسماء .

تفسير آيات الشفاعة ١٠١

= قال الحافظ ابن حجر في «شرح المشكاة» فيما نقله عنه ابن علان في «الفتوح الربانية» [٢١٦/١٣] : اختلف الحافظ في أن حرد الأسماء هل هو معروف على الراي أو مرفوع ، ورجح الأول ، وأن تملأها مرفوع من كلام الراوي .

وقال ابن كثير في «تفسيره» [٣/٥١٦] طيبة الشعب : والذي عول عليه جماعة من الحافظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث ، مرفوع فيه ، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم ، ووجدنا ذلك من محمد الصنعاني ، عن زهير بن محمد أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك ، أي : أنهم جمعوها من القرآن كما ورد عن جعفر بن محمد ، وسفيان بن عيينة ، وأبي زيد اللبدي .

وقال البيهقي في «الأسماء والصفات» [٢٨] : ويحصل أن يكون التفسير وقع من بعض الرواة ، وكذلك في حديث الوليد بن مسلم ، ولهذا الاحتمال ترك البخاري ومسلم إخراج حديث الوليد في الصحيح .

وقال الداودي : لم يثبت عن النبي ﷺ أنه عين الأسماء المذكورة في الحديث . وقال البغوي في «شرح السنة» [٥/٣٥] : يحصل أن يكون ذكر هذه الأسماء من بعض الرواة . وجميع هذه الأسماء في كتاب الله ، وفي أحاديث الرسول ﷺ نصاً أو دلالة . ومع كل ما تقدم فقد حسنه الإمام النووي في الأذكار [ص ٥٥٠٤] وروحه الحاكم [١١/١٦] ، وقال : «وهنا حديث قد خرجاه في الصحيحين بأسانيد صحيحة دون ذكر الأسماء فيه . والمنة فيه عندهما أن الوليد بن مسلم تفرد بسناده بطوله ، ولم يذكر الأسماء غيره ، وليس هنا بمنة ، وإنما لا أعلم اختلافاً بين أئمة الحديث أن الوليد بن مسلم أوثق وأحفظ وأعلم وأجل من أبي اليمان ، ويشتر بين شعيب ، وعلى بن عياش ، وأقرانهم ، من أصحاب شعيب ، يشير إلى أن بشراً وعياً وأبا اليمان رزوه عن شعيب بدون سياق الأسماء . وتفق الحافظ في «الفتح» [١١/٢١٥٦] بعد نقل كلامه هذا بقوله : «ولست المنة عند الشيخين تفرد الوليد فقط ، بل الاختلاف فيه ، والاضطراب ، وتبليسه ، واحتمال الإرجاع .

ثم قال الحافظ [١١/٢١٦] : ورواية الوليد عن شعيب هي أقرب الطرق إلى الصحة . قال الإمام النووي : «ولله عز وجل أسماء سوى هذه الأسماء أي بها الكتاب والسنة =

تفسير آيات الشفاعة ١٠٠

سِتَّةَ وَلَا تَوْتُمْ ﴿١﴾ ، وروى أن بنى إسرائيل سألوا موسى عليه السلام : أيام ربنا ؟ فأوحى الله إليه : أن آت بزجاجين وضعهما في يدك ورم الليل ، ثم انظر الجواب . فلما وضع في يده الزجاجين نام بعد فترة من قيامه ؛ فالتكررت الزجاجتان . فقال : هو كذلك ، هو قائم على أمر السماء والأرض ، ولو كانت تأخذ سنة أو نوم لسقطت السموات على الأرض وانتهت الحياة على الدنيا (١) .

وقوله سبحانه : ﴿ لَا تَأْتِيهِ سِجَّةٌ وَلَا قُلُوبٌ ﴾ . و العتمة ؛ هي أول ما يأتي من النعاس ؛ أي النوم الخفيف ، فالواحد منا يكون جالسا ثم يقف ، لكن النوم هو و النعاس المبيت ؛ ، فلما قال الله تعالى : ﴿ لَا تَأْتِيهِ سِجَّةٌ ﴾ قالوا : إنه يتغلب على النوم الخفيف لكن ؛ هل يقدر على مقاومة النوم العميق ؟ فقال الحق عن نفسه : ﴿ لَا تَأْتِيهِ سِجَّةٌ وَلَا قُلُوبٌ ﴾ . ومعرفنا أن العتمة هي : النعاس الذي يأتي في أول النوم ، ومظهرها يبدو أولاً في العين وخاصة الجفن ، فعندما يذهب إنسان في النوم ؛ فإن أثر ذلك يظهر في عينيه ، ولذلك يقولون : إن العين هي الجراحة التي يمكن أن تعرف بها أحوال الإنسان ، وقد اكتشفنا في عصرنا الحديث أن الشرايين لا يمكن أن يمرروا حالتها بالضيق إلا من العين .

فالتغور الذي يأتي في العين أولاً هو العتمة ومقدمات النوم ؛ ونسبته : التغلغور (١) ذكر ابن كثير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، أن بنى إسرائيل قالوا : يا موسى هل ينام ربك ؟ قال اتقوا الله فتأناه ربه عز وجل : يا موسى سألوكم هل ينام ربك ؟ فعند زجاجين في يديك فقم الليل فقل موسى فلما ذهب من الليل نكث نعم فوقع لركبته ثم اتعمش فنبسطهما حتى إذا كان آخر الليل نعم فسقطت الزجاجتان فالتكررتا فقال يا موسى لو كت أنام لسقطت السموات والأرض فهلكت كما هلكت الزجاجتان في يديك ، فانزل الله عز وجل على نبيه ﷺ آية الكرسي .

تفسير ابن كثير [١/٢٩٢٢] .

إذن .. فالطبيعة مقابلة للهلاك . وهو الخبيث وغير هالك . والهالك لا يكون حياً ، يقول تعالى : ﴿ كُلٌّ يَجْعَلُهُ هَالِكًا إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ .

ومعنى ذلك : أن كل الأجناس من أعلاها إلى أسفلها سواء الإنسان ، أو الملائكة ، أو الحيوان ، أو النباتات ، كلها سيهلك ، وما دام كل شيء سيهلك يوم القيامة ؛ فكأنه لم يكن هالكا قبل ذلك ، وله حياة مناسبة له .

إذن .. فكل شيء له حياة ، وياك أن تظن أنك أنت الذي تهلكها ، فعندما تأتي مملأً بصحبر وتندق أو تغمه في الثرن لتصنع منه الجير ؛ يراك أن تقول : إنك أذهبت من هذه الأحجار حياتها ، أنت فقط قد حولتها من أحجار صلبة كانت لها مهمة ، إلى جير ، ففصارت لها مهمة أخرى ، فالمتسايل تتسلسل إلى أن يصير لكل شيء في الوجود حياة تناسب المهمة التي يصلح لها .

والله سبحانه هو الخي الأعلى ، والذي لا تُسلب منه الحياة ، لأن أفعالهم يعطه الحياة ؛ بل حياته سبحانه ذاتية ، فلها فهو سبحانه الخي على إطلاعه .

وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الْقَيُّومُ ﴾ وهذه صفة مبالغة من قائم ، فالأصل فيها : القائم على أمر بيته ، والقائم على أمر رعيته ، والقائم على أمر المدرسة ، والقائم على أمر هذه الإدارة ، ومعنى قائم على أمرها : أنه معولي شؤونها ، فكان القيام هو مظهر الإشراف . فنحن لا نقول : وقاعد على إدارتها . وعندما نقول : « قوم » فمعناها : أنه أوسع في القيام . كيف جاء هذا الاسماع ؟ لأن القائم قد يكون قائما بغيره ، لكن حين يكون قائماً بذاته ، بغيره يستمد قيامه منه ، والله سبحانه يقول : ﴿ هُوَ الْقَيُّومُ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يَدْرُسُ مَا كُتِبَ عَلَيْهِ مِنْ الْقُرْآنِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَأَنْتَ خَائِدَةٌ أَوْ يَدْبُرُونَ وَمَنْ لَدَيْهِ عِزٌّ مُكَرَّمٌ مِمَّنْ لَا يُلَاقِيهِ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ أَمْ يَبْهَرُونَ الْقَوْلَ بِلَ زَيْنٍ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكَرَهُمْ وَصَلُّوا عَلَى الْكَيْفِ وَمَنْ يَقْتُلِ اللَّهَ مَاتَ مِمَّا قَاتَى ﴾ [الرعد : ٢٣] .

إن الحق سبحانه قائم بذاته ، وقائم على غيره . والتغير إن كان قائماً على شيء فإنه يستمد منه سبحانه القيام . فلا بد أن يكون « قيوماً » ، ومن قيوماً أنه : ﴿ لَا تَأْتِيهِ سِجَّةٌ وَمَنْ يَتَّبِعِ آيَاتِ اللَّهِ يَجْعَلْ اللَّهُ مِنْ أَمْرِهِ حَيْثُ يَشَاءُ ﴾ [البقرة : ١٢٩] .

محمداً ﷺ أن يبلغ المشركين : قل لهم يا محمد : هل تخشون الله بشرك  
لا يعلم الله له وجوداً في السموات ولا في الأرض ؟ وهو الخالق لكل ما في  
السموات والأرض ، وهو سبحانه منزه عن أن يكون له شرك .

لقد أعلنوا ببقية التوحيد لنا جعلوا الله شركاء ، وزعموا : أن هؤلاء الشركاء  
هم الذين يستشفون لهم عند الله . فإقول الحق سبحانه : **هُوَ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ**  
**إِلَّا بِإِذْنِهِ** ؟ أي : إن الشفاعة لا يمكن أن تكون عندى إلا لمن أذنت له أن  
يشفع . إن الشفاعة ليست حقاً لأحد . ولكنها عطية من الله سبحانه وتعالى لمن  
هم أهل لها .

ويقول الحق سبحانه : **هُوَ يَمُنُّ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَمُنُّ عَنَّا** . ما بين يديك ،  
أي : الذي أمامك ، وخلفك ؛ أي : ما وراءك . وما بين يدي الإنسان يكون :  
مواجهاً لآلة الإدراك الرائدة وهي : العين ، فهو أمر يُشهد .

والذي في الخلف يكون غيباً لا يراه أحد ، كان ما بين اليد يراء به الشهود  
والذي في الخلف يراء به الغيب ، فهو سبحانه **هُوَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا**  
**خَلْفَهُمْ** ؟ أي : يعلم مشاهدتهم وغيبتهم .

وهناك معنى آخر : فقد يطلق و ما بين اليد ، إطلاقاً آخر ، إنك قد تُسأل عما بين  
يديك : هل هو مواجه لك أو غير مواجه ؟ فلو كان أمامك بشر ، فهل هم قادمون  
إليك أو راحلون عنك ؟

إنهم إن كانوا راحلين عنك ؛ فقد سبقوك وقد جئت أنت من بعدهم ، والذي من  
وراءك سيأتي من بعدك .

أي : أن الحق سبحانه يخبرنا أنه يعلم الماضي والمستقبل . فمرة يعلم الحق **هُوَ مَا بَيْنَ**  
**أَيْدِيهِمْ** ؟ أي : العالم للشهود ويسمونه : **عالم الملك** ، **هُوَ وَمَا خَلْفَهُمْ**  
أي : الغيب ، ويسمونه **عالم الملكوت** . إن سبحانه يعلم الشهود لهم والظفي  
عنهم .

وقوله تعالى : **هُوَ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ** ؟ كان الله تعالى يقول لعبده : **إِنَّمَا أَمْرٌ**  
**مَلِكٍ وَجُفَاءٌ** ، واسترح ؛ لأن ربك لا ينام . ماذا تريد أكثر من هذا ؟ هو سبحانه  
خالقك ، ويعلم أنك تحتاج إلى النوم ؛ وإنهاء نومك هناك أجهرة في جسمك تعمل :  
أذا نمت وقت نائمك ؟ إذا نمت انقطع نفسك ؟ إذا نمت وقت معنك من  
حركاتها البدوية التي تهضم ؟ إذا نمت توقفت أمماوك عن امتصاص المادة  
الغذائية ؟ لا ، بل كل شيء في دولاك يقوم بعمله . فمن الذي يُسهر هذه  
العمليات لو كان ربك نائماً ؟

إذن .. فانت تمام وهو لا ينام . وبالله هل هذه عبودية مثلنا أو نؤمننا ؟ إنها  
عبودية نؤمننا ؛ فالذي نعبد يقول : **نَامُوا أَنْتُمْ** ؛ لأنني حي قيوم لا تأخذني سنة  
ولا نوم . وإياك أن تظن أن شيئاً في كونه يخرج على مراده ، لا ؛ إن كل ما في  
السموات والأرض مخلوق مخلوك له ، فلا شيء يخرج عن قدرته . ولذلك يقول  
الحق سبحانه : **هُوَ أَزَلُّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** ؟

ويقول تبارك وتعالى : **هُوَ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ** ؟ إن الله قد  
أعطى الدنيا للمؤمنين ، والكافر ، بمعنى : من أحسن الأعد بالأسباب تنجح بالدنيا ،  
ولكن الدنيا ليست نهاية المطاف ، فالؤمن يُحسن الأعد بالأسباب في الدنيا حتى  
توصله رضا الله تعالى في الآخرة ، أما الكافر فلا نصيب له في الآخرة ؛ لأنه أخطأ  
حفظه من الدنيا بقدر ما أحسن أرباع الأسباب والأعد بها ، ومن سوء أدب الكافر  
مع ربه أنه عبد غيره وزعم أن آلهه الزعومة ستشفع له يوم القيامة ، يقول تعالى :  
**هُوَ رَبُّكَ يُرْسِدُكَ فِي نَوْمِكَ وَيُنْقِذُكَ مِنْ أَلْمِتِهِمْ وَلَا يُنْقِذُكَ مِنْ أَلْمِتِهِمْ كَمَا تُنْقِذُكَ مِنْ أَلْمِتِهِمْ**  
**إِنَّ قُلَّ النَّاسِ لَشَاكِرُونَ** . **إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** . **وَمَا يَسْتَأْذِنُكَ**  
**عَنَّا يُشْرِكُونَ** ؟ [ يونس : ١١٨ ] .

إن هؤلاء الذين أشركوا بالله ، واتخذوا أصناماً آلهة لا تقدرهم ولا تنفهم .  
يقولون عن هذه الأصنام : إنها تنفع لهم عند الله ، فيأمر الحق سبحانه رسوله

الآفاق ورفق أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولئك الذين آمنوا بربهم وكان عملهم صحيحاً [سورة: ٥٣]

ما دام الله سبحانه قاله : ﴿سَتُرِيهِمْ﴾ ، فهذا يعني أنه سبحانه سيأذن لأسرار جديدة ، وعلم جديدة علينا أن نولد ، وهذا الميلاد ليس إيجاباً وإنما هو إظهار لشيء مستور ، ولذلك يقول العلماء عن الأسرار العلمية : إنها اكتشافات جديدة .  
وتقوله : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا نَشَاءُ﴾ فيه تعد واضح . فحي إذا اجتمع البشر مع بعضهم البعض قلن يحيطوا بشيء إلا بإذنه . وهذا تعد للكل .  
حين ينشاء سبحانه لعلم أن يكشف ، فهذه السر يولد ، وقد يكون إظهار السر موافقاً لبحث أو مخالفاً له فقد يأذن الله للسر أن يولد بدون أن يشتمل الحق بتقديمه ، وذلك لأن ميعاد ميلاد السر قد جاء ؛ فيخرجه الله لأى عالم كتيمة لحظاً في تجربة ما .

وعندما نبحث في تاريخ معظم الاكتشافات نجد أنها كذلك ، لقد جاءت على غير طلب من مكشفيها ، فهناك عالم يبحث في مجال ما ، فتخرج له حقيقة أخرى كانت مخفية عنا جميعاً . لقد جاء ميعاد ميلادها على غير بحث من الخلق ، فجاء الله بها . وفي بعض الأحيان يوفق الله عالماً يبحث المقدمات ويكشف له السر الذي يبحث عنه .

إذن .. تقوله : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا نَشَاءُ﴾ تعنى : أن الإنسان قد يوفقه الله لمعرفة السر بالبحث ، و مرة يأتي سر آخر في مجال البحث عن غيره ، فالله سبحانه يأذن بكشف السر حتى لو لم يشغلوا به ورسمها الناس مصادقة ، ولكن علينا أن نعلم أنه لا شيء يتم في كون الله مصادقة ، بل كل شيء يقدر ، وهذا هو الذي يفرق لنا بين معرفة غيب كان موجوداً وله مقدمات في كون الله نستطيع أن نصل إليه بها ، وشيء مستور عند الله ليست له مقدمات

ويقول سبحانه : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا نَشَاءُ﴾ ، و لا العلم ، هو الصفة التي تعلم الأشياء على وفق ما هي عليه ، هنا هو العلم . وعلم الله تعالى أعظم من أن يحاط به لأنه لا يحيط به جلد ، وكذلك آيات الله لا تعد ، فلما ترى شيئاً يعجبك فتقول : هذه قدرة الله ، هل هي قدرة الله أو مقدر الله ؟ إنها مقدر الله ، أى : أثر القدرة ، ولذلك نفهم معنى قوله تعالى : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ ، أى : من معلومه .

﴿وَلَا يُحِيطُونَ﴾ دقة في الأداء ، لأنك قد تدرك معلوماً من جهة وجهه وتجهله من جهات ، فأوضح سبحانه : أنك لا تقدر أن تحيط بعلم الله أو قدرته ؛ لأن معنى الإحاطة أنك تعرف كل شيء ، مثل المحيط على الدائرة ، لكن ذلك لا يمنع أن تعلم جزئية ما ، ونحن نعلم بما آتانا الله من قوانين الاستبطان ، فهناك مقدمات نستبطن منها نتائج ، مثل الطالب الذي يحل مسألة جبر ، أو تمرين هندسة ، أيعلم هذا الطالب غياً ؟ لا . ولكنه يأخذ مقدمات موضوعة له ويصل إلى نتائج معروفة سلفاً لاستناده .

وقول الله تعالى : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ﴾ هو إذن منه سبحانه بأنه سيفضل على خلقه بأن ينشاء لهم أن يعلموا شيئاً من معلومه ، الذي كان خفياً عنهم ومستوراً في أسرار الكون ، ثم يأذن الله للسر أن يكشف .

إذن .. كل شيء اكتشفه العقل البشري ، كان مطموراً في علم الغيب وكان سرّاً من أسرار الله في كونه ، ثم أذن الله للسر أن يكشف لغرضه ، بمشيئته سبحانه . وهذا يعني : أن كل سر في الكون له ميلاد كالإنسان تماماً ، أى أن له ميعاداً يظهر فيه ، وهذا الميعاد يسمى مولد السر . لقد كان هذا السر موجوداً وكان العالم يستفيد منه وإن لم يعلمه . لقد كنا نحن نستفيد - على سبيل المثال - من قانون الجاذبية ولم تكن تعلم قانون الجاذبية ، وكذلك قانون النسبية كنا نستفيد منه ولم تكن نعلمه ، وهذا ما يبينه لنا الحق في قوله تعالى : ﴿سَتُرِيهِمْ حِكْمَاتِنَا﴾ في

تدل على التجميع وتدل على الأساس الذي تبيت عليه الأشياء ؛ فنقول مثلاً :  
اصنع لهذا الجدار كرسيًا ، أى : ضع لهذا الجدار أساساً يقوم عليه . وتطلق أيضاً  
صحاحي القوم الملماء الذين يقوم بهم الأمر فيما يتشكل من الأحداث والشعائر :

المرى قال :

كرسى في الأحداث حين تروب

أى : يعتمد عليهم في الأمور الجسدية .  
وحيث يُنسب شيء من ذلك للحن سبحانه وتعالى . فإن السلف لهم فيه كلام  
والخلف لهم فيه كلام .

السلف يقولون : تؤمن بما قال الله ، ولكن كفيئها وتصورها تكون في إطار :  
﴿ آتَيْنَا كِتَابَهُمْ حَتَّىٰ تَشَاءَ ﴾ .

والخلف قالوا : تؤولها بما يثبت لها صفة من الصفات ، كما يثبتون قدرة الحق بقوله

تعالى : ﴿ يَدُ اللَّهِ تَوَقُّفٌ أَيْدِيهِمْ ﴾ [التع : ١٠] .  
قالوا : قدرة الله فوق قدرتهم . وكما قال سبحانه عن قدرته في المطلق :

﴿ وَكَانَ لَكُمْ بِبَيْتِنَا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتُوبٌ مُّزَكَّاتٌ وَمِمَّا كَرِهْتُمُوهُنَّ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْفَاسِقِينَ ۝٢٤٧﴾ .  
قالوا : إن الله بكمال قدرته أحكم خلق السماء ، وهم مؤمنون أن الحق سبحانه

مقدس وثيرٌ عن أن يُشبهه خلقه .

ورحن تقول : إنا تؤمن بما قاله الله في ذلك ، وتأخذها من الله ؛ لأنه سبحانه  
أعلم بذاته وبنفسه ، ويُحليها إلى : أنه سبحانه لا شبه أو نظير له ، كبقية الصفات ،  
وقلنا : علمه ليس كعلمنا ، ويصره ليس كصبرنا ، فلماذا يكون كرسيه مثل  
كرسينا ؟ فثبت له سبحانه : « كرسى » كما أخبر ، ولكن في إطار : ﴿ آتَيْنَا  
كِتَابَهُمْ حَتَّىٰ تَشَاءَ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَبِيعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَكُونِ وَالْأَرْضِ ﴾ وسع الشيء ؛ أى : دخل  
في رسمه واحتماه . وحن نعلم أن السموات كانت كبيرة بالنسبة لنا وتطلق

تفسير آيات الشعاعة ١٠٩

إن شاء سبحانه أطاه من عنده تفضلاً ؛ من باب : « فوض الجود لا بدل الجهور » .  
وإن شاء أسك به عنده .

لكن بن هل هذا يعني أن طبعنا أننا نعرف كل الغيب ؟ بالطبع لا . فالغيب  
وسمان :

غيب جمل الله له في كونه مقدمات ، إن استعملنا نصل إليه ، ككثير من  
اللاشعاعات ، وإذا شاء الله أن يولد سر ما ولم تبحث عنه ؛ فهو يعطيه لنا من باب :  
« فوض الجود لا بدل الجهور » .

ونوع آخر من الغيب ليست له مقدمات ، وهذا هو ما استأثر الله بعلمه إلا أنه  
قد يفيض به على بعض رسله كما يقول سبحانه : ﴿ عَلَّمْنَا الْغَيْبَ قَلِيلًا يُظْهِرُ عَلَىٰ  
غَيْبِهِ أَسْمَاءً ۝١٤٤﴾ . أَلَا مِنْ آتَمِّينَ بَيْنَ رَسُولٍ وَآيَاتِهِ يَتْلُوهُ  
رَسُولًا ۝١٤٥﴾ [الحج : ١٤٤] .

وعلياً أن نعلم أن قوله : ﴿ تَوَقُّفٌ ﴾ يعني أقل القليل ، أى : من بداية ما يقال له شيء .  
وقوله سبحانه : ﴿ وَبِيعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَكُونِ وَالْأَرْضِ ﴾ يعلمنا أن الحق سبحانه  
يكلم به عن نفسه وخلقها فيه نظائر ، كالوجود مثلاً : سبحانه موجود وأنت  
موجود . وكالغنى ، هو غنى وأنت غنى . وكالمعلم ، هو عالم وأنت تكون عالماً ،  
فهل تقول : إن الصفة لله كالصفة عندنا ؟ لا ، كذلك كل ما يرد بالنسبة للغيب  
فيما يتعلق بالله إضافة أو وصفاً ؛ لا تأخذها بما هو عندك ؛ بل خذها في إطار :

﴿ آتَيْنَا كِتَابَهُمْ حَتَّىٰ تَشَاءَ ﴾ [النورى : ٢١١] .  
وقوله سبحانه : ﴿ وَبِيعَ كُرْسِيُّهُ ﴾ تأخذه كما قلنا في إطار : ﴿ آتَيْنَا كِتَابَهُمْ  
حَتَّىٰ تَشَاءَ ﴾ ، والكبرى في اللغة من الكبر . والكبرى هو : التجميع ، ومنه  
الكراسة وهي عدة أوراق مجمعة ، وكلمة « كرسى » استعملت في اللغة بمعنى  
الأساس الذى يُبنى عليه الشيء ، فمادة « الكرسى » - الكاف والراء والسين -

تفسير آيات الشعاعة ١٠٨

قال : و من عرف جواده ، وأهريق دمه ٤ .

قال : قلت : يا رسول الله - فأتى الصفة أفضل ٢ .

قال : و جهد المقل خير الى فقير ٤ .

قلت : يا رسول الله ، فأتى ما أنزل الله عليك أعظم ٢ .

قال : و آية الكرسي ٤ .

ثم قال : و يا أبا تر ، ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحافة مقلقة بأرض قلاة ،

وتفضل العرش على الكرسي ، كفضل الصلاة على الخلق ٤ . قال : قلت : يا رسول الله ،

كم الأنبياء ٢ ؟ قال : و مئة ألف و عشرون ألفا ٤ .

قلت : يا رسول الله ، كم الرسل من ذلك ٢ ؟ قال : و ثلاثمائة وثلاثة عشر حجماً غيراً ٤ .

قال : قلت : يا رسول الله . من كان أولهم ٢ ؟ قال و آدم ٤ . قلت : يا رسول الله ، أتى

مرسل ٢ ؟ قال : و نعم ، خلقه الله بيده ، و رفع فيه من روحه ، و كلمه قبلأ ٤ .

ثم قال : و يا أبا ذر أربعة سريانيون : آدم ، و شيث ، و أخنوخ ، و هو إدريس ، و هو أول

من خط بالقلم ، و نوح ، و أربعة من العرب : هود ، و شعيب و صالح ، و نبيك محمد ﷺ ٤ .

قلت : يا رسول الله ، كم كتاباً أنزله الله ٢ ؟ قال : و مئة كتاب ، و أربعة كتب ، أنزل على

شيث خمسون صحيفة ، و أنزل على أخنوخ ثلاثون صحيفة ، و أنزل على إدريس عشر

صحائف ، و أنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف ، و أنزل التوراة بالإنجيل و الزبور

و القرآن ٤ .

قال : قلت : يا رسول الله ، ما كانت صحيفة إبراهيم ٢ ؟ قالت : و كانت أعمالاً كلها :

أيها الملك المسط البطني الغرور ، إني لم أبعك لصحاح الدنيا بعضها على بعضي ، و لكني

بهتك ليرد عني دعوة المظلوم ، و نبي لا أروها ولو كانت من كافر ، و على المائل ما لم

يكن مقلوباً على عقله أن تكون له ساعات : ساعة يناجي فيها ربه ، و ساعة يحاسب فيها

نفسه ، و ساعة يتفكر فيها في صنع الله ، و ساعة يدخل فيها حاجته من الطعام و الشراب ،

و على المائل أن لا يكون طامعاً إلا لفلات : تزود لمداد ، أو مربة لعماش ، أو لدة في غير

محرم ، و على المائل أن يكون بصيراً بربله ، مقبلاً على شأنه ، حافظاً لسانه ، و من

حسب كلامه من عمله ، قل كلامه إلا ينسا بينه ٤ .

عظيم من خلق الله تعالى ، قال الله سبحانه : هُوَ لَخَلْقِ السَّمَكَاتِ السَّكِينَاتِ وَالْأَرْضِ

أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَكَانَ أَكْبَرَ الْفَرَاقِ لَا يَتَلَمَّحُونَ فِيهِ [ غافر : ١٥٧ .

قلت : و عندما يعلم : أن الكرسي وسع السموات والأرض ، فهذا يعني أنه أعظم من

السموات والأرض . ولذلك يقول أبو ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه : ه سمات

النبي ﷺ عن الكرسي فقال : يا أبا ذر ما السموات السبع والأرضون السبع عند

الكرسي إلا كحافة مقلقة بأرض قلاة . وإن فضل العرش على الكرسي كفضل

القلاة على تلك الخلق ٤ (١١) .

(١١) روى ابن حبان في صحيحه [٣١٦١] عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه أنه قال : و دخلت

المسجد ، فإذا رسول الله ﷺ ، جالس وحده . قال : و يا أبا ذر إن للمسجد تحية ، وإن

تحية ركعتان قم فاركعهما ٤ .

قال : ركعت ، فركعهما ثم عدت فجلست إليه .

قلت : يا رسول الله ، إنك أمرتني بالصلاة ، فما الصلاة ٢ ؟

قال : و خير موضوع ، استكبر أو استقل ٤ .

قال : قلت : يا رسول الله ، أي العمل أفضل ٢ ؟

قال : و إيمان بالله ، و جهاد في سبيل الله ٤ .

قال : قلت : يا رسول الله ، فأتى المؤمن أكمل إيماناً ٢ ؟

قال : و أحبهم حقاً ٤ .

قلت : يا رسول الله ، فأتى المؤمن أسلم ٢ ؟

قال : و من سلم الناس من لسانه ويده ٤ .

قال : قلت : يا رسول الله ، فأتى الصلاة أفضل ٢ ؟

قال : و طول القنوت ٤ .

قال : قلت : يا رسول الله فأتى الهجرة أفضل ٢ ؟ قال : و من هجر السيئات ٤ .

قال : قلت : يا رسول الله ، فما الصيام ٢ ؟ قال : و فرض مجزئ ، وعند الله أضعاف

كبيرة ٤ .

قال : قلت : يا رسول الله ، فأتى الجهاد أفضل ٢ ؟

إذن .. فمعنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُؤَدُّهُمْ حِفْظُهُمْ ﴾ أى : أنه لا يتقل على الله حفظ السموات والأرض . إن السماء والأرض وهما فوق اتساع رؤية البشر ؛ قد وسعهما الكرسي ، حتى إن بعض المفسرين قالوا : إذا كان الكرسي لا يتقل عليه حفظ السموات والأرض فما بالتا بصاحب الكرسي ؟  
 وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ إذا كانت هذه الأشياء الضخمة من صنع الله تعالى وهو فوقها ، فإنه سبحانه عندما يصف نفسه بأنه ﴿ الْعَلِيُّ ﴾ و ﴿ الْعَظِيمُ ﴾ فذلك أمر طبيعي .  
 إن الحق سبحانه وتعالى يعطينا تديلاً منطقياً يقتضيه ما تقدمت به الآية الجليلة : آية الكرسي ، إنه سبحانه : ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ وكلمة : ﴿ الْعَلِيُّ ﴾ صيغة مبالغة في العلو . أى : الذى لا يوجد ما هو أعلى منه . فكل شيء دونه .  
 وإذا عرفت ذلك فاعلم أنه لا أحد يشفع عنده إلا بإذنه .

○○○

وقول الحق سبحانه : ﴿ وَلَا يُؤَدُّهُمْ حِفْظُهُمْ ﴾ ، معنى آده الشيء ، أى : ألقه . وحتى نفهم ذلك هب أن إنساناً يستطيع أن يحمل عشرة كيلوجرامات ، فإن زدنا هذا الحمل إلى عشرين من الكيلوجرامات فإن الحمل يتقل عليه ، ويجعل عموده الفقري معوجاً حتى يستطيع أن يقاوم الثقل . فإن زدنا الحمل أكثر فقد يقع الرجل على الأرض من فرط زيادة الوزن الثقيل .

= قلت : يا رسول الله ، فما كانت صحتف موسى ؟ قال : « كانت عبراً كلها : عجت لمن أيقن بالموت ، ثم هو يفرح ، وعجت لمن أيقن بالنار ، ثم هو يضحك ، وعجت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب ، عجت لمن رأى الدنيا وتقبلها بأهلها ، ثم اطمان إليها ، وعجت لمن أيقن بالحساب غداً ثم لا يعمل » .  
 قلت : يا رسول الله ، أوصنى . قال : « أوصيك بتقوى الله ، فإنه رأس الأمر كله » .  
 قلت : يا رسول الله ، زدنى ، قال : « عليك بتلاوة القرآن ، وذكر الله ، فإنه نور لك فى الأرض ، ودخرك فى السماء » .  
 قلت : يا رسول الله ، زدنى ، قال : « إياك وكثرة الضحك ، فإنه يمت القلب ، ويذهب بهور الوجه » .  
 قلت : يا رسول الله ، زدنى ، قال : « عليك بالصمت إلا من خير ، فإنه مطردة للشيطان عنك ، وعون لك على أمر دينك » .  
 قلت : يا رسول الله ، زدنى ، قال : « عليك بالجهاد ، فإنه رهبانية أمتى » .  
 قلت : يا رسول الله ، زدنى ، قال : « أحب المساكين وجالسهم » .

قلت : يا رسول الله ، زدنى ، قال : « انظر إلى من تحتك ولا تنظر إلى من فوقك ، فإنه أجدر أن لا تزدى نعمة الله عندك » .  
 قلت : يا رسول الله ، زدنى ، قال : « قل الحق وإن كان مرأ » .  
 قلت : يا رسول الله ، زدنى . قال : « ليردك عن الناس ما تعرف من نفسك ولا تجد عليهم فيما تأتي ، وكفى بك عيباً أن تعرف من الناس ما تجهل من نفسك ، أو تجد عليهم فيما تأتي » .

ثم ضرب يده على صدرى فقال : « يا أبا ذر لا عقل كالتيبير ، ولا ورج كالكف ، ولا حسب كحسب الخلق » .  
 قال الارزرووط : إسناده ضعيف جداً .

وقوله تعالى : ﴿ لَا تَجْرِي نَفْسٌ مِنْ نَفْسٍ سَيِّئَةٍ ﴾ كم نفس هنا ؟ إنهما اثنتان .

نفس عن نفس . إذا .. هناك نفس أولى ونفس ثانية . فما هي النفس الأولى ؟ النفس الأولى : هي الجازية . والنفس الثانية : هي الجري عنها . وما دام هناك نفسان ؛ فقوله

تعالى : ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنَّا شَفَعَةٌ ﴾ هل من النفس الأولى أم من النفس الثانية ؟

إذا نظرت إلى المعنى ، فالمنى : أنه سيأتي إنسان صالح في يوم القيامة ويقول : يا رب أنا سأجزي عن فلان ، أو أغني عن فلان ، أو أفضى حق فلان .

إذن .. النفس الأولى ، أي : النفس الجازية تحاول أن تحصل عن النفس الجري عنها .

ولكي تقرب المعنى - والله اللئيم الأعمى - نفترض أن حاكماً غضب على أحد من الناس وقرر أن ينتقم منه أشنع انتقام ؛ فيأتي صديق لهذا الحاكم ويحاول أن يجزي عن المفضوب عليه . فيما لهذا الرجل من منزلة عند الحاكم ؛ يحاول أن يدفع للطرف الثالث . وفي هذه الحالة إما أن يقبل شفاعته أو لا يقبلها . فإذا لم يقبل شفاعته فإنه سيقرر للحاكم : أنا سأسند ما عليه . أي سيدفع عنه فدية ، ولا يتم ذلك إلا إذا رفضت الشفاعة .

فإذا كانت المسألة في يوم القيامة ومع الله سبحانه وتعالى ، يأتي إنسان صالح يدفع عند الله تبارك وتعالى لإنسان أسرف على نفسه . فلا بد أن يكون هذا الإنسان المنفع من الصالحين ويؤذن له في الشفاعة ، حيث لا تقبل شفاعته . وأقرأ قوله سبحانه : ﴿ هُوَ مِنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

وقوله تعالى : ﴿ هُوَ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ [الأنبياء : ٢٧٨] .  
والإنسان الصالح قد يحاول أن يدفع لمن أسرف على نفسه . فلا تقبل شفاعته ، ولا يؤخذ منه عدل ، ولا يسمح له بأى مسأومة أخرى .  
إذن .. لا يتكلم عن العدل في الجواز إلا إذا فشلت الشفاعة .

### الشفاعة .. والنفس الجازية والجري عنها

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَنْقَضُوا بِأَمْرٍ إِلَى نَفْسٍ سَيِّئَةٍ وَلَا يُقْبَلُ مِنَّا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْتَىٰ مِنَّا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُصْرَوْنَ ﴾ [البقرة : ٢٤٨]

قوله تعالى : ﴿ هُوَ وَأَنْقَضُوا بِأَمْرٍ ﴾ بذكرهم بهذا اليوم . وهو يوم القيامة الذي لا ينفع الإنسان فيه إلا عمله . ويطلب الحق سبحانه وتعالى منهم أن يحصلوا بينهم وبين صفات الجلال لله تعالى في ذلك اليوم وقاية .

وهناك آية أخرى يقول فيها الحق سبحانه : ﴿ هُوَ وَأَنْقَضُوا بِأَمْرٍ لَا تَجْرِي نَفْسٌ مِنْ نَفْسٍ سَيِّئَةٍ وَلَا يُقْبَلُ مِنَّا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُكَ شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُصْرَوْنَ ﴾ [البقرة : ٢١٣] .  
صدر الآيتين متفق . ولكن لاحظ في الآية الأولى قوله تعالى : ﴿ هُوَ وَلَا يُقْبَلُ مِنَّا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْتَىٰ مِنَّا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُصْرَوْنَ ﴾ .

وفي الآية الثانية قوله تعالى : ﴿ هُوَ وَلَا يُقْبَلُ مِنَّا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُكَ شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُصْرَوْنَ ﴾ .

هل هذا تكرار ؟ تقول : لا .. المسألة تحتاج إلى فهم . فالآياتان متفتحتان في مطالبهما : في قوله تعالى : ﴿ هُوَ وَأَنْقَضُوا بِأَمْرٍ لَا تَجْرِي نَفْسٌ مِنْ نَفْسٍ ﴾ .  
ولكن في الآية الأولى قدم الشفاعة وقال : ﴿ هُوَ وَلَا يُقْبَلُ ﴾ . وفي الثانية أقر الشفاعة وقال : ﴿ هُوَ وَلَا تَنْفَعُكَ ﴾ .

إذن .. الشفاعة في الآية الأولى مقدمة ، والعدل متأخر ، وفي الآية الثانية العمد مقدم ، والشفاعة مؤخر .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ هُوَ وَأَنْقَضُوا بِأَمْرٍ ﴾ هو يوم القيامة الذي قال عنه الحق سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ يَوْمَ لَا تَكُنْ لَكَ نَفْسٌ سَيِّئَةٌ وَلَا آمْرٌ يُؤْمَرُ بِهِ ﴾ [الأنعام : ٢١٩] .

وهذه الآيات التي أوردناها كلها تتعلق بيوم القيامة . على أن هناك مثلاً آخر في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ بِإِنْتِقَالٍ كَقَتْلِكُمْ ذَوْنَكُمْ ﴾ ١ والإسراء : ٢٢١ .

والآية الثانية في قوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَتَّىٰ إِنْتَقِلُوا عَنْ آبَائِكُمْ ﴾ ٢ يقول بعض الناس : إن قوله : ﴿ تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ﴾ في الآية الأولى وعلته : ﴿ تَقْتُلُهُمْ ﴾ في الآية الثانية من جمال الأسلوب ١ نقول : لا . قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ بِإِنْتِقَالٍ ﴾ أي : من قدر موجود . وما دام الفقر موجوداً فالإنسان لا يريد أولاداً ليورثهم . ولذلك قال له الحق سبحانه وتعالى : ﴿ حَتَّىٰ تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ﴾ ؛ أي : إن محبة الأولاد لن يزيدكم قرأ ؛ لأن لكم رزقكم ولهم رزقهم . وليس معنى أن لهم رزقهم أن ذلك سيقص من رزقكم .. فلاب رزق ولرؤك رزق .

أما في الآية الثانية : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَتَّىٰ إِنْتَقِلُوا ﴾ فكان الفقر غير موجود . ولكنه يخشى إن رزق بالأولاد يأتيه الفقر . يقول له الحق : ﴿ حَتَّىٰ تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ﴾ أي : إن رزقهم سيأتيهم قبل رزقكم .

فبما قرأ قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا بَنِيَّ لَا يَخْرِي قَتْلُكُمْ مِنْ نَفْسِي ﴾ في الآيتين لا تظن أن هذا تكرار ؛ لأن الفمسم مختلف في المطلبين . في النفس المجرية قدم الشفاعة وأخر العدل . وفي النفس المجرية عنها تقدم العدل وبعد ذلك الشفاعة .

والحق سبحانه وتعالى يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْرُجُوا مِنْ دِينِكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ بِإِنْتِقَالٍ كَقَتْلِكُمْ ذَوْنَكُمْ ﴾ ٣ . إن الإنسان لا يمكن أن يخرى عن إنسان مهما بلغت قرابه .. لا يخرى الولد عن أمه أو أبيه . أو يخرى الولد عن أولاده .

هذا التفسير يعود إلى النفس المجرية . أي التي تقدم للشفاعة عند الله . يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا يَقْتُلُ بَنِيَّ حَتَّىٰ يَمُوتَ ﴾ فلا يقل منها أي مساوية أخرى . ويقول سبحانه : ﴿ وَلَا يُوْثِقُ بَنِيَّ عِقَالًا ﴾ ٤ العنكبوت : ٢٤٨ . وهذا ترتيب طبيعي للأحداث .

وفي الآية الثانية : يحدث الله تبارك وتعالى عن النفس المجرية عنها قبل أن تستفتح بغيرها ، وتطلب منه أن يشفع لها . لابد أن تكون قد ضاقت حيلها وعبثت عليها الأسباب ؛ فيذهب إلى من تقبل منهم الشفاعة فلا تقبل شفاعتهم . وأما قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ حَتَّىٰ تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ بِإِنْتِقَالٍ ﴾ ٥ أي : من قدر موجود . وما دام الفقر موجوداً فالإنسان لا يريد أولاداً ليورثهم . ولذلك قال له الحق سبحانه وتعالى : ﴿ حَتَّىٰ تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ﴾ ؛ أي : إن محبة الأولاد لن يزيدكم قرأ ؛ لأن لكم رزقكم ولهم رزقهم . وليس معنى أن لهم رزقهم أن ذلك سيقص من رزقكم .. فلاب رزق ولرؤك رزق .

فماذا كان رد الحق سبحانه وتعالى عليهم ؟ قال جل جلاله : ﴿ تَقْتُلُوا بَنِيَّ حَتَّىٰ يَمُوتَ ﴾ ٦ أي : من قدر موجود . وما دام الفقر موجوداً فالإنسان لا يريد أولاداً ليورثهم . ولذلك قال له الحق سبحانه وتعالى : ﴿ حَتَّىٰ تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ﴾ أي : إن رزقهم سيأتيهم قبل رزقكم .

فبما قرأ قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا بَنِيَّ لَا يَخْرِي قَتْلُكُمْ مِنْ نَفْسِي ﴾ في الآيتين لا تظن أن هذا تكرار ؛ لأن الفمسم مختلف في المطلبين . في النفس المجرية قدم الشفاعة وأخر العدل . وفي النفس المجرية عنها تقدم العدل وبعد ذلك الشفاعة .

والحق سبحانه وتعالى يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْرُجُوا مِنْ دِينِكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ بِإِنْتِقَالٍ كَقَتْلِكُمْ ذَوْنَكُمْ ﴾ ٧ . إن الإنسان لا يمكن أن يخرى عن إنسان مهما بلغت قرابه .. لا يخرى الولد عن أمه أو أبيه . أو يخرى الولد عن أولاده .

وقوله جل جلاله : ﴿ وَكَذَلِكَ أَرْسَلْنَا إِبْرَاهِيمَ نُرُوحًا بَيْنَ أَيْدِيهِ ﴾ .

عنه هي الروح التي فيها النقاء والصفاء . وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُبْصِرُكُمْ ﴾ .  
أي : إن الله سبحانه وتعالى إذا قضى عليهم العذاب لا يستطيع أحد نصرهم  
أو وقف عندهم . لا يمكن أن يحدث هذا ؛ لأن الأمر كله لله  
وقوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا يَوْمَئِذٍ لَا يَجْرِي تَحْتَهُمْ سُرَّتَاتٌ وَلَا يَجْعَلُ يَمِينًا وَلَا  
شِمَالًا ﴾ [البقرة : ١١٢٣] .

هذه الآية الكريمة تشابهت مع الآية [٤٨] من سورة البقرة .. التي يقول فيها الله  
تبارك وتعالى : ﴿ وَكَانُوا يَوْمَئِذٍ لَا يَجْرِي تَحْتَهُمْ سُرَّتَاتٌ وَلَا يَجْعَلُ يَمِينًا وَلَا  
شِمَالًا ﴾ .

تقول إن هذا التشابه ظاهري .. ولكن كل آية تودى معنى مستقلاً .. ففي الآية  
[٤٨] يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا يُقِيلُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا ﴾ ولا يُؤْتِيهِمْ يَمِينًا وَلَا  
شِمَالًا . وفي الآية [١٢٣] من سورة البقرة قال : ﴿ وَلَا يُقِيلُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا ﴾ ولا تُعْمَلُ شِمَالُهُمْ .  
لأن قوله تعالى : ﴿ لَا يَجْرِي تَحْتَهُمْ سُرَّتَاتٌ ﴾ .. لو أردنا النفس الأولى  
فالسباق يتاسمها في الآية الأولى .. ولو أردنا النفس الثانية فالسباق يتاسمها في الآية  
الثانية .. فكان معنا تفسيرين : إجماعهما جارية ، والثانية مجزئة عظيمة الجارية هي  
التي تنفع ، فأول شيء يقبل منها هو الشفاعة ، فإن لم تقبل شفاعتها تقول : أنا  
أتحمل العمل . أي : أعدد العقوبة ، أو ما يقابل الذنب . ولكن النفس الجزئة عنها  
أول ما تقدم هو العمل أو القلاء ، فإذا لم يقبل منها تبحث عن شفيع .

قال الله تعالى : ﴿ وَكَانُوا يَوْمَئِذٍ لَا يَمُرُّونَ إِلَّا بِالْحَمْدِ ﴾ [الجمعة : ٢١٤] .  
﴿ وَكَانُوا يَوْمَئِذٍ لَا يَمُرُّونَ إِلَّا بِالْحَمْدِ ﴾ [البقرة : ٢١٤] .  
﴿ وَكَانُوا يَوْمَئِذٍ لَا يَمُرُّونَ إِلَّا بِالْحَمْدِ ﴾ [البقرة : ٢١٤] .

تفسير آيات الشفاعة ١١٩

وإنما قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُرَى الَّذِينَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَأَيْدِيهِمْ رُءُوسُهُمْ ﴾ .

بالحق آمري . ينتهت بتوجيه شأن عظيمة .  
وتقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا يُجْعَلُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا ﴾ ، ﴿ وَلَا يُؤْتِيهِمْ يَمِينًا  
وَلَا شِمَالًا ﴾ .  
العدل هو التبادل . كان يقول السرف على نفسه : يا رب فمات كذا  
وأسرفت على نفسي فأعدني إلى الدنيا أصل صالماً . وكلمة العدل مرة تأتي -  
بكسر العين - وهي مقابل الشيء من جنسه . أي أن يعمل القماش فمماثلته  
ويعمل الذهب ذهباً مثله . وعدل - بفتح العين - مقابل الشيء ولكن من غير  
جنسه .

و العدل معناه : الحق . والعدل لا يكون إلا بين خصمين . ومعناه :  
الانصاف . والحق هو الشيء الثابت الذي لا يتغير ، وألك لا تتغير لجهة على  
حساب جهة أخرى .

ولابد أن نعرف ما هي « النفس » . كلمة النفس إذا وردت في القرآن الكريم ،  
فإنهم أن لها علاقة بالروح ؛ حينما تعمل الروح بالمادة وتطهها الحياة توجد النفس .  
المادة وحدها قبل أن تعمل بها الروح تكون مقهورة ومقادة ومسبحة لله تعالى .  
فلا تقل الحياة الروحية والحياة المادية ؛ لأن الروح مسبحة ومادة مسبحة . ولكن  
عندما تلتقي الروح بالمادة وتبدأ الحياة وتتحرك الشهوات يبدأ الخلل .

والمرت يرتب عليه خروج الروح من الجسد ؛ الروح تذهب إلى عالمها السخري .  
وبالمادة تذهب إلى عالمها السخري . وذلك يجعلنا نفهم قول الحق سبحانه وتعالى :  
﴿ يَوْمَ نَقْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَنَكْبِتُهمْ وَنَجْزِيهمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ [البقرة : ٢٤] .  
لأننا نشهد ؛ لأنها لم تمت مسخرة للإنسان ، فلا تنبج أوامر في الطاعة والمعصية .  
ولقد شاع عند الناس لفظ الحياة المادية والحياة الروحية ؛ لأن الحياة الروحية  
تختلف عن الروح التي في جسدك . وهي تنطق على الملاكمة مصداقاً لقوله تعالى :  
﴿ تَرَى يَدَ الرَّجُلِ أَلْبَسَةً ﴾ [الجمعة : ١١٣] .

تفسير آيات الشفاعة ١١٨

إذن .. المؤمن يأمل أن يكون يوم المحشر في ولاية الله ورعيته وهؤلاء هم من قال عنهم الحق: ﴿وَأَخْرَجُوا أَزْوَاجًا لِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ عَقَلًا عَمَلًا صِلًا صِلِيًّا وَتَكَلَّفَ سِتًّا عَنَى اللَّهُ أَنْ يَبْرُتَ عَلَيْهِمْ أَنْ اللَّهُ عَلِيمٌ بِرُحْمِهِمْ ﴿والنبيه: ٢٠، ٢١﴾ .

وإن كانت الآية الكريمة تتناول وتشمل غيرهم من أهل الكتاب وتشمل وتضم أيضاً الذين يؤمنون بالبعث ولكنهم لم يؤمنوا بكل الأبياء .

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ذُو الْعَرْشِ الْمَغْتَابُ يَشْفَعُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَنْ يَشْفَعُ لَهُمْ وَالْحَجِيُّ الْأَشْفِقُ وَالْعَصِيُّ يَوْمَ أَنْ يُنْفَخَ الْعُرْسُ وَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وَمَنْ يَشْفَعُ لَهُمْ وَالْحَجِيُّ الْأَشْفِقُ وَالْعَصِيُّ يَوْمَ أَنْ يُنْفَخَ الْعُرْسُ وَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧٠﴾ .

اللعب هو : الاشتغال بما لا يقيد لقل الوقت . وإذا شغلك اللعب عن شيء مطالب منك فهو لهو ؛ لأنك لم تهت عن أمر واجب عليك ، فاللهو إذاً هو الترويح عن النفس بما لا تقتضيه الحكمة .

وقول الحق سبحانه: ﴿وَصَرَّفْتُمْ الْأَبْصَارَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ هو تصوير دقيق لحالهم ؛ لأنهم من أصحاب العقول التي تنظر بالحياة الدنيا فهي عقول تائهة ؛ فالمقل التاضح يفهم الذي يصلح أنها أقل شأنًا من أن تكون غاية ، ولكنها وسيلة أو مجال وطريق ومزرعة إلى الآخرة (١) .

(١) ذكر الحافظ في الفتح [٢١٧/٢٣٠] قال ابن الجوزي: قد يكون الإنسان صحيحاً ولا يكون متفرغاً لشغله بالماشى ، وقد يكون مستغنياً ولا يكون صحيحاً ، وإذاً اجتمعا فطلب عليه الكسل عن العطاء فهو النبون ، ويقام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة ، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة . فمن استعمل فراغه في طاعة الله فهو النبيوط ، ومن استعملها في معصية الله فهو النبون ؛ لأن الفراغ يقبه العمل ، والمصحة يعقبتها التسليم .

أى أئمة بالوحي - - الذي جعله - هؤلاء الذين يخشون يوم اللقاء مع الله . والإنذار هو : إعلام بتجربة مستحتملة قبل وقوعه لتفادي أن يقع .

وما أراد بهؤلاء الذين يطلب الحق من رسوله إنذارهم بالوحي ؟ في أول الإسلام كان إقبال بعض المؤمنين على العمل الإيجابي ضعيفاً ، وما دام في قلوبهم إيمان ، وبخشون لقاء الله بالوحي إنذار لهم بضرورة العمل الإيجابي الجاد . كما يجوز أن يكون الإنذار بالوحي لأهل الكتاب ؛ لأنهم يعرفون أن هناك يوماً آخر سيلقون فيه الله .

وقد يكون الإنذار لإسنان يؤمن بالبعث ولكنه يشك في الأبياء وشفاصتهم ، فهنا المصنف قد جعله التحذير والإنذار إلى أن يعيد النظر في قضية الإيمان ويعقل البيا المصدق الذي جاء به رسول الله ﷺ .

ولما أن نأخذ الإنذار بالوحي على أى وجه من الوجوه السابقة . ولكن هل يخاف المؤمن أن يحشر إلى الله ؟ بالطبع لا . لكنه يخاف أن يحشر مجرداً من عقيدته ، يخاف أن يحشر وله ولي أو ناصر غير الله تعالى ؛ إذ في الحقيقة ليس هناك أحد يحصى وينصر من الله ، ولا شفيع يخلص من عذاب الله إلا يادته هو من ذا الذي يَشْفَعُ بِحَبْنَةٍ أَلَا بِأَذْنِ اللَّهِ ﴿٢٧١﴾ .

وقد حدد الحق ذلك في قوله: ﴿هُوَ الْوَكِيلُ﴾ وَلَا تَحْسَبُوا أَنَّ مَجْزِعَاتِكُمْ لِلَّهِ بِمَا كَفَرْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ .

إنهم هم المؤمنون الذين آمنوا بالله ، ورسوله ولكنهم قنعوا في بعض المظالمات والتكليف التي يتطوى عليها قوله الحق: ﴿هُوَ كَفَىٰ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [الأنام: ٢٤٨] . هؤلاء المؤمنون عندما يخشونهم الإنذار فهم قد يصلحون من أمورهم ؛ خوفاً من المحشر بدون ولي ولا شفيع .

قوله : ﴿ تَسْبِكُ تَقْتُلُ يَمَّا كَتَبْتَ ﴾ أى : تقع نفس بما كتبت ، واللعن إما بالهلاك أو بالجنس جيساً يدم عليها العذاب . والجس في جياتنا هو : وضع إنسان في مكان لقمناه عقوبة عليه .

وعندما جاء الإسلام لم يحسن فرداً إنما حَسِبَ الجميع عن طريق جوهنا عتاب أكبر وأشد ؛ فقد ترك الإسلام الجرم حراً في الجميع ولكنه حَسِبَ الجميع عنه ؛ فالجرم يحس فلا يجد من يكلمه أو يفضلك له أو يفرح معه أو يظلمه حزنه . وحدث ذلك عندما قاطع الجميع المسلم كله الثلاثة الذين تخلفوا عن النزول مع رسول الله ﷺ (١) .

﴿ وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَسْبِكُ تَقْتُلُ يَمَّا كَتَبْتَ ﴾ أى ذكر بالقرآن أو بالمنهج ، أو بماقبة محاولة الإنسان للمنهج . والمقاب إما حَسِبَ وإما هلاك ، وذلك بسبب ما تكسب النفس . والكسب في اللغة معناه زيادة على رأس المال . والكلمة اشتقاق ثاب وهو : « اكسب » . ومرة تأتي الكلامان في معنى واحد ، فالكسب يحدث دون اتصال ودون تعيب أو مشقة ، أما الاكساب فهو يحدث وبالعامل وبماقبة وعنت ؛ لأن الذى يأخذ بالگرام يأخذ أكثر من قدرة ذاته ، فيكون قد اكسب . أما الذى يأخذ بالخلال فهو قد كسب . ولكن بعض الناس يأخذون ما اكسبوه بأحجال ومكر ويظنون أنه كسب ومما هو الشر ؛ لأنه يأخذ غير المشروع له ويحمله لنفسه ، ويعتبره كسباً لا اكساباً . هو وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَسْبِكُ تَقْتُلُ يَمَّا كَتَبْتَ لَيْسَ مَا مِنْ ذَنْبٍ اللَّهُ وَكَرِهَ وَلَا تَفِيحُ وَإِنْ تَقْدِرُ كُلَّ مَقْدَرٍ لَا يُؤْتِنَا يَتِيًّا ﴾ [ الأمام : ٢٧٠ ] .

إذن .. فهذه النفس التى تحس وتسلم نفسها إلى الهلكة والمقاب بسوء كسبها ليس لها من دون الله من ولي ولا شفيع ، ولا يقبل منها عدل .

(١) انظر تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَكَلَّ الْأَثَمَةَ الْأَثَمَةَ تَقْتُلُ ﴾ [ التوبة : ١١٨ ] وحديث كعب بن مالك عند البخارى [ ٨/٤٦ ] وسلم [ ٥٣/٢٧٦٩ ] .

وعلى المقل التاضح أن يعامل معها دون نسيان مهمته ، وراقية الناس أنهم جعلوا الوسائل غايات ، و غاية وحرد الناس على الأرض أن يعمرها بالمعمل الصالح وعادة الحق (١) .

إننا نعلم أن غاية الإنسان من العجاية الدينية ليست أن يعيش صراطاً طويلاً ، ولا أن يبال الناسب ، ولا أن يحصل على البراءة ، ولا أن يبال القوة ، فكل ذلك من الأغبار ، والأغبار تخلف من إنسان إلى آخر .

ولذا كان الله تعالى أمرنا أن نقوم بإعمار الأرض فهو سبحانه الذى أمرنا ألا نجعلها هي الغاية ؛ قال تعالى : ﴿ أَقْلِمُوا آتَا لَلْبِيَةِ الْأَتَا لَيْسَ وَكَلِمَ وَرَبِيَّةَ وَتَقَاتِمُ يَتَكَلِمُ وَتَكَلِمُ فِي الْأَتَا وَتَقَاتِمُ كَتَلُ حَتَّى أَتَيْتِ الْكَلَا وَتَقَاتِمُ تَجِجُ هَرَبَةً تَسْمَعُ تَم يَكُونُ حَلَاةً وَكَ الْأَتَا وَتَقَاتِمُ وَتَقَاتِمُ تَقَاتِمُ وَتَقَاتِمُ وَتَقَاتِمُ الْأَتَا لَا تَمِجُ الْمَشْرُورِ ۝ سَابِقُوا إِيكَ مَقْتَرَةً مِنْ رَبِّكَ وَتَجِجُ عَرَبِيًّا كَعَرَبِيَّةِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَفَدَّتِ اللَّذِيكَ بَابِيًّا يَا اللَّهُ وَرَبِّيهِ ذَلِكَ قَتَلُ اللَّهُ يُوْتِيهِ مِنْ يَتِيَّةً وَكَأَنَّهُ ذُو الْقَتَلِ الْآتَمِجِرِ ۝ ﴾ [ المدثر : ٤ ] .

ولذلك يجب أن نجعل دائماً على ضوء ما ينبغي من المقاب وهو منهج الله الذى أوحى به سبحانه إلى رسوله ﷺ ؛ قال تعالى : ﴿ وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَسْبِكُ تَقْتُلُ يَمَّا كَتَبْتَ لَيْسَ مَا مِنْ ذَنْبٍ اللَّهُ وَكَرِهَ وَلَا تَفِيحُ وَإِنْ تَقْدِرُ كُلَّ مَقْدَرٍ لَا يُؤْتِنَا يَتِيًّا ﴾ [ الأمام : ٢٧٠ ] .

وقوله تعالى : ﴿ وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَسْبِكُ تَقْتُلُ يَمَّا كَتَبْتَ ﴾ البسل معناه : المنح ، واللعن له صورتان :

الأولى : منع حركة حياة حي ؛ أى : أن نجسه في مكان محدد يتحرك فيه .

والثانية : منع من أصل الحياة ؛ أى : أن تهلكه وترهق روحه .

(١) لقوله الله تعالى : ﴿ وَكَلَّ الْأَثَمَةَ الْأَثَمَةَ تَقْتُلُ ﴾ [ التدرجات : ٥٦ ] .

وتبسط النفس حين تسمع الجزء الأول وهو : **هُوَ وَكَانَ يَسْتَجِيبُهَا يَقُولُهَا** ، ولكنها تنقبض فور سماعها **هُوَ يَسَاءُ كَاللَّهْمَلِ يَتَوَى أَوْجُوهُ** .  
 وصورة أخرى عندما يقول الحق : **هُوَ كَيْفَ تَرَوْهُمْ بِكُنُوزِ آيَاتِ الْغَيْبِ** وتبسط النفس كما قلنا حينما تسمع خير البشارة ؛ لأن **الظَّاهِرَ** تأتي بالأمر الفرح ، وتنقبض عندما تعلم أن البشارة هي بالمطلب **بِالْغَيْبِ** .  
 إذن .. فقد جاء الحق بالانبساط ، وجاء بالانقباض . وهذه **صحة** من سنن الله في التأديب . مثل ذلك : عندما يرتكب إنسان مظالم كبيرة ، وتظالم واستفحل شره ويريد الله أن يتنقم منه ، إنه سبحانه لا يتنقم منه وهو على حاله الطبيعي ، إنما يرفع الحق - سبحانه - هذا الظالم إلى درجات عالية ثم يخفف به الأرض <sup>(١)</sup> .  
 ولذلك يقول الحق : **هُوَ قَلْبًا مُنْزَا تَا مُصَكِّرًا يَوْمَ نَقْتُلُ عَلَيْكُمْ آيَاتِ كَيْفِ تَمُنَّ حَتَّىٰ إِذَا رُجِعُوا بِهَا آيَاتًا لَنَنْتَهُمْ بِعَذَابٍ أَشَدِّ** [الأنعام : ٤٤٤] .  
 وساعة تسمع **هُوَ قَتَلْنَا عَلَيْهِمْ** فانت تخاف ؛ لأن الفتح هنا عليهم ، وليس لهم . لكنك ساعة تسمع قوله الحق : **هُوَ يَا قَتَلْنَا لَكَ قَتَلْنَا شَيْئًا** [الفتح : ٢١] .  
 وذلك تحس بالانشراح والسرور ؛ لأن الفتح هنا لصالح الملقى وليس عليه هكذا يريد الحق أن يعلى المشجرون المطلب المضاعف : **هُوَ كَيْفَ تَشْرِكُ بَيْنَ خَيْرِ مَقَادِيمَ آيَاتِ يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ** [الأنعام : ٢٧٠] .  
 والمطلب هنا نتيجة لا فطره وليس فعل جبار متسلط . أما غيرهم من المتساوين معهم في الملكات ، واختاروا الخير قائموا بالتهج وطبقوه على أنفسهم فقد نالوا الخير بما فطره والكرهين الإنساني في ذاته صالح لفعل الخير ولفعل الشر ، وستة الحق

(١) أخرج البخاري [٤٦٨٦] ومسلم [٢١٧٢٥٨٣] عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل على للظالم إذا أخذ لم يفعله . ثم قرأ : **هُوَ وَكَانَ لَعْنَةُ رَبِّكَ إِذَا لَعْنَةُ الرَّبِّ لَوَّى عَلَيْهِمْ يَا لَعْنَةُ آيَاتِ كَيْفِ تَمُنَّ** [١٠٢] . تفسير آيات الدفاعة ١٢٥

وهذه مراحل متعددة تبدأ بقول الحق : **هُوَ آتِيَسَ مَا مِنْ دُونِ آيَةِ رَبِّكَ** **هُوَ** والولى هو الذى يصيرك إن كنت فى مارق . ومارق الآخرة كبير ، فسادا عن الإنسان الذى ليس له ولا **يُؤْمِنُ** .  
 والمرحلة الثانية : **هُوَ وَلَا تَفْخِجْ** **هُوَ** أى ليس له من يشفع عنده من ملك النمرة وهو الله ؛ فالذى يحبك إن لم يصيرك بذاته فإنه قد يشفع لك عند من يستطيع أن يصيرك . وهذا أيضا لا يوجد لظلمه يذكر ويمنظ ولم ينجع النهج الإجمالى .  
 والمرحلة الثالثة : **هُوَ وَكَانَ مَقُولَ كَكُلِّ عَدُوٍّ لَا يُؤْمِنُ بِمَنَّا** **هُوَ** أى : إنه لا تقبل منه فدية .

فهذه المنافذ الثلاثة قد شدت ولا سبيل للنجاة لهؤلاء الذين قال فيهم الحق : **هُوَ أَرْبَابِكُمُ الَّذِينَ أُبْعِدُوا بِمَا كُفِبُوا** [الأنعام : ٢٧٠] أى : أهلكوا أو حسوا فى الجحيم جيسا لا كلاك منه ، وليس هذا فقط ولكن الحق يقول أيضا : **هُوَ كَيْفَ تَشْرِكُ بَيْنَ خَيْرِ مَقَادِيمَ آيَاتِ يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ** [الأنعام : ٢٧٠] .  
 إن كلمة : **هُوَ تَشْرِكُ** **هُوَ** إذا سمعناها فإننا نفهم منها الزى . ولكن الحق هنا يتبع كلمة **هُوَ تَشْرِكُ** **هُوَ** بجمد مصدر هذا الشراب ، إنه من **هُوَ خَيْرِ** **هُوَ** ليحدث ما يسمى وانبساط ؛ و **القباض** ؛ فالشيء الذى يسر الإنسان تبسط له النفس ؛ والشئ الذى يحزن الإنسان تنقبض له النفس . ولو أن الأمر الحزن جاء بداية فى هذا القول الكريم لا تنقبض النفس فى المسار الطبيعي ، لكن الحق سبحانه شاء أن يأتى أولا بكلمة من يسمها تسر نفسه **هُوَ تَشْرِكُ** **هُوَ** ثم تبعها بما ينقبض النفس **هُوَ بَيْنَ خَيْرِ** **هُوَ** ليكون الأهم **الئى** : ألم زوال السرور ، وألم محمى الحزن .  
 ويعود القرآن فى موضع آخر هذه الصورة فيقول : **هُوَ وَكَانَ الْحَقُّ بَيْنَ رَبِّكَ قَمَّ مَنَّةً تَقْرَبِينَ وَنَسَّ مَنَّةً تَقْرَبِينَ** **يَا أَعْتَدْنَا لِلْقَائِمِينَ نَارًا كَامِلًا** **يَمَّ شَرَادِقُهُمْ وَأَنَّ يَسْتَجِيبُهَا يَقُولُهَا** **يَسَاءُ كَاللَّهْمَلِ يَتَوَى أَوْجُوهُ** **يَسَاءُ كَاللَّهْمَلِ يَتَوَى أَوْجُوهُ** [الكهف : ٢٢٩] . تفسير آيات الدفاعة ١٢٤

قال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ مَنْ يَشْفَعُ حَسَنَةً حَسَنَةً لِّمَنْ أَرَادَ يَشْفَعُ بَيْنَهُ وَمَنْ يَشْفَعُ حَسَنَةً حَسَنَةً لِّمَنْ أَرَادَ يَشْفَعُ بَيْنَهُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [ص: ٢٨٥].  
الشفاعة العظمى هي التوسط بالقول في وصول إنسان إلى شفاعة دينوية أو أخروية أو إلى الخلاص من مصفرة وتكون بلا مقابل.

إذن .. لكل واحد عنده موهبة عليه أن يضم نفسه لغير الموهوب ، فبعد أن كان فرداً في ذاته صار شفيعاً . ولذلك يقال : فلان يشفع لي عند فلان ، أى أنه يضم صوته لصوت المستمعين به .

وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » (١).

ذلك لأن العبد الذي سعى في قضاء حاجة أخيه يكون قد أدى حتى نعمة الله فيما تفعل به عليه ، ويكون من أثر ذلك أنه لا يضبط أو يحقد غير الواحد للموهبة على ذي الموهبة . وبذلك سبحانه يرسل الحقد من نفس غير ذي الموهبة على ذي الموهبة ؛ فغير ذي الموهبة يقول : إن موهبة فلان تنفعني أنا كذاك ، فيحب بقاها عنه .

ويقول الحق : ﴿هُوَ مَنْ يَشْفَعُ حَسَنَةً حَسَنَةً لِّمَنْ أَرَادَ يَشْفَعُ بَيْنَهُ﴾ ثم يأتي الحق بالمقابل ، فهو سبحانه لا يشع للأخبار قطعاً ، ولكنه يضع الترغيب للأخبار ويضع الترهب للأشعار ، فيقول : ﴿هُوَ مَنْ يَشْفَعُ حَسَنَةً حَسَنَةً لِّمَنْ أَرَادَ يَشْفَعُ بَيْنَهُ﴾ .  
(١) جزء من حديث أخرجه مسلم [٣٨٧/٢٢١٩٩] عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه .

واضح جلية : ﴿فَمَنْ يَشْفَعُ لَكَ ذُرِّيَّةً خَيْرُ ذُرِّيَّةٍ﴾ ﴿وَمَنْ يَسْأَلْ يَسْأَلْ﴾

﴿ذُرِّيَّةً مِّمَّنْ لَكَ ذُرِّيَّةٌ﴾ ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ الْغَوَّاصِينَ﴾  
﴿هُوَ مَلِكٌ يُظْهِرُ الْأَشْيَاءَ بِمَنْ يُشَاءُ وَيَكْتُمُهَا بِمَنْ يَشَاءُ﴾ ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْيَاءُ كَمَا تُنْفَخُ الْأَشْيَاءُ﴾ ﴿وَمَنْ يَسْأَلْ يَسْأَلْ﴾ ﴿وَمَنْ يَسْأَلْ يَسْأَلْ﴾  
﴿وَمَنْ يَسْأَلْ يَسْأَلْ﴾ ﴿وَمَنْ يَسْأَلْ يَسْأَلْ﴾  
وما معنى التنازل ؟ التنازل : هو ما يؤول إليه الشيء ، وهو العاقبة ، فالرحمة واللجنة لمن آمن ، والنار لمن كفر .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿هُوَ مَلِكٌ يُظْهِرُ الْأَشْيَاءَ إِلَّا تَأْوِيلَهَا﴾ .  
أى : هل ينتظرون إلا المرجع الذي يؤول إليه عملهم ؟ إن مرجعهم الأخير هو العذاب بعد الحساب .

وحين يأتي يوم القيامة ويوضح لهم الحق ويظهر صفاق ما جاء به الرسول من الوعد والوعيد ماذا سيكون قولهم ؟ سيقولون ما أوردته سبحانه على المستمع : ﴿هُوَ يَقُولُ الْأَشْيَاءَ كَمَا تُنْفَخُ الْأَشْيَاءُ﴾ ﴿وَمَنْ يَسْأَلْ يَسْأَلْ﴾ .  
أى أنهم سيعلمون الصديق ١ لكنه لا ينفع ؛ لأنهم لن يكونوا في دار تكليف ،

أى : سيقولون بالإيمان لحظة لا يفهم ذلك .  
﴿هُوَ يَقُولُ الْأَشْيَاءَ كَمَا تُنْفَخُ الْأَشْيَاءُ﴾ [الأعراف : ٢٥٣] .

هم إذن سيقولون بأن الرسل جاءت بالنتيج الحق ويحسون عن الشفيع فلا يحسون . ونحن نعلم أن الشفيع لا بد أن يكون مرضياً عند من يشفع عنده ، وهؤلاء لم يحموا منهج الله ، ولم يؤمنوا برسله ، بل عادوا الله ورسله ، فمن ذا الذي يشفع لهم ؟

○○○

ويختم الحق سبحانه الآية : **هُوَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّخْبِرًا** ﴿١﴾ جاء هذا القول بعد التذاعة الحسنة والتذاعة السيئة ، وفي ذلك تبيه لكل العاصي بآدم أن يظن أحدكم أن هناك شيئاً مبرهنهما صبر يقات من حساب الله ، فلا في التمسك بصفات شيء ، ولا في السيئة سيضيع شيء . وأخيت كلمة **هُوَ مُّخْبِرًا** ﴿١﴾ من الطمأنينة أبحاثاً مستغنية . فعالم قال في معناها : إن الحق شهيد ، وقال آخر : **وَإِنِ الْحَقُّ حَسِيبٌ** ﴿٢﴾ وقال ثالث : **إِنَّ هُوَ مُّخْبِرًا** ﴿٣﴾ معناها **وَإِنِ الْحَقُّ شَهِيدٌ** ، وراجع القورت **وَإِنِ الْحَقُّ حَسِيبٌ** ﴿٤﴾ وخامس قال : **وَإِنَّهُ رَقِيبٌ** ﴿٥﴾ .

وتقول لهم جميعاً : لا داعي للخلاف في هذه المسألة ، فهناك فرق بين تفسير اللفظ بلازم من لوازمه وقد تعدد اللوازم ، فكل معنى من هذه المعاني قد يكون صحيحاً ، ولكن المعنى الجامع هو الذي يكون من مادة الكلمة ذاتها . و **مَقِيتٌ** ﴿٦﴾ من **وَإِنَّهُ** ﴿٧﴾ أي إعطاء القورت ، ولماذا يعطهم القورت ؟ ليحافظ على حياتهم ، وإذا فالقبت بمعنى أنه يعطهم ما يحفظ حياتهم ، ومعناها أيضاً : **الْحَاظُّ عَلَيْهِمْ هُوَ الْحَاطِظُ** .  
 و **بِأَنَّ** أنه سبحانه يعطي القورت ليظل الإنسان حياً ، فهو مشاهد له فلا يقب الخلق عن خالقه لحظة ، و **بِأَنَّ** أنه يعطي القورت للإنسان على قدر حاجته فهو حسيب . و **بِأَنَّ** أنه يرقب سلوك الإنسان فهو يحاربه .

إذن ... **لِلَّهِ** كل هذه المعاني متناحلة ومتلازمة ؛ لذلك لا تقول **اخْتَلَفَ** العلماء في هذا المعنى ، ولكن لتقل إن كل عالم لاحظ ملحفاً في الكلمة ، فالذي لاحظ القورت الأصلي على صواب ، فلا يعطي القورت الأصلي إلا المراقب لعبادة دائماً ، فهو شهيد ، ولا يعطي أحداً قوتاً إلا إذا كان قائماً على شأنه فهو حسيب . وسبحانه لا يقب الإنسان فقط ولكن يقب كل خلقه ، فهو يقب الحيوانات ويطلبهم أن يأكل صنفاً معيناً من الطعام ولا يأكل الصنف الآخر .  
 إننا إذا رأينا العلماء ينظرون إلى : **مَقِيتٌ** ﴿٨﴾ من زوايا مختلفة فهم جميعاً على صواب ، سواء من جعلها من القورت أو من الحفظ أو من القدرة أو من المشاهدة

ولم الخالفة والفرق بين كلمة **وَالنَّصِيبِ** ﴿٩﴾ وكلمة **وَالكُفْلِ** ﴿١٠﴾ . كلمة **وَالنَّصِيبِ** ﴿٩﴾ تأتي بمعنى الخير الكثير . فعندما يقول **وَالنَّصِيبِ** : إن لك في مالي نصيب . هذا القول يصحح لأي نسبة من المال . أما كلمة **وَالكُفْلِ** ﴿١٠﴾ فهي جوهه على قدر السجعة فقط ، وهذا هو فضل من الله ، فهو جاء باللمسة فله عجز أعانها ، وهذا نصيب كبير . ومن جاء بالسيئة فلا يعجز إلا عليها .

وهذه الآية قد جاءت بعد تحريض الرسول للمؤمنين على القتال ، أي أنك يا رسول الله مطالب بأن تضم لك أناساً يقتلون معك ؛ فذاك شفاعة حسنة سوف يتلون منها نصيباً كبيراً وثواباً جزيلاً .

أما قول الحق : **هُوَ وَمَنْ يَتَّبِعْ شَكَنَةً سَيَكُنْ أَزْوَاجًا يُنْفِقُونَ** ﴿١١﴾ أي يكون له جزء منها ، أي يصيبه شوم السيئة ، أما الجواز الكبير على الحسنة فيدفع إلى إشاعة مراهب الناس لكل الناس . وما دامت مراهب الناس مشاعة لكل الناس فالجميع يكون متسانداً لا متعادلاً ، وبغير الكل متصاروا صفى القلب ، فساعة يرى واحد النعمة عند أخيه يقول : **وَإِنِّي** يوم يسعى لي فيه خير هذه النعمة ﴿١٢﴾ .

ولذلك قلنا : إن الذي يحب أن تسرع إليه غيره فليحب النعم عند أصحابها .  
 فإنك أيها المؤمن إن أحببت نعمة عند صاحبها جارك خيراها . وإذا ما حوت من آثار نعمة وهبها الله لغيرك ؛ فليدرك أن تراجع قلبك في مسأله جوك للنعمة عنده ، فقد تجد نفسك مصاباً بشيء من الغيرة منها أو كارهها للنعمة عنده ، فتولد عندك الحقد عليه ، فحرم النعمة بذلك اللذنب<sup>(١١)</sup> .

(١١) روى أحمد في المسند [٢٧٨/٥٧] عن ثوبان رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال :  
**وَإِنِّي** يوم يسعى لي فيه خير هذه النعمة ﴿١٢﴾ .  
 ولا يورد القضاة إلا الدعاء ، ولا يورد في العمر إلا البر ، **بِأَنَّ** العبد ليجرم الرزق بالذنب يصيبه ﴿١٣﴾ .  
 وروى الترمذي [٢١٢٩٩] عن سلمان رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **وَإِنِّي** يوم يورد القضاة إلا الدعاء ، ولا يورد في العمر إلا البر ، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي [١٧٢٨٦] .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّهِيمًا ﴾ وساعة تسمع ﴿ وَكَانَ اللَّهُ ﴾ وبإزاء أن تصور أن لـ و كان ه هنا ملحقاً في الزمن ، فعندما تقول بالنسبة للبشر ه كان زيد غنياً ه يزيد من الأعمار وقد يذهب زواجه . لكن عندما تقول : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ ﴾ فاعلم أنه سبحانه : ه كان وما زال ، لأن الذي كان ويعتبر هو من غير كـ الأعمار . وسبحانه هو الذي يغير ولا يغير ، والوجود منذ الأزل وإلى الأبد . ونحن أوضح لنا سبحانه الشفاعة وأمرنا أن يعنى الواحد منا موآهيه إلى غيره فلذلك حتى تساعد قدرات المجتمع لأنه يربب الفائدة للعبد المؤمن ويرببها للجميع .

○○○

أو من الحساب ، وكل واحد إما نظر إلى لازم من لوازم كلمة : ه مقبت ه وسبحانه بقيت كل شيء ، فهو بقيت الإنسان والحيوان والجماد والنبات . ويجد علماء النبات يشرحون ذلك ؛ فحين نزرع البسات ، ونحضر جذور النبات العناصر الغذائية من الأرض ، وقبل أن يصبح للنبات جذور ، فهو يأخذ غذائه من فلتقى الحية التي تضم الغذاء إلى أن ينبت لها جذر ، وبعد أن يكبر جذر النبات فالنبتان تصيران إلى ورقتين ، وسبحانه ﴿ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّهِيمًا ﴾ . ويقول العلماء من بعد ذلك : إن الغذاء قد امتصه النبات بخاصية الأنابيب الشعرية . أى أن النبات يمتص الغذاء من التربة بواسطة الجذور الرقيقة التي تمتص الماء للملاب فيه عناصر الغذاء . وفتحة الأوعية في الأنابيب الشعرية لا تسمح إلا بقليل الشعرة ، وعندما توضع في الإناه فالسائل يعمد فيها ويرتفع الماء عن مستوى الحوض ، وعندما تتوازي ضمنوط الهواء على مستويات الماء فالله لا يعمد . ومثال ذلك : عندما تأتي بجاء ملون ونضعه في إناه ، ونضع في الإناه الأنابيب الشعرية ، فالسائل الملون يعمد إلى الأنابيب الشعرية ، ولا تأخذ أوعية مادة من المسائل وتترك مادة بل كل الأنابيب تأخذ المادة نفسها . لكن شعيرات النبات تأخذ من الأرض الشيء الصالح لها وتترك الشيء غير الصالح . وهو ما يقول عنه علماء النبات ه ذلك هو الانتخاب الطبيعي ه . ومعنى الانتخاب هو الاختيار ، والاختيار يعنى عقلاً يفكر ويترجح ، والنبات لا عقل له ، ولذلك كان يجب أن يقولوا إنه ه الانتخاب الإلهي ه ، فالطبيعة لا عقل لها ولكن يديرها حكيم له مطلق العلم والحكمة والقيومية .

يقول سبحانه وتعالى عن ذلك : ﴿ يَتَّقِنَ بِكَلِمَاتِهِ لُجُودَهُ وَيُقِيمُنَّ لَكُمْ بِمَقَالِهِمُ فِي الْأَكْثَلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الزمر : ٢٤] .  
نبات القنصل مثلاً يأخذ المادة المناسبة للحرقية ، والقصب يأخذ المادة التي تصنع حلزونه ، والرمان يأخذ المادة الحمضية . هنا هو الانتخاب الإلهي .

لا أحد يشفع عنده إلا من بعد إذنه

وقال تعالى: **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: هُوَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ الَّذِي مَلَكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى السَّمَوَاتِ بِذِي الْعَرْشِ عَظِيمٍ مَا يَدْرِي أَيُّكُمْ أَقْبَرُ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي إِذْ يَمُنُّ آتَىٰ مَالَهُ فَتَطْمَنَّتْ بِهِ رُوحُهُ وَذَلِكُمْ مَنَّا الَّذِي كَفَرْنَا بِكُمْ وَاللَّهُ عَلَىٰ الظَّالِمِينَ غَافِلٌ** [البقرة: ٢٥].

قوله تعالى: **هُوَ الَّذِي اسْتَوَى عَلَى السَّمَوَاتِ** وقف العلماء عند كلمة: **هُوَ اسْتَوَى** طويلاً ، واستمرضوا القرآن كله ؛ فوجدوها قد جاءت في التي صدرت سورة : البقرة ، والأعراف ، ويونس ، والرعد ، وطه ، والفرقان ، والقصص ، والسجدة ، وفصلت ، والفتح ، والنجم ، والحديد .

ومعلوم أن الصفات التي توجد في البشر ، ووصف الله سبحانه بها نفسه ؛ لا توجد على مقتضى ما هي في البشر ، بل توجد في إطار أن الله تعالى : **هُوَ الَّذِي كَتَبَ كِتَابَهُ** [النورى: ٢١١].

فئات الله سبحانه ليست كذواتنا ، وكذلك صفات الله تعالى ليست كصفاتنا ، وقله سبحانه ليس كقلنا ، واستواؤه سبحانه ليس كاستوائنا ، بل في إطار **هُوَ الَّذِي كَتَبَ كِتَابَهُ** [النورى: ٢١١] لأن الذي يفيد الفهم أن يقال: **هُوَ اسْتَوَى** بالمعنى المتعارف عليه عند البشر ، كان يكون: **قَدِ اسْتَقَرَّ** أو: **هُوَ اسْتَوَى** [معنى: سيطر ، أو: **هُوَ اسْتَوَى** بمعنى: بلغ الكمال والقوة ، والوضوح ، وإن كان هذا كله يحتمله معنى الاستواء ، وورد في القرآن الكريم ، لكنه عن استواء البشر ؛ كقوله تعالى: **هُوَ الَّذِي يَلْقَى الشَّاكِرِينَ** [القلم: ٢١٤].

إذن .. **هُوَ اسْتَوَى** هنا: تعنى بلوغ كبره في الكمال في الذات . والإنسان منا وهو صغير - قبل البلوغ - إما تنقصه بعض من درجات التمتع في الجهاز العصبي ، وكذلك في الجهاز التناسلي ، فإذا ما بلغ أكمل التمتع ، ويقال: **هُوَ اسْتَوَى** [أى: صار قادراً على إجابات منله ، بمعنى تمت له رجولته .

وقال تعالى: **الرَّحْمَنُ الَّذِي فَتَنَّا قَبْلَهُ عَلَىٰ سُنُوبِهِمْ [الفتح: ٢٢٩].**  
أي: **نفضح نفصيحاً** يمكن أن يعطى من شرته مثل ذاته ، وبذلك يضمن بقاء نوعه .  
وحين بلغ العطر فإن الغاية منه استمرت مركب نبي الله نوح عليه السلام ومن معه على جبل الجودي ، قال النبي سبحانه: **هُوَ اسْتَوَى عَلَى السَّمَوَاتِ** [النورى: ٢٤٤].  
أى: **استقرت على الجبل** واستتب الأمر .

إذن .. فكل استواء لله يجب أن يوجد على أنه استواء يلحق بكتابه ، وصفاته ، وجلاله وعظمته ، وإن وجد في البشر ما يحمل نفس الاسم فلنعلم أنها مقيدة بقدره البشر المحدودة ، لكن صفات الله تعالى مطلقة ويجب أن توجد في إطار: **هُوَ الَّذِي كَتَبَ كِتَابَهُ** [النورى: ٢١١].

وإن كل صفة من صفاته ؛ يأتي قبلها ليقرب المعنى فقط ، ولا يعطى حقيقة المعنى ؛ لأنه سبحانه **هُوَ الَّذِي كَتَبَ كِتَابَهُ** . وهكذا فسبحانه له استواء يلحق بذاته ، كما أخبر سبحانه عن نفسه لا كما أخبر البشر .  
ثم يقول بعد ذلك: **هُوَ الَّذِي يَدْعُوا الْكُفْرَ** [أى: أنه يرتب الوجود ترتيباً يجعل كل شيء موضوعاً في مكانه بحكمته .

والحق سبحانه وتعالى له صفة العلم ، وصفة الإرادة ، وصفة القدرة ، وبعلمه يوضع سبحانه كل شيء في مكانه بحكمته . وبإرادته يخصص سبحانه الممكن ببعض ما يجوز عليه . وبقدرته سبحانه يبرز المراد له .

إذن .. فهناك علم ، وهناك إرادة ، وهناك قدرة تبرز المراد على وفق العلم . ومن المطلق أن يدبر الله كل أمر ؛ لأنه سبحانه هو الذي خلق السموات وخلق الأرض . وخلق الإنسان وسخر له السموات والأرض ؛ لذلك لابد أن يدبر سبحانه للإنسان أمور مادياته ، وأمور قيمه المعنوية .

أما أمور الماديات فقد ظهرت في خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم والماء والهواء . وما في الأرض من عناصر تبت الإنسان ما يحتاج إليه في

إذا استقرت الأعمال والأحداث ، ستجد أن الذي قاله الله فيه و إعمله قليل ،  
والذي قال الله فيه و لا تفعل و قليل . وبذلك تجد المباحث أكثر من و إعمله  
وأكثر من و لا تفعل .

وما دام سبحانه هو الذي شاء ذلك، وترك لك أيها الإنسان الكثير من الأمور  
المباحة ، فترك القيم لله و لا تنازع أمره ؛ لأن الكون ~~المتخصص~~ الخلق لله في غاية  
الدقة وفي غاية النظام ، فلم تتبع الشمس مثلاً أن تنشق أو تغرق ضوئها وحرارتها  
للناس يوماً ، وما امتنع القمر أن يعطى نوره ، وما امتنع السحاب أن يسقط مطراً  
مدرراً ، وما امتعت الأرض أن تتفاعل مع أى غرس تخرسه فتمطيك الغناء ،  
وكل شيء داخل في نطاق القدرة العليا ؛ محكم ؛ لا خلل فيه .

وإذا نظرت إلى ما تركه الله لاختياركم وخلق الخلق قد حدث ؛ لأن الشيء  
الذي لا يخضع لقدرة الإنسان لإرادته هو على أم ما يكون من النظام ، ولا يفسد  
إلا الشيء الذي للإنسان فيه عمل واختيار ، ولا يعني ذلك أن كل أعمال الإنسان  
تعاني من الخلل ، لكن الأعمال التي تعاني من الخلل هي الأعمال التي يقبل  
عليها الإنسان بغير منهج الله . ولو كان اختيارنا للبدائل عليه ضوئ منهج الله ؛  
لاستقامت القيم كلها ، كما استقامت لنا نواحيس الكون العليا .

وإذا رأيتم مسأداً ؛ فلو لموا أنفسكم ؛ لأن الأمر الذي لا تتناولونه بأيديكم  
ولا تدخل لكم فيه ، يعمل غاية في الدقة ، فإذا أردتم أن تعمل أموركم الاختيارية  
بنهاية الدقة ؛ فخذوا منهج الله في الأعمال ، ولا تفسدوها أتم بأن تختاروا البدائل  
على غير ما شرع الله تعالى .

ولذلك أقول دائماً : إنك إذا ما رأيت عورةً يشكو منها المجتمع ، فاعلم أن خطأ  
من حدود الله قد عُطل . وإن وجدت أمة متخلفة ، فاعلم أنها عملت شرع الله ،  
وإن وجدت أمة تعاني من أمراض اجتماعية جسيمة ، فاعلم أنها لا تطبق منهج الله .

قوام حياته ، وهو سبحانه الذي خلق كل ذلك قبل أن يخلق الإنسان ، ثم جاء  
بالإنسان ليكون البسيط في هذا الكون ، فسخره له كل ما يحتاج إليه لأجل عمارة  
الكون ، ورحى يستقى له القيام بأمر الله وفق ما شرع سبحانه من آيات كريمة  
وآيات قرآنية .

إذن .. فالإنسان هو الذي حرأ على هذه الأمور المادية ، وكان لابد أن يبرأ الحق  
سبحانه قياً يحيا بها الإنسان في هذه الأمور المادية .

وهكذا خلق الله القيم المعنوية ، فلا يقال : لماذا أرسل رسولاً لا يحسب في نظر  
بعض الناس من عظمة أقرانهم ؟ ولا يقال : لماذا أرسل محمداً ﷺ بالمجديد ؛  
لأن هذا الإرسال هو من ضمن تدبير الأمور ، فهو سبحانه : هو الله أعلم حيث  
يجعل رسالكم ﷻ [ الأناج : ٢١٢٤ .

إذن .. فقله : هو أكأن للثانين عجباً أن أختص بك رجل بينهم أن أكبر الناس  
وتكبر أديرت أكبراً أن أكبر عند ربهم قال أكبر من أكبر إنك هكذا أكبر  
شيئاً ﷻ [ بوس : ٢١٢٤ .

علة هذه الآية : أن الله هو ربكم وهو الذي خلقكم ، ولا يجادل أحد الله فيما  
خلق ، وفيمن خلق . وإذا كان هو سبحانه الذي خلق الإنسان والكون ، فلا بد أن  
ينظم حركة الوجود بين الإنسان والكون ؛ لذلك اختار الرسول المناسب ؛ ليحمل  
منهج القيم للإنسان في و إعمله كذا ، و لا تفعل كذا ؛ ثم ترك الحق الإنسان  
أموراً لا يقول له فيها : افعلها أو لا تفعلها ، فهي من المباحات<sup>(١)</sup> .

(١) أخرج البخاري [ ٢٥٦ ] ، ومسلم [ ١٠٧/١٥٩٩ ] عن النعمان بن بشير يقول : سمعت  
رسول الله ﷺ يقول : و الخلال بين والطرم بين ، وبينهما مشبهات لا يعلمها كبر من  
الناس ، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في المشبهات كراخ يوحى  
حول الحمى يوشك أن يورأقه . ألا وإن لكل ملك جنى ، ألا إن حمى الله تجارته . ألا  
وإن في الجسد مثقفة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ،  
ألا وهي القلب .

والإنسان عادة لا يحتاج إلى شفاعة عند من يملك الأمر إلا إذا ارتكب جرماً أو حدث منه تقصير في أمر ما . والآية أوضحت أن هؤلاء يبدون ما لا يفرهم إن تركوه ، ولا يفهمهم إن عبدوه .

والشفاعة من الشفع ، والشفع ضد البرز . والتر : هو ما لا يقبل القسمة على اثنين ، فكأن البرز رقماً فردياً .

والعبد المعاصي يطلب من مو أهل للشفاعة ، أن يشفع له عند ربه ، ولما كان معنى الشفع : هو تعهد الفرد بواحد آخر ؛ فينتقل من كونه وزيراً إلى كونه شفيعاً .

وكان الكفار على عهد رسول الله ﷺ يرضعون أن هذه الأصنام التي يعبدونها من دون الله شفعاء لهم عند الله ، فأزول الحق سبحانه : هو ما بين شفعي إلا بين

تعتقد أذنيهم .  
والشفاعة تقتضي شافئاً وشفوعاً عنده ، وشفوعاً له ، وشفوعاً فيه ، وهذه الأربعة هي عناصر الشفاعة .

الذي يستشفع هو : المقصر . ولللك قال هؤلاء الكفار عن الأصنام : هو كقولك شَفَعْنَا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وهذا إقرار منهم بالتقصير . وأقول بأن المنفع عنده : هو الله ،

وأما المنفع فيه : فهو تخفيف العذاب أو إنهاء العذاب .  
إذن .. فالمنفع فيه أمر مشترك ، والمنفع عنده أمر مشترك ، أما الشافع ، والمنفع له ، فهما مختلفان .

ففي حياتنا الدنيا - مثلاً - لا تأتي لأي إنسان يسير في الطريق وتقول له : اشفع لي عند فلان أو فلانة ؛ من أجل كذا أو كذا ، بل تأتي لإنسان تعلم بأن له منزلة ومكانة عند المنفع عنده ، وهذه المنزلة والمكانة تسمحان له في أن يكلمه في طلبك .

وإذا كان هذا هو الحال في الشفاعة من البشر لدى البشر ، فما بالنا بالشفاعة عند رب العالمين ؟ ذلك بين الحق سبحانه أن الشافع لا بد أن يكون يوازي منه

تفسير آيات الشفاعة ١٣٧

وسبحانه القائل : هو آتسأ أمئروه إذا أراد شيئاً أن يقول لهم كن فيسكروا .  
ولذا نظرت إلى معنى كلمة : هو أمئروه نجد أنها كل شيء ينشأ ، وقد يسأل سائل لماذا قال الله سبحانه : و أمر ؟ ولم يقل : و شيء ؟ أقول : لأن كل شيء لا يوجد في الوجود إلا به . هو كمن هو وهي أمر .

وسبحانه يدير الأمر في السنن الكونية التي لا تتأثر بها الإنسان وهي غاية في النظام والدقة ، فإن أراد الإنسان أن يهيئ أمور حياته الاختيارية فلينأخذ بالتهج الذي أزره الله تعالى على رسوله ﷺ .

ولذا ما سأل سائل : ولماذا أتبع المنهج ؟ أقول : إن الحق سبحانه شاء أن يخلق الإنسان على هيتين : هية ارغامية قهوية ، وهية اختيارية ، فأتى أيها الإنسان مقهور في أشياء كونية ، وخلق في شأن لك فيها ولن تحاسب عليها ، كما أنك مختار في أشياء أخرى تخضع وحدهك . سوف تحاسب على حسن اختيارك لها أو إساءة اختيارك لها ولم يترك سبحانه خلقه هملأ بل أرسل الرسل وأزول الكعب لإيضاح الطريق وبيان المراد منهم .

ولها نرى تدبير الله فيما لا دخل لنا فيه ، تدبيراً محكمة ، يبع نظاماً مستقيماً ، لو نظرنا مثلاً إلى نواحي الكون لوجدناها تمل بدرجة متناهية بتدبير لها المطلق جميعاً .

والمعلم حتى الذين لا يؤمنون بتهج الله قد حددوا مثلاً : موايد الكسوف الكلي أو الجزئي للشمس أو القمر بدرجة متناهية وذلك باستقراءهم لمعطيات الكون .

فإذا أراد المطلق أن يحيا حياة طيبة ، فلينأخذوا بتهج الله الذي جاء به الرسل حتى تستقيم حياتهم ، ثم يلازموا الجراء الأولى في الآخرة .

وتقول الحق سبحانه : هو ما بين شفعي إلا بين يعبد أذنيهم .  
تدبير الأمر ؛ ردا على هؤلاء الكافرين : هو ويتبينونك بين ذنوب أي ما لا يفرهم ولا يفهمهم وزعموا أن كقولك شَفَعْنَا بِنِعْمَةِ اللَّهِ [موس : ٢١٨] .

تفسير آيات الشفاعة ١٣٦

الكلب يسقيه . وبطيبة الحال لم يكن هذا الرجل يوافق الكلب ، بل منتهى الرحمة بهما الحيوان ، الذي خلقه الله ؛ لذلك غفر الحق سبحانه لهما الرجل (١) .

وقد جعل الحق سبحانه الشفاعة مكرماً لرسول الله ﷺ ، وكذلك المأذون له في الشفاعة ، حتى يعلم المسلم أن الرسول ﷺ قد يشفع له ، وأنه المؤمن قد يشفع لأخيه ، وأن الأب قد يشفع لابنه ، وحين يعلم المسلم ذلك ، فهو يحسن إلى كل مؤلاء ؛ لعله يحصل على الشفاعة منهم ، كما يجد ويجهد في اتباع سنة الرسول ﷺ ، لعله ينال شفاعته ، وهكذا يعيش المجتمع في كرامة الشفاعة بعمل الخير وإخلاص النية .

وإذا رأيت إنساناً محسناً في دينه ، فلا بد لك أن تحببه ؛ لأن إحسانه في دينه قد يفتح أنت ؛ ولذلك نجد الحق سبحانه وتعالى في سورة الفاتحة يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا تَعَبُّدُ وَيَا أَيُّهَا تَسْتَعِينُ ﴾ .

وكان الحق سبحانه قادراً أن يبرها ؛ وياك أعبد وياك أستعين ، ولكنه شاء أن يتول على صورتها تلك ؛ حتى يأذن سبحانه بقبول الصفة من كل قائلها ، فيقبل من عباده أعمالهم بما ينظر لضمير الأشياء اللبية .

ولذلك أقول ؛ لمن يلزمون المؤمن والمؤمنات ويسخرون منهم من أجل عبادتهم أو تحسبهم يهدى رسول الله ﷺ لا تسخروا منهم ولا تهرؤوا بهم ، لأن حرصهم على الطاعة وإشغالهم بالمعجزة قد يفتكمكم .

(١) أخرج البخاري (١/٢١٠٧) ومسلم (٤/٢٢٢٤) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال ؛ و فيما رجل يحيى بطريق ، اشتد عليه العطش . فوجد بئراً فترجل فيها فغرب . ثم خرج . فإذا كلب يلهث بأكل التري من العطش . فقال الرجل ؛ لقد بلغ هذا الكلب من العطش على الذي كان يبلغ مني . فنزل البئر فملاً خفه ماء . ثم أمسكه بفيه حتى رقى . فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له ، قالوا ؛ يا رسول الله ! وإن لنا في هذه البهائم لأجراً ؟ فقال ؛ و في كل كبير وطية أجر .

سبحانه فقال تعالى ؛ ﴿ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ عِنْدِ إِذْنِهِ ﴾ . وقال سبحانه :

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .  
وقال سبحانه ؛ ﴿ لَا يَشْفَعُ إِلَّا بَأْذَنِهِ أَلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الْغَنِيُّ ذُو الْعَرْشِ وَرَضِيَ لَهُ تَوَكُّلًا ﴾ .  
أذن .. فالشفيع لا بد له من إذن ورضا من الله سبحانه وتعالى .

أما المنفوع له فقد قال الحق سبحانه ؛ ﴿ وَلَا يَتَّقُمُوكَ إِلَّا لِيْنِ آذَنِي ﴾ .  
ولسائل أن يسأل ؛ ما دام الحق سبحانه قد رضى عن عبد ، فما هي جدوى الشفاعة ؟

وأقول ؛ لستبه إلى أن الإنسان يعرض لأعمال كثيرة ، وله نقاط ضعف في حياته؛ قد تكون كبيرة ، وقد تكون قليلة ، فإذا جاء في نقطة الضعف وأذنب ذنباً ، فعليه أن يزيد من فعل النقاط القوية التي تكفي له بها الحسنات ؛ لأن العوار هو ؛ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمِينَ يُذْهِبِ الْكُفْرَ أَتَى ﴾ [هود : ١١٤] .

فالزيد حين يزيد من الحسنات ، فالنقص سبحانه قد يحو السيئات ، وليلم كل إنسان أنه إن احتلس حكماً ، فهو لن يستطيع أن يهرب من العقاب ، فعليه أن يزيد من الحسنات ، ويخرج المنفرة من الله .

وهب أن إنساناً فيه نقطة ضعف ، وأذنب ذنباً ، وعنده نقاط قوة يطبع فيها الله سبحانه وتعالى ، وهذا الإنسان له أن يعلم أن الله يحبه لأجل نقاط القوة هذه ، وقد يرحمه الله سبحانه فيما أذنب من الذنوب ، أو يجعل المأذون له في الشفاعة يشفع له عنده سبحانه . فلماذا شاء الحق ذلك ؟

شاء الحق ذلك حتى لا يحرم العالم من الحسنات التي يفعلها ذلك الإنسان . وفي الحديث النبوي الشريف ؛ أن رجلاً لقى كلباً يلهث من العطش ، ولم يجد الرجل إزاءه بملاء ماء من البئر يسقى الكلب ، فنزل البئر وملاً خفه ، وعاد إلى

## إنكار الشبهة

- جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم .
- وحب طاعة رسول الله ﷺ ولباع أمره .
- منزلة السنة من القرآن الكريم .
- كتابة الحديث الشريف .
- مرحلة تدوين السنة .
- صحيح الإمام البخاري والباعث على تصنيفه .
- مراحل كتابة الحديث الشريف .

## جعلوا بها واستيقنتها أنفسهم

يقول الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي : ومن المؤسف أن الجدل في هذه القضية - قضية الشفاعة - قد أدى بالدكتور مصطفى محمود على إكار السنة النبوية التي يعر عنها دائماً ، والسيرورة والسيرة جزء يسير من السنة .. وقد خاض فيها بجسارة ما كان ينبغي الله أن يخوضها ، كما يخوض الغربي عن العلم - النعيم - فيما لا يحسنه .. فيخلط حابلاً بنابل ، وحقاً يبطل . وكت أود أن يرت في هذا الأمر ؛ ويراجع بعض العلماء التفات الذين يجمعون بين القرآن والسنة ، وبين الحديث والفقہ (١) .

وإذا كان الدكتور القرضاوي المروف بأدبه الجمل ودماثة خلقه اضطره هذا الذكر أن يقول عنه : غريب عن العلم .. العنيم .. خلط حابلاً بنابل ، وحقاً يبطل ؛ فالأمر إذاً جد وتطير لدرجة أنه أخرج جبل الملح هذا عن شعوره ووصفه بأوصاف لم نعهدها من الدكتور القرضاوي ، ولكنها غصية مسلم لله وغيرة على شية رسول الله ﷺ نسال الله أن يجعلها في ميزان حسناته .

لكني أضيف شيئاً آخر ، فهنا الذكر إلى جانب أنه غشيم وغريب عن العلم ويخلط الحق بالباطل فهو منذ أن رجح عن إلهاده القديم وهو يحمل ممول شديد الهمم يحاول أن يدمر به أصول الإسلام وفروعه ، وسخرت له شياطين الإنس منابر للفتك بمقول الشباب وإلحاق الأذى والفرز بالمسلمين .

فإذا كان اليوم يطعن في السنة ، فقد يتآطن في القرآن وحرفه عن مواضعه ، وقد جرى كتابه القرآن محاولة لفهم عصري من السموم ما لو وزع على البشرية كلها لأهلكها إذ يقول [ ص : ٤٨-٤٩ ] :

(١) الشفاعة بين القتل والمقل [ ص : ٤٨ ] .

الصورة والنال الذي خلقه في الملوكوت ، ولكنه في هذه المرة آدم جديده .  
 لمر الحق و يادش و ايدك لكاذب ، وغوى مين ، ولا تقل لنا بلسان من تكلم ؟  
 الله تعالى يقول : ﴿ مَا أَنهَاهُمْ عَنْ حَقِّ الشَّكْرِ وَالْأَرْضِ وَلَا حَقِّ أَيْسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مَشْجِدَ الَّذِينَ عَصَيْتُمْ ﴾ [ الكهف : ٥١ ] .

ولم تنف ضلالاته وخروجه عن إجماع الأمة عند هذا الحد بل إنه أنكر وجود الجنة والنار ، فيقول في كتابه : القرآن محاولة لفهم عصري 1 ص : ١٨٠ تلميذا على قول الله تعالى : ﴿ لِكُلِّ جَنَّةٍ وَكُنُفٌ وَلَا تَقْلِقُونَ ﴾ [ الأعراف : ١٢٨ ] . حسب فهمه الأصح ، أو المصري كما سماه :

و إن أماننا اثنين يعذب الواحد منهم ضعف الآخر مع أنهما في نفس المكان . ومعنى هذا أن العذاب في القلب وليس في المكان ذاته ، كل هذه الآيات كرائف ذات دلالة تدلنا على أن النار ليست هي النار ولا الجنة هي الجنة ، ولا الله هو الباطن المذنب . وإنما سوف يتألي العذاب من تفاوت الرتب تفاوتاً عظيماً . ثم بالسقوط في تقسيم أيدى لا مخرج منه بلزم صاحبه كما تلزم الأصبغ بصمتها .

ويترجم هذا النور المبين : أن الشجرة التي أكل منها آدم في الجنة لا هي شجرة ولا أكل منها وإنما هي رمز للجنس ، إذ يقول في ضلالته المصرية :  
 أن الجنة هي جنة الطاعة ، والإسلام للناورس الإلهي ، وأن الأكل من الشجرة يعني مخالطة زوجة بالجسد ، مما أدى إلى شتائه بعد هذه الخاطلة .

وقال : وما يدل على أن الشجرة رمز للجنس ما يورى القرآن

و القرآن حينما نزل يشير إلى مسألة علمية لا يعرفها كما يعرفها إنشيتين بالمعادلات ، وإنما يقدمها بالإشارة والرمز والحيل والابتعاد : واللعمة الخاطئة واللعمة التي تروض في العقل كبرق خاطف ، إنه يلقي بكلمة قد نورت فهمها وتفسرها على معاصرها .

وتماشي هذا المنكر من قول الله تعالى : ﴿ وَتَلَقْتُمْ نَسْرًا الْفُرْقَانَ لِلَّذِي قُوِّدَ بِهِ يُذَكِّرُ ﴾ [ العنكبوت : ١٧ ] .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ نُوْحًا الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿ تَلَّى بِهِ آيَاتٍ الْأَيُّمَى ﴾ ﴿ عَن قَالِكَ يُذَكِّرُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾ ﴿ يَلْقَانِ كَوْكَبًا شِينِينَ ﴾ [ الشعراء ] .

وقوله تعالى : ﴿ قَوْمًا عَرَبِيًّا قَبْرَ ذِي عَوَجٍ ﴾ [ المر : ٢٧٨ ] .

وهل بقي في قلب إنسان يفضل عرض إنشيتين للمسائل العلمية على القرآن الكريم ذرة من إيمان ١٢

ويقول أيضًا في كتابه المشعوم هنا [ ص : ٥٢ ] :

و قادم الذي هبط إلى الأرض ليس إلا جرثومة من طين الأرض  
 انبعثت في تلوح - عبر خمسة آلاف مليون سنة - كما تقول  
 علوم البيولوجية ، وعبر مراحل وأطوار بدأت بالخلية الأولى  
 و الأميعة ، ضمما إلى الإسفنج والخريبات والقشريات في رحلة  
 قاسية ، وعبر صراعات دامية مع بيئات متعددة تكافح فيها  
 الحياة ، وآتت آدم على تربيته بأن هداه في رحلته الدامية  
 وأخذ بيده خارجا به من رحم الأرض ومن طين المستقمات  
 حتى وقف منتصبيا على قدميه ، محاكما آدم الأول ، آدم

## وجوب طاعة رسول الله ﷺ واتباع أمره

الشيء هو كل ما صدر عن رسول الله ﷺ : من أقوال ، أو أفعال ، أو أفعال  
وكانت صفاته ﷺ الخافية .

وهو ﷺ معصوم في كل ذلك ، ولا يهبط إلا حقاً ، قال الله تعالى : **هُوَ وَكَانَ يُنَادِي**  
**عَنِ الْمُبْرَكَةِ ۝ إِنْ مَرَّ أَلاَّ وَكَيْ يَدْعُنَّ ۝** [النجم ٢٠] .

وإذا كان الله تبارك وتعالى أنزل القرآن على النبي ﷺ فإنه كما قال القرطبي :

جمل له بيان ما كان منه محملاً وتفسير ، ما كان منه مشكلاً ، وتحقيق ما كان منه  
محتملاً ليكون له مع تليغ الرسالة ظهور الإحصاص به ، واستترة التفويض إليه .  
قال الله تعالى : **هُوَ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ الَّذِي نَتْلُوهُ عَلَى الْبَشَرِ مَا تَزَكَّى اللَّهُ أَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ**  
ثم جمل إلى العلماء بعد رسول الله ﷺ استنبط ما فيه على معانيه ، وأشار إلى

أصراه ، ليتوصلوا بالاجتهاد فيه إلى علم المراد ؛ فمما تواروا بذلك عن غيرهم  
ويختصوا بمراتب اجتهادهم ؛ قال الله تعالى : **هُوَ يَتْلُو آيَاتِ اللَّهِ الْأَمْرَ بِأَمْرِهِمْ**  
**وَالَّذِينَ أَوْفُوا أَوْفَاءً دَعَوْتِهِ ۝** [الاحزاب: ١١] فصار الكتاب أصلاً والسنة له بيان ،  
واستنباط العلماء له إيضاحاً وتبيناً .  
○ **وعقد القرطبي** باباً في كتابه الجامع لأحكام القرآن عن : تبين الكتاب بالسنة

وما جاء في ذلك ، قال :

قال الله تعالى : **هُوَ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ الَّذِي نَتْلُوهُ عَلَى الْبَشَرِ مَا تَزَكَّى اللَّهُ أَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ**  
وقال تعالى : **هُوَ يَتْلُو آيَاتِ اللَّهِ الْأَمْرَ بِأَمْرِهِمْ** **وَالَّذِينَ أَوْفُوا أَوْفَاءً دَعَوْتِهِ ۝**

عَدَابَةِ اللَّهِ ۝ [النور: ٢٣] .  
وقال تعالى : **هُوَ وَكَانَ تَكْوِينَهُ إِنْ صَرِّحْتَ فَتَتَّبِعُهُ ۝** (١) [النورى: ٥٢] .

(١) أخرج البخارى [٤٦٠٤] عن عبد الله قال : لعن الله الواحشات والبرصشات والتحصات  
والنفاجات لحسن النغرات خلق الله .

إنكار السنة ١٤٧

وقال : وما يدل على أن الشجرة رمز للجنس ما عرَى القرآن

عن آدم وحواء بعد نزول الشجرة ، وكيف بدت لهما

سراتهما والنساء هي العورة في قوله **كَلِمَاتٌ مُّخْفَتَاتٌ عَلَيْهِمَا**

من ورق الجنة ، أى يعطيانها بأوراق الشجرة نجلاً ، ولهذا

من الأعضاء التناسلية لا يأتى إلا بعد نزول اللذة منها ، ولهذا

لا يدخل الطفل من أعضائه التناسلية ولا يعطيهما ، بينما

يدخل البالغ حتى من ذكر اسمها .

أباطل كثيرة وقتن عظيمة تحمل المليم حيران ، كثير منها اخترعه هذا النكر من  
تلقاه نفسه ليضل به عن سبيل الله ، والتقليل أشرب في قلبه من بقايا تقنيات أقوال  
قديمة عفا عليها الزمن ، لعن الله من أبقطها ، فكلم فرقت بين الأمة وأوضاع  
مجدها نتيجة للجدل والحوار المقيم ، ولولا خشية الإطالة لمرضت الكثير من  
تراهات وضلالاته ، ولكن إن عاد عدنا .

وما تقدم تبين أن الرجل له هدف يسمى إليه ودعوة يدعوها ، ويتصيد أوقات  
ضمف المسلمين وروهن علماتهم فيث سمومهم عبر الناصر التي فتحتها له أقرانه من  
شياطين الإنس .

ولو تأملنا كلامه لوجدناه جاحد طمأنينة كاره لها ، يأخذ منها ما يوافق هواه

ويدع ما لا هوى له فيه ، ويستشهد بمروريات الإمام البخارى وغيره من علماء

الحديث في مواضع - وإن كان يجترىء ما بهوى - ويقفل مالا يعربد .

إذن .. هو لا ينكر السنة بل هو عالم بها ويتزلفها ، ولكنه يجدها لغرض في

نفسه ، فله ولأمناله تقول يقول الله تعالى : **هُوَ أَتَمُّ كَلِمًا مَا يَتَّبِعُهُ النَّاسُ يَتَمَتَّلُونَ بِهِمْ ۝**

○○○

إنكار السنة ١٤٦

لكم المعمل الألهي ولا كل ذي قاب من السباع ولا لقطعة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فطهم أن يتوزوه فإن لم يتوزوه فله أن يعقبتهم بئس قواه<sup>(١)</sup> .

قال الخطابي : قوله : و أوتيت الكتاب و بطله معه و يحتمل و يحتمل عن الأوبل : أحدهما : أن معناه أنه أوتي من الرحي الباطن غير المتلو ، مثل ما أعطى من الظاهر المتلو .

والثاني : أنه أوتي الكتاب و حيا بئس ، و أوتي من البيان ملة ، أي : أذن له أن يبين ما في الكتاب ؛ فبمع ويخص ويريد عليه و يشرع ما في الكتاب فيكون في وجوب العمل به و لزوم قوله كالظاهر المتلو من القرآن وقوله : و يوشك رجل شيمان ، الحديث .. يحذر بهذا القول من مخالفة السنن التي سنها عما ليس له في القرآن ذكر على ما ذهبت إليه الجراح والروافض فإنهم تلقوا بظاهر القرآن وتركوا السنن التي قد تضمنت بيان الكتاب . قال : فتصوروا وضلوا .

قال : و : الأريكة ؛ : السرير ، ويقال : إنه لا يسمى أريكة حتى يكون في حجة قال : وإنما أراد بالأريكة أصحاب الثروة والثقة الذين لزموا البيوت لم يطلبوا العلم من مظانه .

وقوله : و إلا أن يستغني عنها صاحبها ، معناه : أن يتركها صاحبها لمن أخذها استغناء عنها كقوله : **هو ككثيراً وكثيراً آتستغني الله** [العناب: ٢٦] معناه : تركهم الله استغناء عنهم .

وقوله : و فله أن يعقبتهم بئس قواه ، هذا في حال المعطل الذي لا يجد طعاماً ويحاف التالف على نفسه ، فله أن يأخذ من مالهم بقدر قواه . عرض ما حرموه من قواه . و يعقبتهم ؛ يروى مشدداً ومحفقاً من المعاقبة ، ومنه قوله تعالى : (١) رواه أبو دارد [٤٦٠٤] . و صححه الألباني في صحيح أبي دارد [٣٨٤٨] .

وفرض طلعت في غير آية من كتابه وقرنها بطلعه عن رجل وقال تعالى : **هو وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** [١١] البقر: ٢٧ . ذكر ابن عبد البر في كتاب العلم له ؛ عن عبد الرحمن ابن يزيد : أنه رأى منسوخاً عليه قوله : **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** [١١] . فقال : **أبني فآية من كتاب الله تنزع ثيابي ، قال : فقرأ عليه : هو وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** [١١] .

ومن هشام بن حجير قال : كان طلوس يصلي ركعتين بعد العصر فقال ابن عباس : اتركهما فقال : إنما نهى عنهما أن تتخذا سنة ، فقال ابن عباس : قد نهى رسول الله ﷺ عن صلاة بعد العصر فلا أدري أتعذب عليهما أم تخرج ، لأن الله تعالى قال : **هو وما كان لثنتين ولا ثلثية أن يفتي الله ورسله أمر أن يكون لهم الغيبات من أمرهم** [١١] [الأحزاب: ٣٢] .

وروى أبو دارد عن المقام بن معد يكرب عن رسول الله ﷺ أنه قال : **ألا أوتي أوتيت الكتاب وبطله معه إلا يوشك رجل شيمان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فمحرّموه** إلا لا يحل

= فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب ، فحاجت فقالت : إنه بلغني أنك لعنت كنت وكنت ، فقال : وما لي لا آمن من لمن رسول الله ﷺ ومن هو في كتاب الله . فقالت : لقد فرأت ما بين اللوحين ، فما وجدت فيه ما تقول . قال : لمن كنت قرأته لقد وجدته **أما قرأت : هو وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** [١١] [المعر: ١٧] . قالت : بلى ، قال : فإنه قد نهى عنه .

قالت : أولى أرى أمك بمنزله . قال : فاذنني فانظري . فأميت فظفرت فلم ترم من حاجتها شيئاً . فقال : لو كانت كذلك ما حاجتني .

(١) قال تعالى : **هو قل أليما الله وكليما الرسول كذب قرأنا قرأنا عليه ما نحن ونفصمنا** [١١] **جنته وكان طيبمته تتبئنا** [١١] [النور: ٢٥٤] ، ذكر القرطبي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وغيره ؛ و جعل الهبة مقبولة بطاعته .

وروى سعيد بن منصور : حدثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن مكحول

قال : القرآن أخرج إلى السنة من السنة إلى القرآن ، وبه عن الأوزاعي قال : قال

يحيى بن أيمن كبير : السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب يقاض على السنة :

قال القفال بن زياد : سمعت أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل ورسول عن هذا

الحديث الذي روي أن السنة قاضية على الكتاب فقال : ما أجسر على هذا أن

أقوله ولكني أقول : إن السنة تفسر الكتاب وتبينه .

ويقال آخر وهو : زيادة على حكم الكتاب كتحريم نكاح المرأة على عمتها

أو خالتها أو تحريم الحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع والقضاء باليمين مع

الشاهد وغير ذلك<sup>(١)</sup> .

○ وقال الشراكبي : في تأويل قول الله تعالى : **هُوَ وَأَزْوَاجُ آبَائِكَ الَّذِينَ**

**لِلنِّسَابِ مَا يُزَيَّرُ بِأَبْنَائِهِمْ** [الصل: ٢٤٤] . ومن جملة ما أجمعه في الكتاب العزيز قوله :

**هُوَ وَآلُ عِبَادِكُمُ الَّذِينَ قَدَّمُوا صَدَقَاتِهِمْ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنْ قَبْلِكُمْ تَعْتَمِدُوا بِهَا**

**مَا سَنَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فكل حكم سنه الرسول لأمنه قد ذكره الله سبحانه في**

**كتابه العزيز بهذه الآية وينص قوله تعالى : **هُوَ قَوْلُ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي****

**وَتَقُولُوا : **هُوَ لَعَلَّ كَأَنَّ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُتْرُقَ حَسَنَاتٌ**** [الأحزاب: ٢١] .

○ وقال المزني والربيع : كما يروى عند الشافعي إذ جاء شيخ فقال له أسأل ؟ قال

الشافعي سل . قال : إيش المحجة في دين الله ؟

فقال الشافعي : كتاب الله ، قال : وماذا ؟ قال : سنة رسول الله ﷺ ، قال : وماذا ؟

قال : اتفاق الأمة ، قال : ومن أين قلت اتفاق الأمة من كتاب الله ؟

فخبر الشافعي رحمه الله ساعة ، فقال الشيخ : أجتلك ثلاثة أيام ، فخير لون

الشافعي ، ثم إنه ذهب فلم يخرج أيأما ، قال : فخرج من البيت في اليوم الثالث

(١) تفسير القرطبي [٣٧/١] .

(٢) فتح القدير للشراكبي [١١٤/١٧] .

**هُوَ وَآلُ عِبَادِكُمُ الَّذِينَ قَدَّمُوا صَدَقَاتِهِمْ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنْ قَبْلِكُمْ تَعْتَمِدُوا بِهَا**

لها أن يفهم من أموالهم بقدره وقراه .

قال : وفي الحديث دلالة على أنه لا حاجة بالحديث إلى أن يرضى على الكتاب ،

فإنه ما رواه بعضهم أنه قال : **وَإِذَا جَاءَ كَمُ الْحَدِيثِ فَاغْرَضْهُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ**

**وَإِنْ رَافَقَهُ فَخَلِّدْهُ وَإِنْ لَمْ يُوَافِقْهُ فَرُدَّهُ**<sup>(١)</sup> فإنه حديث باطل لا أصل له .

ثم البيان منه ﷺ على ضربين : بيان يجعل في الكتاب : كيانه للصلوات

المجلس في موافقتها وسجودها وركوعها وسائر أحكامها ، وكيانه لقتل الزكاة

ووقفها وما الذي تؤخذ منه من الأموال ، ويانه لما سلك الحج قال ﷺ إذ حج

بالناس : **وَخَلِّدُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ**<sup>(٢)</sup> وقال : **وَاصْلُوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصْلِي** ،

أخرجه البخاري<sup>(٣)</sup> .

وروى ابن المبارك عن عمران بن حصين أنه قال لرجل : إنك رجل أحسن أجد

الظن في كتاب الله أريها لا يجهل فيه بالقرآنة ١ ثم عدد عليه الصلاة والركاة

ونحو هذا .

ثم قال : أتجد هنا في كتاب الله مفسرا ١ إن كتاب الله تعالى أبهم هنا وإن

السنة تفسر هذا .

وروى الأوزاعي عن حسان بن عطية قال : كان الوحي ينزل على رسول الله ﷺ

ويحضره جبريل بالغة التي تفسر ذلك .

(١) ذكره العتي في تذكرة الموضعات [٢٧٨/١] والمجلد في كشف الغطا [٢٢٠/١] ،

والصغاني في المر للتلقط [٢٧/١] ، والشيرازي في خاتمة سفر السعادة .

(٢) جزء من حديث رواه البيهقي في الكبرى [١٢٠٧/٢٥٠/٥] عن جابر رضي الله عنه .

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري [٥٦١٧] عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه .

وقد زعم قوم أنهم يحبون الله فاتصمهم الله تعالى بهذه الآية : **﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾** [آل عمران : ٣١] .

- وقال المسلس : فكان علامة حبهم إياه اتباع سنة رسول الله ﷺ (١)
- وعنه قال : حمل الله اتباع نبيه محمد ﷺ علما ليه وعلات يرجح الله (٢)
- وعن ابن جريج قال : حمل اتباع محمد علما ليه (٣)
- وقال سهل بن سعد : علامة حب الله حب القرآن ، وعلامة حب القرآن حب النبي ﷺ ، وعلامة حب النبي ﷺ حب السنة (٤)

○○○

(١) الدر المنثور [١٧٩/٢] .  
(٢) و (٣) ذكره الطبري في تفسيره [٢٣٣/٣] .  
(٤) تفسير القرطبي [٣١/٤] .

- فلم يكن بأسرع أن جاء الشيخ نسلم فجلس فقال : حاجي ، فقال الشافعي رحمه الله : نعم ، وأعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، قال الله عز وجل : **﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا سُبُلَ رَسُولِهِ ﴾** [آل عمران : ٣١] .

○ وأخرج ابن أبي حاتم عن مالك قال : كان عمر بن عبد العزيز يقول : من رسول الله ﷺ وولاية الأمر من بعده ستا الأعداء بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر فيما خالفها ، من اقتدى بها مهين ومن استصم بها منصور ومن خالفها اتبع غير سبل المؤمنين وولاية الله ما تولع وصلاه جهنم وساعات مدمرا (١) .

○ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : **﴿ إِنْ كَانَ اللَّهُ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي أَوْ قَالَ : أُمَّة مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى ضَلَالَةٍ ، وَبَدَّ اللَّهُ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَمَنْ شَاءَ شَاءَ إِلَى النَّارِ ﴾** (٢) .

○ وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : **﴿ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : لَا يَجْمَعُ اللَّهُ أُمَّتِي ، أَوْ قَالَ : هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى الضَّلَالَةِ أَبَدًا وَبَدَّ اللَّهُ عَلَى الْجَمَاعَةِ ﴾** (٣) .

○ قال ابن كثير : هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة الحميدة فإنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشرع الحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : **﴿ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرًا فَهُوَ رَدٌّ ﴾** (٤) .

(١) أحكام القرآن للشافعي [٤٠/١] . (٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور [٦٨٦/٢] .  
(٣) رواه الترمذي [٢١٦٧] . (٤) رواه الحاكم [٢٠٢/١] .  
(٥) أخرجه البخاري [٢٦٩٧٢] ، ومسلم [١٧١٨١] . وانظر تفسير ابن كثير للآية .

والسنة بأقسامها : القولية ، والنعملية ، والإواريية من الوحي غير المنظر ، ومنها اجتهاد النبي ﷺ إذ يرى كثير من العلماء جواز اجتهاده ﷺ ، فيما أوره الله عليه ، فهو رحي ، ولا يفر على خطأ .

وقد ثبت اجتهاده عليه الصلاة والسلام في كثير من الواقع في الحروب وغيرها . ففي غزوة بدر استشار صحابته في الأسارى ، فقال أبو بكر : أن تقو عنهم ، وتصل منهم الفداء ، وقال عمر : اضرب أعناقهم ، فأعرض عنه الرسول ﷺ ونزل عند رأي أبي بكر . واجتهد عليه الصلاة والسلام ، في الإذن للمنافقين الذين استأذنه في التعمد من غزوة تبوك ، متحليين الأعشار قبل أن يتبين له من هو صادق منهم في المنظر الذي أبداه ، ومن هو كاذب ، فنزل فيهم من القرآن ، ما كشف حقيقة ما يضمرون ، إلى غير ذلك من الأمثلة الماثرة في نوايا أبواب كتب الفقه ، والأصول ، على ما في مسألة اجتهاده ﷺ من الخلاف ، وهو مبسوط في علم الأصول .

٢ - أنواع السنة من حيث دلالتها على ما في القرآن الكريم .  
قال ابن قيم الجوزية رحمه الله عليه (١) :

« السنة مع القرآن على ثلاثة أوجه :  
أحدها : أن تكون موافقة له من كل وجه ، فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها .

ثانيها : أن تكون بياناً لا أريد بالقرآن ، وتفسيراً له .

ثالثها : أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه ، أو محرومة لا سكت عن تحريمه ولا تخرج عن هذه الأقسام فلا تعارض القرآن بوجه ما « .

وأريد الأمر بياناً فاقول : إن ما جاء عن الله تعالى لا يمكن أن يكون فيه اختلاف ، وكل من القرآن والسنة من عنده عز وجل ، فما صحح من سنته ﷺ لا يخالف كتاب الله تعالى ، وعلى هذا : فالمراد من أحدهما عين المراد من الآخر .  
(١) إعلام المؤمنین [٣٠٧/٢] .

إنكار السنة ١٥٥

## میزاة السنة من القرآن الكريم

أولاً : السنة وميزاتها في التشريع الإسلامي :

إن كتاب الله تعالى هو الأصل الأول من أفضل التشريع الإسلامي ، وهو الوحي المنظر المنزل على محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، المنبذ بتلاوته ، المنجز بالفاظه ومعانيه ، أبرزه الله لهداية الناس ، فهو هدى للمؤمنين ، ودمتور للمسلمين ورحمة قائمة إلى يوم الدين ، على الناس أجمعين .

أما السنة النبوية المشرقة فهي مثله ، بذلك نطق الكتاب العزيز (١) ، وهي أصل ثان من أصول التشريع الإسلامي فالكتاب مقدم وهي تالية له ، وهما معاً وحي الله ، فهو وحي متلو ، وهي أي السنة وحي غير متلو « .

فهو مه في مرتبة واحدة ، من حيث الاعتبار والاحتجاج بهما على الأحكام الشرعية ، ومن خصائص الكتاب العزيز (٢) ، أنه متعبد بتلاوته في الصلاة وخارجها ، وأنه لا تجوز روايته بالمعنى ، وأنه معجز بلفظه ومعناه ، ومتواتر كله من فائقة الكتاب إلى آخر سورة الناس . غير أن السنة - وإن كانت في مرتبة من حيث مصدرة الوحي والاعتبار والاحتجاج والاعتقاد - عاضدة للآخر ، فهي تتارقه في أمور (٣) :

أهمها أنها ميزاة بالمعنى ، ولفظها من النبي ﷺ ويجوز روايتها بالمعنى المعروف بمعانيها وألفاظها ، الخبير بتفاصيلها عند من يرى ذلك من العلماء . وأنها ليست معجزة بالفاظها ، ولا متبهماً بتلاوتها .

(١) قال تعالى : هو نزلنا ينزل عن الحكمة . إن نزلنا نزلنا ينزل عن الحكمة [النجم : ٤٣] .

(٢) الحديث والحديثون [ ص : ١٥٥ ] محمد محمد أبو زهر .

(٣) الحديث والحديثون [ ص ١١٥ ] .

إنكار السنة ١٥٤

النوع التالي: سنة مبيتة لما في الكتاب، كان تفصل مجمله، أو توضح مشكله، أو تقيد مطلقه، أو تخصص عاؤه.

فقد أمر الله بالصلاة في القرآن، من غير أن يرد فيه وقتها وكيفية وصلاة ركعاتها، فبين الرسول ﷺ كل ذلك عملياً، فاتفق عنه صحابته ذلك البيان، مقتدين بأفعاله، آخذين بقوله: «وصلوا كما رأيتموني أصلي»<sup>(١١)</sup>.

وفرض الله الحج، وأمر به في كتابه من غير بيان مناسك فيه، فقام الرسول ببيان شامل لكل ما يتعلق بمناسك الحج عملياً، أرى بالأخذ عنه بقوله: «دخلوا عتي مناسككم»<sup>(١٢)</sup>. وفرض الله الزكاة في كتابه من غير بيان القدر الواجب، والأموال والمروض، والزرور التي يجب فيها، والتصائب المحدد لإخراجها منه، فولى الرسول ﷺ بيان كل ذلك. كما بين عليه الصلاة والسلام المراد من الحيط الأبيض، والحيط الأسود، في قوله تعالى: ﴿هُوَ حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْآيَاتِ مِنَ الْكِتَابِ وَيُحِيلَ الْكَلِمَةَ مِنَ الْكَلِمِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، أنه بيض النهار، وسواد الليل، كما أفادت سنة أن المراد من «الكثير» في قوله تعالى: ﴿هُوَ وَالَّذِينَ كَبُرُوا الْآيَاتِ وَالرِّبَاةِ﴾ [البقرة: ٢٤] عدم إخراج الزكاة، أما ما أدبت زكاته ليس بكثير. كما بينت ﷺ المراد من قوله تعالى: ﴿هُوَ حَسْبُكُمْ نَبِيًّا﴾ [الأنعام: ٤٣] بأنه المرض. وبين عليه الصلاة والسلام المراد من قوله تعالى: ﴿هُوَ وَقَدْ نَزَاهَ تَرْتِلاً أُخْرَى﴾ [عند مائدة الأنبياء: ٥٥] [النجم: ٢]، أنه جبريل عليه السلام.

وأن المراد من «الظلم» في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَرِهَ يَدِينَهُمْ وَيَلْعَنُونَ الْآخَرِينَ﴾ [النجم: ٨٢] خصوص الشرك.

- (١) جزء من حديث أخرجه البخاري [٢٠٥] عن مالك بن الحارث.  
(٢) جزء من حديث رواه البيهقي في الكبرى [٢٥/٥] [٩٣٠٧/١٢٥].

قال ابن القيم: «والذي يشهد الله ورسوله به: أنه لم تأت سنة صحيحة عن رسول الله ﷺ تناقض كتاب الله وتخالفة لآياته، كيف ورسول الله هو الذين لكاتب الله، وعليه أنزل، وبه هداه الله، وهو بأمره سبحانه، وهو أعلم الخلق بأمره وعباده»<sup>(١٢)</sup>.

فاتفق من ذلك، أن السنة مع الكتاب - من حيث دلالتها على ما فيه - على ثلاثة أنواع<sup>(١٣)</sup>:

النوع الأول: سنة دالة على الحكم كما دل عليه الكتاب من جميع الوجوه، فهي مرافقة له من حيث الإجمال والبيان والاختصار، والشرح، واردة معه مورد التاكيد له، مثل قوله ﷺ: «وبني الإسلام على خمس»<sup>(١٤)</sup>... الحديث، مع قوله تعالى: ﴿هُوَ وَكَانَ صِدْقًا وَقِيلَ لَهُ نَبِيًّا﴾ [البقرة: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ يَأْتِيهَا الَّذِينَ يَخْتَصِمُونَ لَكُمُ الْيَمِينَاتِ﴾ [البقرة: ١٨٢] وقوله تعالى: ﴿هُوَ وَوَيْلَهُ عَلَى الَّذِينَ جَعَلَ آيَاتِهِت مِن اسْتِغْلَاحِ آيَةٍ سَيِّئًا﴾ [آل عمران: ٤٧] من حيث الدلالة على وجوب كل من الصلاة والزكاة والصوم والحج، مع عدم بيان كيفيةها. ومثل قوله عليه الصلاة والسلام: «ولا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه»<sup>(١٥)</sup> فإنه يوافق قوله تعالى: ﴿هُوَ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْإِغْلَابِ وَذَلَلُوا بِهَا إِلَى الْكُفْرَانِ﴾ [النساء: ٢٩]، ومثل قوله ﷺ: «اتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم، أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله»<sup>(١٦)</sup>، فإنه يوافق قوله تعالى: ﴿هُوَ وَكَانَ زَوْجُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

- (١) الطرق الحكيمية لابن القيم [ص: ٨٤].  
(٢) بصرت في السنة النبوية [ص: ٣٢] للدكتور عبد النبي عبد الحالق...  
(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري [٨]، ومسلم [١٦] عن ابن عمر رضي الله عنهما.  
(٤) (٥) جزء من حديث رواه أحمد في المسند [٧٢/٥] وصححه الألباني في الإرواه [١٤٥٩]، من حديث أبي حرة الرقاشي عن عمه رضي الله تعالى عنه.

الكلمة على من انتهك حرمة صوم رمضان<sup>(١)</sup> ، وغير ذلك من الأحكام التي سكت عنها القرآن ، وهي كثيرة .

وإذا ثبتت مكانة السنة في التشريع الإسلامي ، وعلاقة السنة بالقرآن ، وتربطها منه ، فبوصف الله الملة ثبت ذلك ، حيث قال الباري عز وجل مخاطباً نبيه ، معلماً إياه بهمة البيان : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ يُزَيِّنُ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [السل : ٢٤٤] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَعَلْنَا لَكُمْ آيَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [النساء : ١١٥] .  
وقال تعالى : ﴿ أَتَجْعَلُونَهَا آيَاتٍ لَّكُمْ تَبْتَغُونَ بِذُنُوبِهِمْ آيَاتٍ مَّا يَكْفُرُونَ ﴾ [الأنعام : ٢٣] .

فأمر الله تعالى أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، بالباح التزل منه خاصة ، ونهى عن اتباع غير ما أنزل منه تعالى من كتاب أو سنة .

وقد علم يقيناً أن الرسول ﷺ أمر بالبيان كما أمر بالتبليغ ، وأن الصحابة ورضوان الله عليهم تلقوا منه السنة كما تلقوا منه القرآن الكريم ، ومن هنا كان المسلمون في حاجة إلى معرفة بيان رسول الله ﷺ مع حاجتهم إلى معرفة كتاب الله ، ولا يمكن أن يعرف القرآن على حقيقته ، وأن يعلم مراد الله في كثير من آيات الأحكام فيه ، إلا بالرجوع إلى رسول الله ، الذي نُزِّلَ مهمة بيان كتاب الله لتقوم الحجة بما أمر الله به العباد من اعتقاد وعبادة وطاعة على وجه التفصيل . وعلى هذا اتفق المسلمون قديماً وحديثاً - إلا من شذ من بعض الطوائف المخرقة - على أن سنة رسول الله ﷺ قول أو فعل أو إقرار في من مصادر التشريع الإسلامي ،  
(١) أخرجه البخاري [١٨٣٤] ، ومسلم [١١١١] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رجلاً قال : يا رسول الله ، وقعت على أمرأتى وأنا صائم فقال رسول الله ﷺ : و هل تجد رقية تعفها ؟ ... ه الحديث .

وأفادت سنته ﷺ تفيد مطلق القطع البراد في قوله تعالى : ﴿ وَأَنكَارُوهُ وَأَنكَارُوهُ فَآتَيْنَاهُمُ آيَاتِنَا ﴾ [النساء : ٢٨] إذ اليد تطلق على الكف وعلى المساعد وعلى الذراع ، فقيدت هذا الإطلاق وتبينت أن القطع مفيد بالبنى من الربيع<sup>(١)</sup> .

والأمثلة من هذا القبيل كثيرة ، وأغلب السنة من هذا النوع ، ولهذه المهمة وصفت و السنة ، بأنها مبنية للكتاب .

النوع الثالث<sup>(٢)</sup> : سنة دالة على حكم القرآن عنه فلم ينص عليه ، ولا على ما يخالفه كالأحاديث التي دلت على أنه يحرم من الرضاخ ما يحرم من النسب<sup>(٣)</sup> ، وتحريم الجمع بين المرأة وصفتها ، أو خالتها<sup>(٤)</sup> وتشريع الشفعة<sup>(٥)</sup> ، والرهن في الحضر<sup>(٦)</sup> والملكم بشاهد<sup>(٧)</sup> ووجوب رجم الزاني المحض<sup>(٨)</sup> ووجوب  
(١) جزء من حديث رواه أحمد في السنة [١٧٧/٢] . عن عبد الله بن عمرو ، وقال الشيخ شاكر إسناده صحيح .

(٢) حجة السنة للذكر عبد النبي عبد الخالق [ ص : ٣٩٧ ] .  
(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري [٢٥٠٢] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، ومسلم [١٤٤٥] عن عائشة رضي الله تعالى عنها .

(٤) حديث أبي هريرة : « لا تجمعا بين المرأة وصفتها ، ولا بين المرأة وخالتها » .

(٥) أخرجه البخاري [٢٠٩٩] عن جابر رضي الله تعالى عنه وحمل رسول الله ﷺ في كل مال لم يقسم وإذا وقت المبرد وصرفت الطرق فلا شفعة .

(٦) أخرجه البخاري [١٩٦٧] ، ومسلم [١٦٠٦] عن عائشة رضي الله تعالى عنها : أن النبي اشترى من يهودي طعاماً إلى أجل ورثته ورثاً من حديد .  
(٧) رواه أبو داود [ ٣٢١٠ ] ، والترمذي [١٢٤٦٦] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه : أن النبي ﷺ قضى باليمين مع الشاهد . وصححه الألباني في صحيح أبي داود [٣٠٧٦] .

(٨) أخرجه مسلم [١٦٩٣] عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال للمرن مالك : « أحمق ما بلغني صكك ؟ قال : وما بلغك عني ؟ قال : بلغني أنك وقعت بجماعة آل فلان . قال : نعم ، قال : فشهد أربع شهادات ، ثم أمر به فرجم » .

هذه الأحاديث تبين أن دين الله الذي أنزله على رسوله محمد ابن عبد الله ،  
 وتعلم به عباده هو : كتابه ، وسنة نبيه ، وأنهما متكاملتان ~~متممات~~ متمماتان .  
 فالانحصار على القرآن وحده اعتقاداً وعملاً ليس من الإيمان في شيء ولا يثبت  
 لصاحبه نديباً أصلاً ، ليعيظ الإيمان باللهيج الكامل .  
 فاستبعاد السنة من التشريع الإسلامي وإنكارها مصداقاً لما بعد القرآن هو  
 رفض لورحي الله الظاهر ، وغير الظاهر [ المتلو وغير المتلو ] وإن نحى الإيمان بالأول  
 - إذ الإيمان بأحدهما يستلزم الإيمان بالآخر - وتعميل مهمة الرسول ، وتبعيض  
 للإيمان به وبرسالته ، وهذا من أصول الاعتقاد .  
 ومن وقف من السنة هذا الموقف كان خصماً لها ، فاستلزم أن يكون خصماً  
 للقرآن ، ومن جحد السنة ونسب نفسه خصماً لها كفر .  
 روى الإمام الشافعي يوماً حديثاً وقال : « إنه صحيح ، فقال له قائل : أنتقول به  
 يا أبا عبد الله ؟ فاضطرب وقال : يا هذا أرأيتي خارجاً من كنيسة ؟ رأيت في  
 وسطي زناً ؟ أروي حديثاً عن رسول الله ولا أقول به ؟<sup>(١٦)</sup> .  
 ٣ - الأمر بإتباع الرسول والتصوير من مخالفته :  
 إن السنة النبوية أصل من أصول الدين ، وركن حصين في بناء شريعة سيد  
 المرسلين ، موحى بها من رب العالمين ، تلقاها صحابة رسول الله ﷺ مع القرآن  
 الكريم ففهموا بها تفسيره ومعانيه ، وما تحمل آية من التوجيهات الربانية .  
 حاجة المسلمين إليها ماسة ، لاحتياجهم إليها في جميع أمور حياتهم ، في  
 عقائدهم ، وعباداتهم ، ومعاملاتهم ، وبنسكهم ، وفي أحوالهم الشخصية ، وفي  
 آدابهم ، وفي تنظيم علاقاتهم بهم ، فهي تتصل اتصالاً وثيقاً بمختلف مظاهر  
 حياتهم اليومية ، في السلم والحرب ، في اليسر واليسر .  
 (١٦) مفتاح الجنة للسوطي [ ص : ١٦٦ ] .

وأن الإيمان بالقرآن يستلزم الإيمان بها ، وأن أصول الاعتقاد ، وأصول العبادات ،  
 وأصول الفضائل الأمور بها في القرآن ، وأصول الرذائل المنهى عنها فيه ، لا تتم  
 معرفة أحكامها على وجه التفصيل والبيان إلا بها ، وعلى هذا فلا غنى عنها .  
 ولقد قال ﷺ في الحديث الصحيح : « ألا أي أوتيت الكتاب ومثله معه ،  
 ألا يوشك رجل شيطان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من  
 حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يصل لكم علم الحمار  
 الأهلي ، ولا أكل ذي ناب من السبع ، ولا لقفلة معاهد ، إلا أن يستغني عنها  
 صاحبها ... الحديث »<sup>(١٧)</sup> .  
 قال الإمام أبو بكر الخازني : « وكل سنة ثبتت عن رسول الله ﷺ لا يجوز  
 لقائل أن يقول : إنها خلاف التنزيل ، لأن السنة تفسر التنزيل ، والسنة كان يقول  
 بها جبريل ، وبها رسول الله ﷺ . فكان لا يقول قولاً يخالف التنزيل ،  
 إلا ما نسخ من قوله بالتنزيل »<sup>(١٨)</sup> .  
 وهذا المعنى ورد في الحديث السابق ، ويؤكد الحديث الآتي :  
 يقول ﷺ فيما صح عنه من حديث اللطام بن معدي كرب : « يوشك أن  
 يقم الرجل متكاً على أريكته ، يحدث بحديث من حديثي فيقول : بيننا وبينكم  
 كتاب الله ، فما وجدنا فيه من حلال استحلناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ،  
 ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله »<sup>(١٩)</sup> .  
 وفي الحديث الصحيح أنه ﷺ قال : « لا أنفى أحدكم متكاً على أريكته ،  
 بأنه الأمر من أمري عما أمرت به أو نهيت عنه ، فيقول : لا أؤذي ، ما وجدنا من  
 كتاب الله آيتمناه »<sup>(٢٠)</sup> .  
 (١) و (٢) رواه أبو داود [ ٤٦٠٤ ] ، وأحمد في المسند [ ١٢٣٠ / ٤٦ ] ، وابن ماجه [ ١٢٢ ] عن  
 اللطام بن معدي كرب . وصححه الألباني في صحيح أبي داود [ ٣٨٤٨١ ] .  
 (٢) الاختيار في التامخ والنسخ من الآثار [ ص : ٩٨ ] .  
 (٣) رواه أبو داود [ ٤٦٠٥ ] ، والترمذي [ ٢٦١٢٦ ] ، وابن ماجه [ ١٢٣ ] . وصححه الألباني في  
 صحيح أبي داود [ ٣٨٤٩ ] .

وفي هذا المعنى قال **عليه السلام** : « كل أمي يدخلون الجنة إلا من أمني ، قالوا : يا رسول الله ، ومن يأمني ؟ قال من أطاعني ودخل الجنة ، ومن عصاني فقد أمني »<sup>(١)</sup> وقال **عليه السلام** : « إن مني ومنل ما يعني الله به كمثل رجل أمني قوماً ، فقال : يا قوم ، إنني رأيت الجيش يعني ، وإنني أنا السدور المريان ، فالنجاه أقطاعه طائفة من قومه ، فأدبروا فانطلقوا على مهالهم فنجوا ، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم ، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجاحهم ، فكذلك مثل من أطاعني فأطيع ما جئت به ، ومنل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق »<sup>(٢)</sup> .

ولقد أمر الله بطاعته ، وطاعة نبيه ، والافتداء به واتباعه فيما جاهدكم به ، فقال عز من قائل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَمِنُوا لِقَوْلِ الرَّسُولِ إِذَا دَعَا إِلَى صَفْوَةٍ مِنَ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْهُم مِّن قَوْمٍ عَدُوٌّ لِلَّهِ وَالطَّاغُوتِ وَالشُّرُكِيِّينَ وَأُولِي الْقُلُوبِ الْمَغْلُوبَةِ ﴾ [البقرة : ١٢٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ مَحْذَرُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَأْتِكُمُ الرَّسُولُ مَحْذَرُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧] .

وقال تعالى : ﴿ مَن يَطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ اطَّاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء : ٨٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِقَوْمِئِذٍ أَن يَمُرُّوا بِالْجِبَالِ أَن يَكُونَ لَهُمْ لِقَائُهُمْ مِن بَيْنِ يَدَيْهِمْ ذِكْرًا مِّن رَّبِّهِمْ فَاصْبِرُوا لِمَا قَدَّمْنَا لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ أَنَّهُمْ ثَمَرُهَا هِيَ حَرْبٌ مَّرِيدَةٌ ﴾ [الشعراء : ٦٥] .

وقال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُخَرِّجُوكَ مِن بَيْنِ يَدَيْهِمْ ذِكْرًا مِّن رَّبِّكَ وَأَن تَقُولَ لَا مَبْرَئَةَ لِمَا أَقْسَمْتُ أَن لَّيْسَ بِي إِلهٌ سِوَاكَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

(١) أخرجه البخاري [٣٨٥١] ، وأحمد في المسند [٣٦١/٢] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .

(٢) أخرجه البخاري [٦٨٥٤] .

ولقد عرف الصحابة الكرام دور الرسول **عليه السلام** ومكانته في الدين ، وبرزته فيهم فقتلوا في محبته ، والحرص على تعلم سنته وحفظها ، والرض عليها بالبراجد ، للمسلم بها وتبليغها ، فاشروا به على الرود والتقدير والاحترام ، والطاعة في المنطق واللكره ، حتى جعلوا أحب إليهم من أنفسهم ، فكان **عليه السلام** واحداً منهم - وإن كان أشرفهم وأجلهم وأزكاهم - ليس بينه وبينهم حجاب ، يخالفهم في المسجد والبيت والسوق والسفر والحضر ، يربطهم بوحى الله ، وكان ما يصدر منه محل تقدير وعبادة ، يبادرون إلى الاستجابة والتفديد ، منفردين أو مجتمعين ، فيتلقون منه ما يتلقون للتطبيق والسير .

أجل إن كتاب الله وستة نبيه هما الدين ، وهما الإسلام الذي رضي به الله لعباده ، فهو منهج متكامل في العقائد ، والعبادات ، والمعاملات ، والآداب ، والأخلاق ، وهو في عمومه أصول وفروع ، وإن الإنسان السوي العاقل هو المطالب بتلقي هذا المنهج ، والإيمان به وتطبيقه في واقع الحياة .

وحى توضح معالم المنهج وطبيعته ، وخصائصه ، بعث الله به من يقبضه حتى الرعي ويعيشه ويجسده في هذا الواقع اعتقاداً ومعاملة ، وسلوكاً ، وعملاً ، ودعوة ، وتربية ، فصار هذا المنهج منظومة متكاملة ، وضرورة حية ، تمكسها القدوة المسنة المثقلة في شخص الرسول الأكرم سيدنا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، المبروث هادياً ، وبشيراً ونذيراً ، ورحمة للخلق أجمعين .

وهذا المنهج الرباني ، صاغ الإنسان المسلم : عقله وفكره وقوله ، ظاهره وباطنه ، وقد قام **عليه السلام** بما أمره به ربه عز وجل ، قبّلح وبشر ، وحذر ، وأبشر ، فعمل آتاء الليل وآتاء النهار ، سقياً وحضراً ، على ربط الناس بالمنهج بكلياته وجزئياته ، بأصوله وفروعه ، قولاً وعملاً ، فسد من آمن به وصدق واستجاب له وأطاعه ، وشقي من كذبه ونأى عنه ، وعصاه .

وهذا المعنى هو الذي رسخ في أذهان أهل العلم والفتى من الأمة الجاهدين

رضوان الله عليهم . قال الشافعي : وإذا وجدتم ستة رسول الله فاتبوها<sup>(١)</sup> وقال :

وإذا صح الخبر عن رسول الله ﷺ وقت قولاً فأتاها راجع عن قولى وقال به<sup>(٢)</sup> .

وما من إمام من الأمة الجاهدين كفى حقيقته ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم

إلا وقال : وإذا صح الحديث فهو مذهبي<sup>(٣)</sup> ، وقال أبو حنيفة : عليكم بالبايع

الستة<sup>(٤)</sup> . وقال ابن عمر : و لا يزال الناس على الطريق ما اتبعوا الأثر<sup>(٥)</sup> .

وقال عروة بن الزبير : و اتباع السنن قولم الدين<sup>(٦)</sup> .

وأخرج البيهقي عن عامر الشعبي قال : وإما ملككم حين تركم الآثار<sup>(٧)</sup> .

وأخرج عن شريح قال : وأنا أفتى الأثر<sup>(٨)</sup> يعني آثار النبي ﷺ .

وأخرج عن الأوزاعي قال : وإذا بلغك عن رسول الله ﷺ حديث فإياه أن

تقول بغيره ، فإن رسول الله ﷺ كان مبلغاً عن الله<sup>(٩)</sup> .

وأخرج عن سفیان الثوري قال : وإما المعلم كله المعلم بالآثار<sup>(١٠)</sup> .

وأخرج عن عثمان بن عمر قال : وجاء رجل إلى مالك فسأله عن مسألة

فقال له :

(١) مفتاح الجنة [ ص : ٧٥ ] .

(٢) مفتاح الجنة [ ص : ٧٥ ] .

(٣) قواعد التحديث [ ص : ٥٢ ] .

(٤) قواعد التحديث للفاشي [ ص : ٥٢ ] .

(٥) مفتاح الجنة للسويطي [ ص : ٥٢ ] .

(٦) مفتاح الجنة [ ص : ٥٢ ] .

(٧) مفتاح الجنة [ ص : ٥٢ ] .

(٨) مفتاح الجنة [ ص : ٥٢ ] .

(٩) مفتاح الجنة [ ص : ٥٢ ] .

إنكار السنة

ولقد قرن الله عز وجل الإيمان برسوله مع الإيمان به ، فقال تبارك وتعالى :

﴿ فَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلَ رَسُولُكُمْ فِي آيَاتِهِ وَلْيَسْمَعُوا أَصْوَاتَ الْوَعْدِ ﴾ [سورة القصص : ١٧٢] .

وقال عز من قائل : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا بِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ وَإِنَّمَا كَانُوا هُمْ عَلَى

أَمْرٍ جَانِحٍ لَمْ يَتَّعِبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا مِنَ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِتُوبَتِكُمْ يَا

رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّمَا أَتَى بِتُوبَتِكُمْ يَعْنِي كِتَابَتِكُمْ فَإِذْ لَمْ يَشْكُرْ بِنِعْمَتِكُمْ فِي الْوَعْدِ الْآيَةَ .

فجعل كمال ابتداء الإيمان الذي ما سواه تبع له ، الإيمان بالله ثم برسوله .

قال الإمام الشافعي رحمه الله عليه : و فرض الله على الناس اتباع وجهه ، وسنن

رسوله ، فقال في كتابه العزيز : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ

أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ

قَبْلِ لَيْلٍ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [آل عمران : ١٦٤] ، مع آى سواها ذكر فيها الحكمة .

ثم قال الإمام الشافعي : و فذكر الله الكتاب وهو القرآن ، وذكر الحكمة

فسمعت من أهل العلم بالقرآن يقول : الحكمة ستة رسول الله ﷺ ،

فطوبى لمن أحب السنة وصل بها ، وخدمها ، وبلغها لأنها تفسر القرآن ودلائله .

إن ما سن رسول الله ﷺ تد أومنا الله اتباعه - إلا ما قام الدليل على أنه خاص

به - وجعل في اتباعه طاعة ، وفي الميل عنه معصية ، وما بعث الله رسوله

إلا ليطاع ويتبع ، وتتقوم به الحاجة على خلقه ، ولا قول لأحد مع ما صح عنه ﷺ ،

ولا يهزؤ أحد من أهل الإيمان أن يقدم قوله ، ويستحسن رأيه بين يدي كتاب الله

وسنة رسوله ، وهو يؤمن بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا بَيْتَ نَبِيِّ

اللَّهِ وَشِعْرَتِهِ فِي الْوَعْدِ وَالْمَعْرَاتِ : ١١ ﴾ أى : لا تقربوا حتى يقول ، ولا تأمروا حتى يأمر ،

ولا تفتروا حتى يفتي .

إنكار السنة

ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا

فهو رد »<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا فطاعة الرسول واتباعه ، والسير على هداه وتحقيق المنهج النبوي والطاعة الذي يدعو إلى تطبيقه في شؤون الحياة كلها هو الميزان الذي توزن به كل طاعة والإيمان ، ولقد حذر الله عز وجل من مخالفة نبيه فقال تعالى : ﴿ قَلْبَحَدْرِ الَّذِينَ يُخَافُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ يُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التور : ٦١] .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية<sup>(٢)</sup> : « أي عن أمر رسول الله ﷺ ، وهو سبيله ومنهاجه ، وطريقته وستته ، وشريعته ، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله ، فما وافق ذلك قبل ، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائناً من كان ، وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَنْ يُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي في الدنيا بدعة وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي في الدنيا يقتل أو حد أو حبس ، أو نحو ذلك » .

وإذ حذر الله من مخالفة رسوله ، ومجانبة سنته فقد أوجب طاعته لأنها من طاعة الله كما أن معصيته من معصية الله تعالى ، كما جاء في الحديث الصحيح أنه ﷺ قال : « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ... الحديث »<sup>(٣)</sup> .

وقال ﷺ في الحديث الصحيح : « من رغب عن سنتي فليس مني »<sup>(٤)</sup> .

(١) أخرجه مسلم [١٧١٨] ، وأحمد في المسند [١٤٦/٦] عن عائشة رضي الله تعالى عنها .

(٢) في تفسير القرآن العظيم [١٣٠/٥] .

(٣) أخرجه البخاري [٩٧٩٧] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .

(٤) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري [٤٧٧٦] ، ومسلم [١٤٠١] عن أنس رضي الله تعالى عنه .

١٦٧ ■■■ إنكار السنة

قال رسول الله ﷺ كذا وكذا ، فقال الرجل : « رأيت ... ؟ » فقال مالك :

﴿ قَلْبَحَدْرِ الَّذِينَ يُخَافُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ يُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التور : ٥٣] .

وأخرج البيهقي عن الربيع قال : روي الشافعي يوماً حديثاً فقال رجل : « أتأخذ بهذا يا أبا عبد الله ؟ » فقال : متى ما رويت عن رسول الله ﷺ حديثاً صحيحاً فلم تأخذ به فأشهدكم أن عقلي قد ذهب »<sup>(١)</sup> .

وأخرج عنه البيهقي قال : « سمعت الشافعي يقول : إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ودعوا ما قلت »<sup>(٢)</sup> .

وأخرج البيهقي والدارمي عن الزهري قال : « كان من مضى من علمائنا يقولون : « الاعتصام بالسنة نجاة »<sup>(٣)</sup> .

وقال الإمام مالك رحمة الله عليه : « لا تعارضوا السنة وسلموا لها »<sup>(٤)</sup> .

اعتنان من يدعى محبة الله باتباع الرسول :  
ولقد امتحن الله من ادعى محبته ، وليس متبعاً لنبيه في حياته العامة والخاصة ، وفق ما أراد الله في المنهج الذي بلغه عنه رسوله ﷺ فقال : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية<sup>(٥)</sup> : هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية ، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي ، والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله ، كما

(١) مفتاح الجنة [ص : ٥٣] .

(٢) مفتاح الجنة [ص : ٥٦] .

(٣) تفسير القرآن العظيم [٢٩/٢] .

١٦٦ ■■■ إنكار السنة

بالتواجد ، والاستسلام له ، والعمل بما فيه عقيدة وعبادة ومعاملة وسلوكاً وتربية  
وحكماً ، لأن فيه السلامة والنجاة ، ولا نجاة للمؤمنين به إلا بالتحقق منهاج حياة<sup>(١)</sup> .



وقد حض الرسول ﷺ أمته على اتباع سنته ، والتسك بها وحذر من مخالفته  
والجلل عن ينسبته إلى الابتاع في الدين ، فقال ﷺ : « عليكم بسنتي ، وسنة  
الخصاء الراشدين المهديين فمسكروا بها ، وعصوا عليها بالنواجذ ، وإياكم  
ومحدثات الأمور »<sup>(١)</sup> .

وهو عليه الصلاة والسلام حينما يحذر أمته من الانحراف عن منهاجه ، واتباع  
الهُوى إنما يؤكد بمفهوم الخطاب وجوب التزامها الصراط المستقيم الذي أمر باتباعه  
بقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ  
بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [ الأنعام : ١٥٣ ] .

ولقد خرق الناس في النهج خرقاً ، وأحدثوا أموراً ، وابتدعوا بدءاً ، وانتحلوا  
ملاً وانتهجوا سبلاً ، أهدتهم عن منهج الله ، وصراطه المستقيم ، ففترقوا قديداً ،  
واستبدت بهم الأهواء ، واستمدت بهم الدنيا فشغلت عقولهم ، وفتت قلوبهم  
فاقتادوا لأهوائهم واجتالتهم شياطين الجن والإنس ، فشرقوا وغربوا وأحدثت بهم  
الفنن ، ففرقت كلمتهم ، وتمزق صفهم ، واختلف آرائهم لاختلاف قلوبهم ،  
وطبع فيهم عُدوهم ، فأصابهم الزهن فصاروا - على كثرتهم - غثاء لا قيمة لهم  
كما هم اليوم .

ولن يركزوا خير خلف لخير سلف فيعود لهم مجددهم ، ويستعيدوا هيبتهم  
وكرامتهم ، إلا إذا أزالوا عن أعينهم العنشارة فأبصروا الحق الذي فرطوا فيه ،  
وأدركوا ما هم فيه ، من حيرة وضعف وانحراف وما صاروا إليه من ضياع وفرقة  
وخذلان ، فيجددوا العزم على الرجوع إلى المنهج ، والاستمسك به والعرض عليه  
<sup>(١)</sup> رواه ابن ماجه [٤٣،٤٦] ، والترمذي [٧٦٦٦] ، والدارمي [٩٥] ، وأحمد في المسند  
[١٦٦/٤] وقال الألباني في صحيح ابن ماجه [٤١٤٠] صحيح .

عن أبي حمزة قال : قلت لعلي هل عندكم كتاب ؟ قال : لا ، إلا كتاب الله ، أو فهم أصله رجل مسلم ، أو ما في هذه الصحيفة . قال قلت : وما في هذه الصحيفة ؟ قال : العقل ، وكفاك الأسير ، ولا يقتل مسلم بكافر (١) .

(٥) قال ابن حجر في الفتح [٢٧٦/١] ، طريقة البخاري في الأحكام التي يقع فيه الاختلاف أن لا يهزم فيها شيء بل يورد ما على الاحتمال . وهذه الترجمة من ذلك ، لأن السلف اختلفوا في ذلك عملاً وتركاً ، وإن كان الأمر استتراً والإجماع انعقد على جواز كتابة الملم ، بل على استحبابه ، بل لا يمد وجوبه على من خشي السيئات من ضمن عليه تبليغ العلم . وقال رضي الله تعالى عنه في الفتح [٢٧٨/١] ويستفاد منه ومن حديث علي التقدم ومن قصة أبي شاه أن النبي ﷺ أذن في كتابة الحديث عنه ، وهو يعارض حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : لا تكفروا عن شيء غير القرآن ، رواه مسلم . والجمع بينهما أن النبي ﷺ خصص نزول القرآن بحجية النبوة بهديه ، والإذن في غير ذلك . أو أن النبي ﷺ خصص بكتابة غير القرآن مع القرآن في شيء واحد والإذن في تفرقةما ، أو النبي ﷺ تقدم والإذن ناسخ له عند الأمن من الاتيان وهو أقربها مع أنه لا يثابها . وقيل النبي ﷺ خصص بن خشي منه الاتكال على الكتابة دون الحفظ ، والإذن لمن أمن منه ذلك ، ومنهم من أصل حديث أبي سعيد وقال : الصواب وقفه على أبي سعيد ، قاله البخاري وغيره . قال العلماء : كره جماعة من الصحابة والتابعين كتابة الحديث واستحبوا أن يؤخذ عنهم حفظاً كما أخذوا حفظاً ، لكن لا قصرت عنهم وتخصي الأئمة ضياع الملم دونوه . وأول من دون الحديث ابن شهاب الزهري على رأس المائة بأمر عمر ابن عبد العزيز ، ثم كره التدوين ثم الصنيفة ، رحصل بذلك خير كثير ، فله الحمد . وقال رضي الله تعالى عنه في الفتح [٢٧٨،٢٧٩/١] : تنبيه : قدم حديث علي أنه كتب عن النبي ﷺ وطرقه احتمال أن يكون إما كتب ذلك بعد النبي ﷺ ولم يبلغه النبي ، وثني بهديث أبي حمزة وفيه الأمر بالكتابة وهو بعد النبي ﷺ فيكون ناسخاً ، وثالث =

(١) أخرجه البخاري [ ١١١ ] - فتح .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا تكفروا عنى ، ومن كتب عنى غير القرآن فليحبه وحديثوا عنى ولا حرج ، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار (١) .

قال اللبوري : قال القاضي : كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كبير في كتابة الملم فكرها كثيرون منهم ، وأجازها أكثرهم ، ثم أجمع المسلمون على جوازها وزال ذلك الخلاف (٢) .

وقال ابن حاتم : زجره ﷺ الكيفية عنه سوى القرآن أراد به الحث على حفظ السنن دون الاكسال على كتابتها وترك حفظها والتفقه فيها . والدليل على صحة هذا إباحته ﷺ ، لأنى شاة كتبت الخطبة التي سمعها من رسول الله ﷺ ، وأذنه ﷺ لعبد الله بن عمرو بالكتابة .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه : أنهم استأذنا النبي ﷺ في أن يكتبوا عنه فلم يأذن لهم (٣) .

وفي رواية عنه رضي الله تعالى عنه قال : و استأذنا النبي ﷺ في الكتابة فلم يأذن لنا (٤) .

○○○

(١) أخرجه مسلم [٣٠٠٤] ، وأحمد في المسند [٥١/٢] .

(٢) شرح النووي على مسلم [٣٥١/٩] .

(٣) رواه اللبوري [٤٥١] .

(٤) رواه الزهري [٢٦٦٥] و صححه الألباني في صحيح الترمذي [٢١٤٧] .

و إلا الإذخر . قال أبو عبد الله يُقال يُتقاد بالطاقف . فقليل لأبي عبد الله أى شىء  
كُتب له ؟ قال : كُتب له هذه الخطبة (١) .

وروى وهب بن ميثبه عن أبيه قال : سمعت أبا هريرة يقول : سَمِعْتُ مِنْ أَصْحَابِ  
النَّبِيِّ ﷺ أَحَدًا أَكْبَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنْهُ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فَإِنَّهُ كَانَ  
يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ . تَابَهُ مُقْبِرٌ عَنْ هَمَامٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (٢) .

وروى عبد الله بن عباس قال : لا اشتهد بالنبي ﷺ رجعه قال : و التورنى بكتاب  
أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَقْبَلُوا بِهِمْ ، قَالَ عُمَرُ : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَلَبَهُ الرَّجْعُ ، وَعِنْدَنَا  
كِتَابُ اللَّهِ حَقْمِينَا . فَاجْتَلَمْنَا ، وَكُفِّرَ اللَّغَطُ . قَالَ : وَتَوْمًا عَنِي ، وَلَا يَنْبَغِي عِنْدِي  
التَّنَازُعُ . فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ : إِنَّ الزُّبَيْرَةَ كُلَّ الرَّبِيَا مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
وَبَيْنَ كِتَابِهِ (٣) .

○○○

- (١) أخرجه البخارى [ ١١٢ - فتح ] .  
(٢) أخرجه البخارى [ ١١٢ - فتح ] .  
(٣) أخرجه البخارى [ ١١٤ - فتح ] .

وروى أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : أن خراصة قتلوا رجلاً من بنى لبيث

عام فتح مكة بقول منهم قتالوه ، فأخبر بذلك النبى ﷺ فركب راحلته فخطب  
فقال : و إن الله يحب من مكنة اقتل - أو القيل . شك أبو عبد الله - وسلط

عليهم رسول الله ﷺ والفرسين . ألا وإنها لم تحمل لأحد قبل ولا تحمل لأحد  
بمضى . ألا وإنها أخذت لى ساعة من نهار . ألا وإنها ساعى هذه حرام لا يُحتمل  
شئوكها ، ولا يُعتمد شجرها ، ولا تُثَقِّطُ ساقطتها إلا للمنعيد . فمن قُبل له قتل  
فهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرِينَ إِمَّا أَنْ يُقْتَلَ ، وَإِمَّا أَنْ يُقَاتَلَ أَهْلُ الْقَتِيلِ . فجاء رجل من أهل  
اليمن فقال : اكتب لى يا رسول الله . فقال : و اكبريا لأبى فلان . فقال رجل  
من قريش : إلا الإذخر يا رسول الله ، فإنا نجعله فى بيوتنا وقبورنا . فقال النبى ﷺ

= بعثت عبد الله بن عمرو وقد بعثت أن فى بعض طرقه إذن النبى ﷺ له فى ذلك ، فهو

أقرب فى الاستلال للجواز من الأمر أن يكبريا لأبى شاه لاحتمال الخصاص ذلك بن

يكون أبقا أو أصمى ، وخطم بعثت ابن عباس التمال على أنه ﷺ هم أن يكعب لأنه  
كتاب يحصل منه الأمن من الاختلاف وهو لا يهم إلا بحق .

وقال الأربوزوط فى تمليقه على حديث رقم [١٤] فى صحيح ابن حبان : وقد جمع  
المصنف بين إباحة ﷺ كناية الخطبة لأبى شاه ، وبين حديث أبى سعيد : أن النبى فى  
حديث أبى سعيد خاص بوقت نزول القرآن خشية التلبسه بهنوه ، والإذن فى غير ذلك ،  
أو أن النبى خاص بكتابة غير القرآن مع القرآن فى شىء واحد ، والإذن فى تشريقهما ،  
أو النبى مقدم ، والإذن ناسخ له عند الأمن من الالباس ، وهو أقربها مع أنه لا ينافيها ،  
وقيل : النبى خاص بن خشى منه الاكسال على الكتابة دون الخطب والإذن لمن آمن منه  
ذلك ، ومنهم من أمّل حديث أبى سعيد ، وقال : الموراب وقفه على أبى سعيد ، قاله  
البخارى وغيره .

قال العلماء : كره جماعة من الصحابة والتابعين كتابة الحديث ، واستحبوا أن يؤخذ  
عصم حقيقا ، كما أعلنوا حقيقا ، لكن لا قصرت الهمم وخشى الأمة ضياع  
العلم ودونه ، وأول من دون الحديث ابن شهاب الزهري على رأس المائة بأمر عمر  
ابن عبد العزيز ، ثم كثر التدوين ، ثم التصنيف ، وحصل بذلك خير كثير ، والله الحمد .

## (ب) صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص

رضي الله تعالى عنه

روى الإمام أحمد وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما قال : كنت أكتب كل شيء أسمه من رسول الله ﷺ أريد حفظه ، فبهتني فريش ، وقالوا : تكتب كل شيء سمعته من رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضى ، فأسكت عن الكتاب ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فأوما بإصبعه إلى فيه ، وقال : اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق<sup>(١)</sup> .  
وعنه رضي الله تعالى عنه أنه قال : ما يرغبنى في الحياة إلا خصمطان : الصادقة ، والرهنط . فأما الصادقة : فصحيفة كتبتها عن رسول الله ﷺ . وأما الرهنط : فأرض تصدق بها عمرو بن العاص كان يقوم عليها<sup>(٢)</sup> .

٣- وعنه رضي الله تعالى عنه : قال : استأذنت النبي ﷺ في كتابة ما سمعته منه . قال : فأذن لي ، فكتبته<sup>(٣)</sup> .

٤- وروى عن مجاهد قال : أتيت عبد الله بن عمرو فتأملت صحيفته من تحت فريشه فمضيت . قلت ما كنت تمنني شيئا ، قال : هذه الصادقة ؛ وهما ما سمعت من رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه أحد . إذا سلمت لي هذه ، وكتاب الله تبارك وتعالى ، والرهنط ، فما أبالي ما كانت عليه الدنيا<sup>(٤)</sup> .  
○○○

(١) رواه أبو داود [٣٢٤٦٦] ، والدارمي [٤٤٨٤] ، وأحمد في المسند [١٦٦٧/٧] ، [١٩٢] ، والحاكم في المستدرک [٣٥٩] ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود [٣٠٩٦] ، والشيخ عاكر في المسند [٦٥١٠] ، [٦٨٠٢] .

(٢) رواه الدارمي [٤٩٦٦] وهو صحيح لغيره .

(٣) ذكره ابن سعد في الطبقات [٣٢١٧/٤] و [٤٩٤/٧] بإسناد صحيح .

(٤) ذكره الرازمي في الحديث القاصيل [٣٦٧] ، وبالطبيب في تفيد العلم [٦٨٤] .

## صحائف الصحابة رضي الله تعالى عنهم

١- ما كتب في حياة النبي ﷺ

(١) صحيفة علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه

عن علي رضي الله تعالى عنه قال : ما عدنا شيء إلا كتاب الله وهذه الصحيفة عن النبي ﷺ : و اللبنة حرم ما بين عائر إلى كذا ، من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل . وقال : ذمة المسلمين واحدة ، فمن أضر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل . ومن تولى قوما بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل . قال أبو عبد الله : عدل فناء<sup>(١)</sup> .  
وعنه رضي الله تعالى عنه لا سأل أبو جحيفة رضي الله تعالى عنه : هل عندكم شيء من الرشي إلا ما في كتاب الله ؟ قال : لا ، والذي فلق الحية وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فيها يعطيه الله رجلا في القرآن ، وما جاء في هذه الصحيفة . قلت وما في الصحيفة ؟ قال : العقل وفكالك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر<sup>(٢)</sup> .  
وعنه رضي الله تعالى عنه لا سئل : أخصمكم رسول الله ﷺ بشيء ؟ قال : ما خصنا رسول الله ﷺ بشيء لم يعلم به الناس كافة . إلا ما كان في قراب سبئي هذا . قال : فأخرج صحيفة مكتوبا فيها : و لمن الله من ذبح لغير الله ، و لمن الله من سرق منار الأرض ، و لمن الله من لمن والده ، و لمن الله من أوصى محدثا<sup>(٣)</sup> .  
○○○

(١) أخرجه البخاري [١٨٧٠] - فتح .

(٢) أخرجه البخاري [٣٠٤٧٠/١١] ، [٣٠٤٧٢] ، [٣١٧٩] ، [٦٧٥٥] ، [٩١٥] ، [٧٣٠٠] - فتح .

(٣) أخرجه مسلم [٤٥١/٩٧٣] .

٢ - ما كتب بعد وفاة النبي ﷺ

(أ) صحيفة جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه

ذكر الحافظ الذهبي أن جابرا رضى الله تعالى عنه : وحمل عن النبي ﷺ علما

كثيرا نافعا وله منسك صغير في الملح<sup>(١)</sup> .

وروى ابن أبي شيبة عن الربيع بن سعد أنه قال : رأيت جابرا يكتب عند ابن

سابط في ألواح<sup>(٢)</sup> .

وقال ابن أبي حاتم : جالس سليمان اليمكري جابرا فسمع منه ، وكتب عنه

صحيفة<sup>(٣)</sup> .

○○○

(ب) صحيفة عمرو بن حزم رضى الله تعالى عنه

قال ابن سعد : قالوا : وكتب رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن

عهدا يعلمه فيه شرائع الإسلام ، وفرائضه وحدوده<sup>(١)</sup> .

وقال ابن عبد البر : وكتب رسول الله ﷺ كتاب الصدقات والديات والفرائض

والسنن لعمرو بن حزم وغيره<sup>(٢)</sup> .

وقال الحافظ ابن حجر : استعمله النبي ﷺ على تجران ، وروى عنه كتابا كتبه له

فيه : الفرائض والزكاة والديات وغير ذلك ، أخرجه أبو داود والنسائي وابن حبان

والدارمي وغير واحد<sup>(٣)</sup> .

○○○

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي [٤٣/١] ، وسر أعلام النبلاء [١٨٩/٦] ، وينسك جابر في

كتاب الملح من صحيح مسلم وجمعه الشيخ ناصر الدين الأربابى من كتب السنة المختلفة

في كتيب وهو مطبوع .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف [٤٩/٩] ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم [٣٧/١] .

(٣) الملح والتعديل [١٣٦/٤] .

(١) اللغات الكبرى [٣٦٧/١] .

(٢) جامع بيان العلم [٣٧/١] .

(٣) الإصاحبة [٥٢٥/٢] .

(ج) صحيفه حر هريزه رضى الله تعالى عنه

ذكر ابن سعد : أن عبد العزيز بن مرزوق بن الحكم كتب إلى -كثير بن مرة المضرمي ، وكان قد أدرك -سعد بن زيد- من أصحاب رسول الله ﷺ .

قال ليث : وكان يسمى -سعد-

قال : فكذب إليه أن يكتب إليه ترسيع من أصحاب رسول الله ﷺ من

أحاديثهم إلا حديث أبي هريرة فوثقه صنفه (١)

وقد كتب عنه ثلاثين سنة ترسيع من أبرزها :

١ - صحيفه همام ترسيع عن أبي هريرة .

٢ - نسخة أبي الزناد ترسيع شرح عن أبي هريرة .

٣ - نسخة سهيل ترسيع شرح عن أبيه عن أبي هريرة (٢)

○○○

(ب) صحيفه ستمرة بن جندب

رضى الله تعالى عنه

روى البراء بن ستمرة بن جندب رضى الله تعالى عنه أنه كتب إلى بنه :

من ستمرة بن جندب ، سلام عليكم ، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو .

أما بعد : فإني أوصيكم بتقوى الله وأن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتجتنبوا

المجاثات ، وتطيعوا الله ورسوله وأطعوا الذين يقيمون أمر الله ، وأن رسول الله

ﷺ كان يأمرنا أن نصلى من الليل ، ويصلي أحنا بعد الصلاة المكتوبة ما قل

أو كر ونجعلها وثرا (١) .

وهذه الرسالة تخبر على عدد كبير جدًا من الأحاديث النبوية المشرفة ، وروى

الطبراني في الكبير منها [٩٥] حديثًا من غير التكرار ، وروى البراء منها [٦٩]

حديثًا ، وروى البخاري في التاريخ الكبير منها حديثًا واحدًا فقط ، وروى أبو داود

في سننه ستة أحاديث منها ، وروى ابن ماجه في سننه حديثًا واحد فقط منها ،

وروى اللارقطني في سننه حديثًا واحدًا منها ، وروى البيهقي في السنن الكبرى

أربعة أحاديث منها (٢) .

○○○

(١) ذكره ابن سعد في الضعيفات الكبرى [٤٤٨/٧] .

(٢) يزيد من التوثيق والتقدمه راجع كتاب : صحائف الصحابة وتدوين السنة [١٨٩: ٢١٥] .

(١) رواه البراء [١٣٧٧ - كتف الأستار] .

(٢) صحائف الصحابة وتدوين السنة [١٥٧ - ١٦٢] بتصريف بيستر .

## مرحلة تدوين السنة

بعد اتساع الدولة الإسلامية وكثرة الفتوحات شرقاً وغرباً ، ورضى المسلمون ضياع شيء منها بوجت الحفاظ الذين انتشروا في البلاد فكانت هناك محاربان لجميع السنة وتدوينها وذلك في منتصف القرن الثاني الهجري .

الخطابة الأولى : في عهد عبد العزيز بن مروان ؛ وكان أن كتب إلى كثير من مرة الخاضعي أكثر من مرة أن يكتب إليه بما سمع من أصحاب رسول الله ﷺ من أحاديثهم إلا حديث أبي هريرة فإنه عندنا .

والخطابة الثانية : في عهد عمر بن عبد العزيز بن مروان ، وأنه رضى الله تعالى عنه أمر بجمع الحديث من طريقين :

الأول : كتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري : « انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكبه ، فإني خفت دوروس السلم وذباب العلماء »<sup>(١)</sup> .

الثاني : أرسل عمر بن عبد العزيز برسالة إلى ابن شهاب الزهدي يأمره بجمع السنن ، قال الزهدي : أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكاتبناها دفنوا دفنوا . فبعت إلى كل أرض له عليها سلطان دفنوا<sup>(٢)</sup> .

ثم حدث في أربع عصر التابعين تدوين الآثار وتويرب الأخبار لما انتشر العلماء في الأمصار وكثر الابتاع من الخوارج والرافض ومكرو الأقطار<sup>(٣)</sup> .

وإليك أيها القاريء الكريم قائمة بأسماء العلماء الذين قاموا بتدوين الحديث النبوي في القرن الثاني الهجري يؤلفاتهم مرتين على حسب وفاتهم<sup>(٤)</sup> :

(١) سبق تخريجه .

(٢) جامع بيان العلم وفضله [٧٦/١] .

(٣) هدي الساري مقدمة فتح الباري [٦] .

(٤) تقلد عن كتاب صحائف الصحابة وتدوين السنة .

- ١- عبد الملك بن جريح ، توفي عام ١٥٠هـ ، وألف في السنن - الطهارة - الصلاة - التفسير - الجامع . له أحاديث في الظاهرية ، مجموع : (٢٤) من روضة (١١٧-١٣٥) . عاش بمكة .
- ٢- النبي بن عبد الله ، توفي عام ١٥٠هـ ، له أحاديث في الظاهرية ، مجموع : (٢٤) (١١٢-١١٢٤) .
- ١٢٤هـ ، ١٢٢٩-١٢٢٩هـ (ب) . وكذلك : الظاهرية (١١-٢١هـ) .
- ٣- محمد بن إسحاق ، توفي عام ١٥١هـ ، ألف في السنن والبخاري ، وجدت قطعه من مغازية ، حققها ونشرها الدكتور محمد حيد الله وعاش باليمن .
- ٤- عثتر بن راشد ، توفي عام ١٥٣هـ وألف الجامع والبخاري ، طبع كتاب الجامع في آخر منتصف عبد الرزاق ، وعاش في اليمن .
- ٥- محمد بن أبي ذئب ، توفي عام ١٥٦هـ ، وألف السنن والوطاء ، وعاش في المدينة .
- ٦- سعيد بن أبي عروبة ، توفي عام ١٥٧هـ ، ألف السنن والتفسير ، وعاش باليمامة .
- ٧- الأوزاعي ، توفي عام ١٥٧هـ وألف السنن في الفقه - المسائل في الفقه وعاش في الشام .
- ٨- الربيع بن صبيح ، توفي عام ١٦٠هـ ، وصل إلينا بعض حديثه في كتاب : « غرائب شعبة » ل محمد البرزنجي ، فضل الله (١/٥٠٦) . والظاهرية مجموع [١/٩٤] من (١٥٠هـ) ، ١٢٤هـ (من ١١٢٤-١١٥٢هـ) . وقد جمع حديثه أيضًا : الحسن البرزنجي ، الظاهرية مجموع ٩٠ (من روضة ١-١٣) .
- ١٠- سفيان الثوري ، توفي عام ١٦١هـ ، ألف التفسير ، الجامع الكبير ، الجامع الصغير ، الترافض ، الاعتقاد ، التفسير : مطبوع . والترافض : في الظاهرية مجموع ٢٨ (٢٥-٢٧) . والاعتقاد : يتتبع تقي الدين بن تيمية في الظاهرية مجموع (١٤/١٣٩) (من ١٩١-١٩٢هـ) .
- ١١- زائدة بن قدامة ، توفي عام ١٦١هـ ، وألف السنن ، الزهد والتفسير ، القراءات ، المناقب ، وعاش بالكوفة .
- ١٢- إسرائيل بن يونس ، توفي عام ١٦٢هـ ، وعاش بالكوفة .
- ١٣- هشام بن يحيى بن دينار ، توفي عام ١٦٣هـ ، وعاش باليمامة .
- ١٤- إبراهيم بن طهمان ، توفي ١٦٣هـ ، وألف السنن في الفقه ، المناقب ، الطيبين ، التفسير . توجد له مشيخة في الظاهرية : مجموع (١٠/١٠٧) (من ٢٣٦-٢٥٥هـ) وعاش في خراسان .

- ٣٢ - إسماعيل بن جعفر ، توفى عام ١٨٠ هـ ، توجد له أحاديث في : كوبري (٤٢٨) في ثلاثة أقسام من (١-٥٩) .
- ٣٣ - عبد الله بن المبارك ، توفى عام ١٨١ هـ ، وألف المسند ، والزهد ، جلال الدين ، والجهاد ، وجميعها مطبوع . وعاش في خراسان .
- ٣٤ - إبراهيم بن سعد ، توفى عام ١٨٢ هـ ، توجد له نسخة في دار الكتب بالقاهرة ، حديث (١٥٥٨) (ص ٣٧٣-٣٩٢) ، وعاش بالمدينة .
- ٣٥ - يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، توفى عام ١٨٣ هـ ، وألف السنن في الفقه ، وعاش بالكوفة .
- ٣٦ - هشيم بن بشير ، توفى عام ١٨٣ هـ ، وألف السنن في الفقه ، المغازي ، وعاش بواسط .
- ٣٧ - النعمان بن عبد السلام ، توفى عام ١٨٣ هـ ، وعاش بأصبهان .
- ٣٨ - إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي ، توفى عام ١٨٤ هـ ، وألف الموطأ ، وعاش بالمدينة .
- ٣٩ - المعاني بن عمران ، توفى عام ١٨٥ هـ ، وألف الزهد ، السنن ، الفتن ، الأدب ، المسند ، وعاش بالموصل .
- ٤٠ - أبو إسحاق الفزاري ، توفى عام ١٨٦ هـ ، وألف السير ، توجد منه نسخة خطية عتيقة ، قام بشرها وتحقيقها الدكتور فاروق حمادة . وعاش بالشام .
- ٤١ - عبد الرحيم بن سليمان الرازي ، توفى عام ١٨٧ هـ ، عاش بالكوفة .
- ٤٢ - جرير بن عبد الحميد ، توفى عام ١٨٨ هـ ، وعاش بالرى .
- ٤٣ - عبد الرحمن بن مهدي ، توفى عام ١٨٨ هـ ، وعاش بالبصرة .
- ٤٤ - محمد بن الحسن الشيباني ، توفى عام ١٨٩ هـ ، وألف الآثار ، المبسوط ، الزيادات ، الجامع الكبير ، الجامع الصغير وغيرها . طبع منها : الآثار الجزء الأول من المبسوط ، والجامع الكبير والجامع الصغير ، عاش بالكوفة .
- ٤٥ - عبيدة بن حميد ، توفى عام ١٩٠ هـ ، عاش بالكوفة .
- ٤٦ - إسماعيل بن عثمة ، توفى عام ١٩٣ هـ ، وألف الطهارة ، الصلاة ، المناسك ، التفسير ، وعاش بالكوفة .
- ٤٧ - محمد بن جعفر ( عُثْر ) ، توفى عام ١٩٣ هـ ، عاش بالبصرة .
- ٤٨ - الوليد بن مسلم ، توفى عام ١٩٤ هـ ، ألف السنن ، المغازي ، عاش بالشام .
- ٤٩ - حفص بن غياث ، توفى عام ١٩٤ هـ ، وعاش بالكوفة .
- ٥٠ - إسحاق الأزرق ، توفى عام ١٩٥ هـ ، وألف الصلاة ، المناسك ، الفرائض ، وعاش بواسط .

- ١٥ - شيبان بن عبد الرحمن النحوي ، توفى عام ١٦٤ هـ ، وعاش بالكوفة .
- ١٦ - صدقة بن عبد الله السمين ، توفى عام ١٦٦ هـ ، وعاش في دمشق .
- ١٧ - أبو حمزة السكري ، توفى عام ١٦٧ هـ ، وعاش في نيزو .
- ١٨ - حماد بن سلمة ، توفى عام ١٦٨ هـ ، وألف السنن ، وعاش بالبصرة .
- ١٩ - فليح بن سليمان ، توفى عام ١٦٨ هـ ، يوجد قسم من حديثه في الظاهرية : مجموع (٧/١٢٤) ( من ١٧-٨٧ ) ، وعاش بالمدينة .
- ٢٠ - عبد العزيز بن الماجشون ، توفى عام ١٦٨ هـ ، وعاش بالمدينة .
- ٢١ - عبد الله بن عبد الله بن أوس .
- ٢٢ - أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن ، توفى عام ١٧٠ هـ ، ألف المغازي ، وعاش في سندی ثم مدني .
- ٢٣ - أيوب بن عتبة ، توفى عام ١٧٠ هـ ، وعاش باليمامة .
- ٢٤ - جويبرية بن أسماء ، توفى عام ١٧٣ هـ ، توجد له صحيفة في : شهيد على تركيا : مجموع (٥٣٩) ( من ١٣٢-١٣٨ ) .
- ٢٥ - عبد الرحمن بن أبي الزناد ، توفى عام ١٧٤ هـ ، وألف الفرائض ، كتاب رأى الفقهاء السبعة من أهل المدينة وما اختلفوا فيه . وعاش بالمدينة .
- ٢٦ - عبد الله بن لهيعة ، توفى عام ١٧٤ هـ ، توجد له صحيفة في بردية محفوظة في : خيلج ، وعاش في مصر .
- ٢٧ - الرضاء بن عبد الله ، توفى عام ١٧٥ هـ ، وعاش بواسط .
- ٢٨ - الليث بن سعد ، توفى عام ١٧٥ هـ ، وألف التاريخ ، ومسائل الفقه ، يوجد حديثه في : كوبري (٣٧٢/٣) (١٣٦-١٥٤) . والظاهرية مجموع (١٩) (١-١٨) ، ومجموع (٧٦) (٧٥-٨٣) ، ومجموع (١٢٥) ، (١٥٣-١٥٦) . والقاهرة : ثان ١٠٧/١ ، وحديث ١٥٥٨ (ص ٣٦٨-٣٧٢) .
- ٢٩ - عبد الملك بن محمد بن حزم ، توفى عام ١٧٦ هـ ، وألف في المغازي ، وعاش بالمدينة .
- ٣٠ - مالك بن أنس ، توفى عام ١٧٩ هـ ، ألف الموطأ كتاب مشهور ، مطبوع عدة طبعات ، رسالة في القدر ، رسالة في الأفضلية ، السر . عاش بالمدينة .
- ٣١ - حماد بن زيد ، توفى عام ١٧٩ هـ ، وعاش بالبصرة .

## صحیح الإمام البخاری والباعث علی تصنیفه و بیان منزلته وأهمیته

قال الحافظ فی الفتح : اعلم ، علمنی الله وألک أن آثار النبی ﷺ لم تكن فی عصر أصحابه وکبار تبعهم مدونة فی الجوامع ولا مرتبة لأمرین :

أحدهما : أنهم كانوا فی ابتلاء الحلال قد نهوا عن ذلك كما ثبت فی صحیح مسلم خشيبة أن يخطئ بعض ذلك بالقرآن العظيم .

وثانيهما : لسمه حفظهم وسبلان أذهانهم ، ولأن أكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة ، ثم حدث فی أواخر عصر التابعين تدوين الآثار وتبويب الأخبار لا انتشار العلماء فی الأعمار وکثر الابتداع من الخراج والروافق ومنكرى الأقدار ، فأول من جمع ذلك الربيع ابن صبيح ، وسعيد بن أبي عروبة وغيرهما ، وكانوا يمشقون كل باب علی حدة إلى أن قام كبار أهل الطبقة الثالثة فدنوا الأحكام ، فصنف الإمام مالك الموطأ وترخى فيه القوي من حديث أهل الحجاز وبرزه بأقوال الصحابة وقفاوى التابعين ومن بعدهم ، ووصف أبو محمد عبد الملك ابن عبد البر بنزله ابن جرير بحكمة ، وأبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي بالشام ، وأبو عبد الله سفیان ابن سعيد الثوري بالكوفة ، وأبو سلمة حماد ابن سلمة ابن دينار بالبحيرة ، ثم تلاهم كثير من أهل عصرهم فی النسخ علی منوالهم إلى أن رأى بعض الأئمة منهم أن يفرد حديث النبی ﷺ خاصة ، وذلك علی رأس المائتين ، فصنف سيد الله ابن موسى العيسی الكوفي مستنًا ، ووصف مسدد بن مسرهد البصرى مستنًا ، ووصف أسد بن موسى الأموى مستنًا ، ووصف نعم بن حماد الجراحي نزيل مصر مستنًا ، ثم اتفقت الأمة بعد ذلك أنهم قتل إمام من الحفاظ إلا ووصف حديثه علی المسانيد ، كالإمام أحمد ابن حنبل وأسحق بن راهويه وعصمان بن أبي شيبه وغيرهم من النبلاء ، وكتبهم من صنف علی الأبواب وعلی المسانيد مثل كافي بكر

إنكار السنة ١٨٥

٥١ - محمد بن فضال بن غزوان ، توفي عام ١٩٥هـ ، ألف السنن ، التفسير ، الصيام ، اللداء ، حبيب الربيع . كتاب اللداء فی الظاهرية مجموع (٣٤٦) من ٤٤٧-٤٧٠ ب .

٥٢ - وكيع بن الجراح ، توفي عام ١٩٧هـ ، وألف السنن ، الزهد ، فضائل الصحابة ، كتاب

الزهد مطبوع ، وعلده بقصوده (٥٢٩) تصانيف .

٥٣ - عبد الله بن وهب ، توفي عام ١٩٧هـ ، ألف الجامع فی الحديث ، المسند ، الموطأ ، التفسير ، البيعة ، المغازي ، الردة ، تفسير غريب الموطأ ، الأهرال . توجد نسخة غير كاملة من الجامع فی الحديث ، مكتوب علی بردية قبل ٢٧٦هـ فی القاهرة ، (٩١) ورقة ، وتوجد

قطعة منه فی تشریحی (٢٤١٧) ورقة) ونشره المستشرق من قائل عام (١٩٤٢م) بالقاهرة ، وأما المسند فيوجد فی الظاهرية مجموع (٤٠) (من ١١٠٦ - ١١٧١ ب) .

٥٤ - سفیان بن عيينة ، توفي عام ١٩٨هـ ، ألف الجامع ، التفسير ، له أحاديث فی الأزهرية ، برواية زكريا الروزبي عنه . تمت بحمد الله وفضله بشرها وتحتها ، وله أيضًا أحاديث فی

شبهه علی (١/٥٤٦) (من ١٠٤٠ ب) ، والظاهرية ، مجموع (٧١/٨) أو (١١٣) (من ١٢١٣-١٢٧٠ ب) ، ومجموع (٧/٢٦) (من ١٧٥-١٨٤) ، ومجموع (٥٠) (من ١٨٤-١٨٩ ب) وغيرها .

٥٥ - يحيى بن سلام ، توفي عام ٢٠٠هـ ، وألف الجامع ، التفسير ، وعاش بالبحيرة (١) .

○○○

(١) قام الأستاذ أحمد عبد الرحمن العمريان بسبل هذه القائمة كما ذكر معتمداً علی :  
الفهرست لابن النديم ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ، وتاريخ الأدب لبروكلمان ، وتاريخ التراث المرعي لنواز سركين ، ودراسات فی الحديث النبوي للأطمني . وغيرها .  
راجع لزبد من التفصيل والإيضاح كتابه القيس : مسانيف الصحابة وتدوين السنة النبوية المشرفة [ص : ٢٣٩ : ٢٥٢] .

إنكار السنة ١٨٤

سمعت إبراهيم بن مقل النسفي يقول سمعت البخاري يقول : « ما أدخلت في كتابي الجامع إلا ما صح وتركت من الصحيح حتى لا يقول » .  
 وقال الفريري أيضًا سمعت محمد بن أبي حاتم البخاري الوراق يقول : رأيت محمد بن إسماعيل البخاري في المنام يمشي خلف النبي ﷺ والتي ﷺ يمشي ، فكما رفع النبي ﷺ قدمه وضع البخاري قدمه في ذلك الموضع ، وقال الحافظ أبو أحمد بن عدى سمعت الفريري يقول : سمعت نجم بن فضيل وكان من أهل النهج يقول ، فذكر نحو هذا المنام أنه رآه أيضًا ، وقال أبو جعفر محمود بن عمرو القفيلي لا ألف البخاري كتاب الصحيح عرضه على أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلى بن الدنبي وغيرهم فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة إلا في أربعة أحاديث ، قال القفيلي والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة (١) .

○○○

(١) هدى الساري ] ص : ٧٦٦ .

ابن أبي شيبة ، فلما رأى البخاري رضى الله عنه هذه التعانيف ورواها وانتشق رباها واستجلى مجاها ، وجدها بحسب الرضيع جامعة بين ما يدخل تحت الصحيح والتخمين والكثير منها يشمله التصنيف ، فلا يقال لثمة سمين ، فحرك هجته لجمع الحديث الصحيح الذي لا يرتاب فيه أمين ، وقوى عزمه على ذلك ما سمعه من أسناده أمير المؤمنين في الحديث واقفة إسحق بن إبراهيم الطنطاوي المعروف بابن راهويه وذلك فيما أخبرنا أبو العباس أحمد بن عمر اللؤلؤي عن الحافظ أبي الجراح اللزى أخبرنا يوسف بن يعقوب أخبرنا أبو اليمن الكندي أخبرنا أبو منصور القزاز أخبرنا الحافظ أبو بكر الخطيب أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب أخبرنا محمد بن نعيم سمعت خلف بن محمد البخاري بها يقول سمعت إبراهيم بن مقل النسفي يقول : « قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، كنا عند إسحق بن راهويه فقال : لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله ﷺ ، قال فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح » وروينا بالإسناد الثابت عن محمد بن سليمان بن فارس قال : سمعت البخاري يقول : رأيت النبي ﷺ وكانني واقف بين يديه ويدي مروحة أدب بها عنه فسألت بعض المبرزين فقال لي أنت تذب عنه الكذب ، فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح .  
 وقال الحافظ أبو ذر المهورى سمعت أبا الهيثم محمد بن مكي الكشيتهني يقول سمعت محمد بن يوسف الفريري يقول : « قال البخاري : ما كتبت في كتاب الصحيح حديثا إلا اغتمست قبل ذلك وصلت ركعتين » وقال أبو علي الفسائي : « روى عنه أنه قال خرجت الصحيح من ستائة ألف حديث » وروى الإسماعيلي عنه قال : « لم أخرج في هذا الكتاب إلا صحيحا ، وما تركت من الصحيح أكثر » قال الإسماعيلي : « لأنه لو أخرج كل صحيح عنده لجمع في الباب الواحد حديث جماعة من الصحابة ، ولذكر طريق كل واحد منهم إذا صحت فيصير كتابا كبيرا جدا ، وقال أبو أحمد بن عدى سمعت الحسن بن الحسين البزار يقول

## مراحل كتابة الحديث النبوي الشريف

قال الدكتور فؤاد سركين : ه وقد مر تفؤور كتب الحديث بالمرحل التالية :

(أ) كتابة الحديث : وقد سجلت الأحاديث في عصر الصحابة وأوائل التابعين

في كرارس صغيرة أطلق على الواحد منها اسم : صحيفة أو جزء .

(ب) تدوين الحديث : تجمعت الكتابات المنفردة في الربع الأخير من القرن

الأول ، والربع الأول من القرن الثاني الهجري .

(ج) تصنيف الحديث : وقد رُثبت الأحاديث في هذه الرحلة وفق مضمونها

في أبواب منذ سنة : ١٢٥هـ تقريباً .

ومع أواخر القرن الثاني للهجرة ظهرت إلى جانب الطريقة الأولى : طريقة أخرى

لترتيب الأحاديث وفق أسماء الصحابة في كتب المساند .

وفي القرن الثالث الهجري نُصحت الكتب المنهجية المتبكرة ، وأعدت كتب

جامعة سميت عند الباحثين الحديثين باسم : المجموعات الصحيحة<sup>(١)</sup> .

○○○

## قضية تكفير المسلمين وتخليد مرتكب الكبيرة في النار

- دعاء العسلاة .
- الطواج .
- المستزلة .
- هل يجوز التكفير بالعمية .
- أهل الكبار من المسلمين هل يظلمون في النار ؟
- المسلم الفاسق هل يجوز تكفيره ؟
- المسلم الفاسق هل يجوز تسميته منافقاً .
- بطلان قول الطواج والرد على من يكفر بالعمية .
- بطلان قول المرتدة وأن اسم الإيمان لا يسلب من الفاسق .
- موقف من خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً .
- أمه النبي ﷺ مصطفاة لا يخلد منها أحد في النار .

(١) تاريخ التراث العربي [١٢٠١/١٦] .

## دعاة على أبواب جهنم

○ عن أبي إدريس الخولاني ؛ قال : سمعت حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى

عنهما ، يقول : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن

الشر مخافة أن يدركي .

فقلت : يا رسول الله ، إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل

بعد هذا الخير شر ؟

قال : لا نعم .

فقلت : هل بعد ذلك الشر من خير ؟

قال : لا نعم وفيه ذنبي .

قلت : وما ذنبي ؟

قال : لا قوم يستنون بغير سنتي ، ويهللون بغير هلمتي ، تعرف منهم وتكره .

فقلت : بعد ذلك الخير من شر ؟

قال : لا نعم ؛ دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها .

فقلت : يا رسول الله ، صفهم لنا . قال : لا نعم ، قوم من جلدتنا ، ويتكلمون

باللسنة .

قلت : يا رسول الله ، فما ترى إن أدركني ذلك ؟

قال : لا تترك جماعة المسلمين وإمامهم .

فقلت : فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام ؟

قال : لا تفترق تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يبركك

الموت وأنت على ذلك .<sup>(١)</sup>

(١) أخرجه البخاري [٧٠٨٤] ، ومسلم [٥١/١٨٤٧] ، والنظ له .

قال ابن دارة :

ولا تكفرون أهل الصلاة وإن عمروا  
فكلهم يعضي وذو العرش يمشح  
ولا تعطفه رأى الخسوف إنهم  
مقال لمن يهواه يردى ويضح  
ولا تلك مرجحاً لهموا بدينه  
إلا إنما المرجح بالدين يمشح  
وقل إننا الإيـــــان قول زينة  
ولعل على قول النبي مصحح  
ويقضى طـــــورا بالمعاصي وآراءه  
بعضه يعنى وفي السوزن يرجح  
وقل يخرج الله العظيم بمضله  
من النار أجساداً من اللحم تضح  
على البهر في القردوس تحسى بحاله  
كحبة حمل السبل إذا جاء يطفح

من قصيدة ابن أبي دارة [٣٨/٢] : ٤٠ .

## الجهلاء الذين .. مخالفت

### الخراج والموتلة

طائفة جديدة لم يجرؤ واحد منهم على أن يفتح عن نفسه ، ولكن الغافل لأحوالهم المدير لكتاباتهم يلاحظ أنهم جميعا شرذمة المرتدين ، وطبعا أنهم بنى عن الله ، وأنهم مانعهم مناصبهم ، وقد كان أسلافهم أشد منهم قوة وبطشا .

فأين هؤلاء الأتوم من **هُوَ إِيَّامَ كَانَتِ الْوَسَاةُ** **أَلَيْ تَمَّ يَحْتَقُّ بِئْتَهَا فِي الْيَلْدِ** **وَكَمْوَدَ الْأَيِّنَ جَابِلًا الْقَسَمَتَرِ بِالْوَاةِ** **رَبُوعَتِنَ وَبِ الْأَوَاةِ** **أَلَيِّنَ لَمَلَمًا فِي الْيَلْدِ** **فَأَكْتَبُوا فِيهَا آهَلَسَاةُ** **كَصَبَتِ عَيْنَيْهِ رُبُكًا سَوِيًّا عَنَابِي** **﴿ ١٠٠ النحر ﴾** .

وأين هؤلاء من أموال قارون ودعائه الذي خسف الله به وبداره .  
وأين هم من فصاحة الوليد بن المغيرة ورفاقه ، ألا فليعلم هؤلاء ومن ينصرونهم أن الله لهم بالرصد ، وأنه سبحانه ليس يعاقل عما يعمل الظالمون ، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار .

ولا يعتبر مغترا بما قدمه فلان ، أو يقدمه فلان ، فإنهم يعطون من طرف اللسان علما وإياتا وتفصيحهم كتبهم ومفالاتهم ، سواة منهم من أسر القول ومن جهر به ، ومن هو متخف بالليل وسارب بالنهار ، لا يخفون على الله عالم الغيب والشهادة الكبير المعال .

وأضح بين يدي القارئ الكريم لحظة سريعة موجزة عن فروع الصلاة : الخراج والموتلة ؛ حتى يكون على بيته من أمره وأن الموضوع قديم جديد وإن كان في القديم هو أشرف منه في الجديد ، فكانت هناك آراء ومساجلات واجتهادات ؛ صحيح أنها تتعارض مع الحق وتفرق كلمة المسلمين ، لكنها كانت وبالها ومعروفة .

○ وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : تلا رسول الله ﷺ : **هُوَ مَوَّ الْأَيَّةِ** **أَرَى عَلَيْكَ الْكَلْبِيَّ وَيَتَبَّعُ مَكْتُبًا مَكْتُبًا الْكَلْبِيَّ وَأَتَرُ مَكْتُبِيَّ بِمَكْتُبِهَا فَتَأْتِي الْأَيَّةَ فِي** **طَلْبِي وَيَتَّبِعُ نَبِيَّيْمُونَ مَا كَتَبْتَهُ وَيَتَّبِعُونَ الْبَيْتَةَ الْبَيْتَةَ تَارِيحِيَّةً وَمَا يَسْمَعُ تَارِيحِيَّةً** **إِلَّا اللَّهُ وَالرَّسِيمُونَ فِي الْبَيْتِ يَتَوْلَوْنَ مَائِمًا يَدِي . كل من صد ريبا وما يذكر إلا أوليا**

الآن أنبي ﴿ ١٧٧٠٧ : ٢٧٠ .

قالت : قال رسول الله ﷺ : **وَ إِذَا رَأَيْتَ الدِّينَ يَجْمَعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ** **الدِّينِ سَعَى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ** <sup>(١)</sup> .

ومن هؤلاء الدعاة :  
١ - الخراج وهم قوم يمتنعون ، سمو بذلك لخروجهم عن الدين وخروجهم على خيار المسلمين .

٢ - الموتلة : وهم مخالفت الخراج .

٣ - الجهلاء الذين : وهم مخالفت الخراج والموتلة .

(١) أخرجه البخاري [٤٥٤٧] ، ومسلم [٢/٢٦٦٥] .

## المخارج

أول البديع ظهوراً في الإسلام ، وأظهرها ذمياً في السنة والآثار : بديعة الخيرية المارقة ، فإن أولهم قال للنبي ﷺ في وجهه : اقلد يا محمد ، فإنك لم تعدل ، وأمر النبي ﷺ بتعلمهم وقتالهم ، وقتالهم أصحاب النبي ﷺ مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب<sup>(١)</sup> .

فلما اتفق علي ومعاوية على التحكيم أنكرت المخارج وقالوا : لا حكم إلا لله ، وثاروا جماعة المسلمين . وأصل مذمتهم تعظيم القرآن وطلب اتباعه ، لكن خرجوا عن السنة والجماعة ، فهم لا يرون اتباع السنة التي يظنون أنها تخالف القرآن ، كالرجم ونصب السرفة وغير ذلك ، فقبلوا : فإن الرسول أعلم بما أنزل الله عليه ، والله قد أنزل عليه الكتاب والحكمة . وجزّروا على النبي أن يكون ظاناً ، فلم يفتلوا حكم النبي ولا حكم الأمة بعده ؛ بل قالوا : إن عصمان وعقبا ومن والاهما قد حكموا بغير ما أنزل الله : **هُوَ وَمَنْ أُوِّدَ بِحُكْمِ بَيْتِ آدَمَ أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴿١٤٥﴾ . فكفروا المسلمون بها وبغيره .  
والأحاديث عن النبي ﷺ مستقيمة بوصفهم وذمهم والأمر بتقاتلهم ، قال أحمد ابن حنبل : صحح الحديث في المخارج من عشرة أوجه<sup>(٢)</sup> .

(١) راجع أقوالهم وذمهم في كتاب الفرق بين الفرق البغدادي [٥٤-٨٩] . والمثل والنحل [١٢٢٢، ١٢١١] .

(٢) وما صح فيهم : ١- ذكر البخاري رحمة الله تعالى عليه في صحيحه : « وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ، يرأهم شر خلق الله » ، وقال : إنهم اعتقلوا إلى آيات نزلت في الكفار فحطروها على المؤمنين<sup>(٣)</sup> .

٢- وعن أبي بكر رضي الله تعالى عنه : أن نبي الله ﷺ مؤبرجل ساجد وهو يطلق إلى الصلاة ، فضى الصلاة ورجع عليه وهو ساجد ، فقام النبي ﷺ فقال : « من يقل = كتاب السنة الرزين والمؤمنين وقتالهم ، باب قل المخارج والمؤمنين [٢٨٦/١٤] الفتح (١) »

تكفير المسلمين ١٩٥

أما الجديد منها فإنه يعلم الإسلام أصولاً ووزعاً ، وما حادثة تدريس كتاب اليهودي و ماكسيم رودنسون و المنيون زوزا بعنوان : « محمد و الشباب المصري » وكذلك رواية : « الحبر الحفاف » وهي رواية تاجنة تدعوا إلى قتل الأخلاق والنضال عند أجيال المستقبل ، وإذا كان هذا حدث في الجامعة الأمريكية ، فما يحدث في مركز ابن خلدون دهي وأمر ، ولا يخفى على لبيب دعواته المشهورة والتي تخدم في المقام الأول الصهيونية وريبتها إسرائيل ، فمن إثارته لفتنة الطائفية المتخفية خلف عقد مؤتمر الأقليات إلى تزويج الشباب المصري بفتيات إسرائيليات ، ثم الحارة المستمرة لإقحام نفسه في إصداد مناهج التربية الدينية الإسلامية بوجاهها الثلاث الابتدائي والإعدادي والثانوي ، أما عن السفارة الإسرائيلية وأنشطتها الربية في مصر العزيرة فحدث ولا حرج .

وإذا احتج أحد وقال إن هؤلاء مسلمون وعرب ، و... و... نقول له : نعم ، ولكن الوفود الذي يتحركون به صلبى صهيونى بلا أدنى ريب<sup>(٤)</sup> .

(١) لربيد من الدراية والفهم الواقع راجع كتاب « الشبهات الثلاثون المثارة لإتكار السنة » للأستاذ الدكتور عبد العظيم الطمى .

تكفير المسلمين ١٩٤

هنا ٤٠٤ . فقام رجل ، فحسر عن يده ، فاحترط سيفه وهو يقول : يا نبي الله ، بلَى أنت واليسين بذهبية في تربتها إلى رسول الله ﷺ قسمتها رسول الله ﷺ بين أوجه فقير : الأقرع ابن حابس الخططي ، وزيد الخير الطائي ، ثم أحد بنى نهبان . قال : فغضبت قريش والأَنْصار ، فقالوا : أهدى صناديد نجد وبدعنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إني إنما فعلت ذلك لأنهم » . فبها رجل كثر الحجة ، مشرف الوجنتين ، غائر العينين ، ناتيء الجبين ، محلق الرأس ، فقال : اتق الله يا محمد ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « فمن يطع الله إن عصيته ١٢ أيامتي على عمل الأرضي ولا تأبوني ١٢ » . قال : ثم أدب الرجل ، فاستأذن رجل من القوم في قتله - يقول أنه خالده بن الوليد - فقال رسول الله ﷺ : « إن من ضيفني هذا قولاً ، يقرأون القرآن ، لا يجاوز حدجرهم ، يقتلون أهل الإسلام ويجذعون أهل الأوثان ، يرمون من الإسلام كما يرمق سهم من الزئبق ، فمن أدر كنههم ؛ لأقتلهم قبل عادي » .  
٥ - عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه ، قال : بينا نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسمًا ، أتاه ذو الحويصرة ، وهو رجل من بني تميم ، فقال : يا رسول الله ، اعدل . قال رسول الله ﷺ : « وبلك ! ومن يعدل إن لم أعدل ١٢ قد نبئت وخبرئت إن لم أعدل » .  
فقال عمر بن الخطاب ، رضي الله تعالى عنه : يا رسول الله اتلن لي فيه أضرب عنقه . قال رسول الله ﷺ : « دعه ؛ فإن له أصحابا ، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم ، يقرؤون القرآن ، لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الزئبق ، ينظر إلى فصله ؛ فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى رصافه ؛ فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى تبيبه ؛ فلا يوجد فيه شيء - وهو القيلح - ثم ينظر إلى قذذه ، فلا يوجد فيه شيء ، سبق الفرث والدم ، أتتهم رجل أسود ، [أحدى عضديه مثل ثدي المرأة - أو مثل البضعة - قذذت ، يخرجون على حين رُوقه من الناس] » .  
(١) أخرجه البخاري [٣٣٤٤] ، ومسلم [١٤٣/١٠٦٤] واللفظ له ، وأبو داود [٤٧٦٤] ، والنسائي في المجتبى [٨٧/٥] ، وأحمد في المسند [٧٣٠٦٨/٣] ، ٧٣٠٦٨ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٧ ، ١٧٧ .  
(٢) أخرجه البخاري [٣١٦٦٣] ، ومسلم [١٤٨/١٠٦٤] ، والنسائي في خصائص علي [١٧٥] ، وأحمد في المسند [٥٦/٣] .

هنا ٤٠٤ . فقام رجل ، فحسر عن يده ، فاحترط سيفه وهو يقول : يا نبي الله ، بلَى أنت واليسين بذهبية في تربتها إلى رسول الله ﷺ قسمتها رسول الله ﷺ بين أوجه فقير : الأقرع ابن حابس الخططي ، وزيد الخير الطائي ، ثم أحد بنى نهبان . قال : فغضبت قريش والأَنْصار ، فقالوا : أهدى صناديد نجد وبدعنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إني إنما فعلت ذلك لأنهم » . فبها رجل كثر الحجة ، مشرف الوجنتين ، غائر العينين ، ناتيء الجبين ، محلق الرأس ، فقال : اتق الله يا محمد ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « فمن يطع الله إن عصيته ١٢ أيامتي على عمل الأرضي ولا تأبوني ١٢ » . قال : ثم أدب الرجل ، فاستأذن رجل من القوم في قتله - يقول أنه خالده بن الوليد - فقال رسول الله ﷺ : « إن من ضيفني هذا قولاً ، يقرأون القرآن ، لا يجاوز حدجرهم ، يقتلون أهل الإسلام ويجذعون أهل الأوثان ، يرمون من الإسلام كما يرمق سهم من الزئبق ، فمن أدر كنههم ؛ لأقتلهم قبل عادي » .  
٥ - عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه ، قال : بينا نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسمًا ، أتاه ذو الحويصرة ، وهو رجل من بني تميم ، فقال : يا رسول الله ، اعدل . قال رسول الله ﷺ : « وبلك ! ومن يعدل إن لم أعدل ١٢ قد نبئت وخبرئت إن لم أعدل » .  
فقال عمر بن الخطاب ، رضي الله تعالى عنه : يا رسول الله اتلن لي فيه أضرب عنقه . قال رسول الله ﷺ : « دعه ؛ فإن له أصحابا ، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم ، يقرؤون القرآن ، لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الزئبق ، ينظر إلى فصله ؛ فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى رصافه ؛ فلا يوجد فيه شيء ، سبق الفرث والدم ، أتتهم رجل أسود ، [أحدى عضديه مثل ثدي المرأة - أو مثل البضعة - قذذت ، يخرجون على حين رُوقه من الناس] » .  
(١) رواه أحمد في المسند [٤٣٠٤٢/٥] ، وابن أبي عاصم في السنة [٩٣٨] ، وقال الألباني : إسناده صحيح .  
(٢) رواه أحمد في المسند [١٥٠/٣] قال الهيثمي في مجمع الزوائد [٢٢٨/٦] : رواه أحمد ورجاله ثقات .

٦ - وعن جابر بن عبد الله رضی اللہ تعالیٰ عنہما ؛ قال : أتى رجل رسول اللہ ﷺ بالجمرات متصرفه من حنين ، وفي ثوبه بلل قفص ، ورسول اللہ ﷺ يقض منها عطش الناس ؛ فقال : يا محمد اعدل . قال : وويلك ، ومن يعدل إذا لم أكن أعدال ؟ لقد

خيف وخيفت إن لم أكن أعدال . قال عمر بن الخطاب رضی اللہ تعالیٰ عنہ : دعني يا رسول اللہ فأقل هنا المناق . فقال : معاذ اللہ أن يتحدث الناس أني أقل أصحابي ! إن هنا وأصحابه يقرؤون القرآن ، لا يجاوز حاجرهم ، يقرؤون منه كما يقرء السهم من الزبيبة ؛<sup>(١)</sup>

٧ - وعن أبي سلمة وعطاء بن يسار : أتتهما أنيا أبا سعيد الخدري رضی اللہ تعالیٰ عنہ ، فسألاه عن الحرورية : هل سمعت رسول اللہ ﷺ يقول : يخرج في هذه الأمة - ولم يقل منها - قوم ، يخفون صلاتكم مع صلاتهم ، فيقرؤون القرآن ؛ لا يجاوز حلوقهم - أو حاجرهم - يقرؤون من الدين مروق السهم من الزبيبة ، فينظر الرامي إلى سهمه إلى

نفسه إلى رصافه ، فيساري في الفؤقة هل علق بها من الدم شيء ؛<sup>(٢)</sup> .  
٨ - عن أبي سلمة عن أبي سعيد ، رضی اللہ عنہ أنه قال : سمعت رسول اللہ ﷺ يقول : يخرج ليكم قوم ، يخفون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، وأعمالكم مع أعمالهم ، يقرؤون القرآن ، لا يجاوز حاجرهم ، يقرؤون من الدين كما يقرء السهم من الزبيبة ؛ ينظر في النصل ، فلا يرى شيئاً ، وينظر في الذبح ؛ فلا يرى شيئاً ، وينظر في

الريش ؛ فلا يرى شيئاً ، ويتبارى في الفؤق ؛<sup>(٣)</sup> .  
٩ - وعن قتادة عن أبي سعيد الخدري وأبي مالك رضی اللہ تعالیٰ عنہما ، أن النبي ﷺ قال : سيكون في أمي اختلاف وثيقة ؛ قوم يحسنون القتل ويسوزون الفعل ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يقرؤون من الدين كما يقرء السهم من الزبيبة ؛ =

(١) أخرجه مسلم [١٠٦٣] ، والنسائي في المجتبى [٨٧/٥] ، وابن ماجه [١٧٢] ، وأحمد في المسند [٥٧/٣] .  
(٢) أخرجه مسلم [١٤٧/١٠٦٤] .  
(٣) أخرجه البخاري [٥٠٥٨] ، وأحمد في المسند [٦٠/٣] .

لا يرجعون حتى يوثق السهم على فوقه ، ثم شر الحاقن والحليقة ، طويى لمن قتلهم أو ظفروا ، يدعون إلى كتاب اللہ وليسوا منه في شيء ، ممن قاتلهم ؛ كان أولى بالله منهم . قالوا : يا رسول اللہ ما سيماهم ؟ قال : و التخليق ؛<sup>(١)</sup>

١٠ - وعن عفة بن وساح ، قال : كان صاحب لي يحدثني عن عبد الله بن عمرو رضی اللہ تعالیٰ عنہما في شأن الجورج ، فوجدت ، فلقبت عبد الله بن عمرو رضی اللہ تعالیٰ عنہما ، فقلت : إنك بقية أصحاب رسول اللہ ﷺ ، وقد جعل اللہ عندك علماً ، إن نامنا يطمنون على أمرائهم ويشهدون عليهم بالضلالة ؟ قال : على أولئك لمة اللہ والللاكة والناس أجمعين ، أتى رسول اللہ ﷺ بسقاية من ذهب أو فضة ، فجعل يقسمها بين أصحابه ، فقام رجل من أهل البادية ، فقال : يا محمد ، لئن كان اللہ أمرك بالعدل ؛ فلم تعدل . فقال : وويلك ، فمن يعدل عليكم بعدى ؟<sup>(٢)</sup> . فلما أدبر قال رسول اللہ ﷺ : وإن في أمي أشباه هذا ، يقرؤون القرآن ، لا يجاوز تراقيهم ، فإن خرجوا فاقفروهم ، ثم إن خرجوا فاقفروهم ؛ قال ذلك ثلاثاً ؛<sup>(٣)</sup> .

١١ - وعن ابن عمر رضی اللہ تعالیٰ عنہما ، أن رسول اللہ ﷺ قال : وبينما نشأ يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، كلما خرج قوف ؛ قطع . قال ابن عمر رضی اللہ تعالیٰ عنہما : سمعت رسول اللہ ﷺ يقول : كلما خرج قوف قطع أكثر من عشرين مرة ؛ حتى يخرج في عراضهم الدجال ؛<sup>(٤)</sup> .

١٢ - وعن عبد الله بن مسعود رضی اللہ تعالیٰ عنہ ؛ قال : قال رسول اللہ ﷺ : يخرج قوم في آخر الزمان : سفهاء الأحلام ، أحداث - أو حدثاء - الأسنان ، يقرؤون من خير قول الناس ، يقرؤون القرآن بألستهم لا يعدو تراقيهم ، يقرؤون من الإسلام كما يقرء السهم من الزبيبة ، فمن أدركهم فليقتلهم ؛ فإن في قتلهم أجراً عظيماً عند اللہ لمن قتلهم ؛<sup>(٥)</sup> . =

(١) رواه أبو داود [٤٧٦٥] ، وأحمد في المسند [٢٢٤/٣] .  
(٢) رواه البزار [١٨٥٠-كشوف] ، وقال الهيثمي في الجمع [٢٣١/٦] : ورجاله رجال الصحيح .  
(٣) رواه ابن ماجه [١٧٤] ، وحسنه الألباني وانظر الصحيحة [١٢٥٥] .  
(٤) رواه أحمد في المسند [٤٠٤/١] ، واللفظ له ، والترمذي [٢١٨٨] وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه [١٦٦٨] ، وصححه الألباني .

لا بد أن يثبت ما نفته السنة ، وينفي ما أثبتته السنة ، ويحسن ما قبحته السنة ، أو يبيح ما حسنته السنة ، والا لم يكن بدعة ، وهذا القدر قد يقع من بعض أهل العلم خطأ في بعض المسائل ؛ لكن أهل البدع يخالفون الظاهرة الملموسة .  
والخراج جزوا على الرسول نفسه أن يجوز ويضل في سنته ، ولم يجوزوا طاعته ومتابعته ، وإنما صدقوه فيما بلغه من القرآن دون ما شرعه من السنة التي تخالف - برعهم - ظاهر القرآن .

وغالب أهل البدع غير الخوارج يأمرونهم - في الحقيقة - على هذا ، فإنهم يريدون أن الرسول ﷺ لو قال بخلاف مقاتلهم لما تبعوه ، كما يحكي عن عمرو بن عبيد في حديث الصادق المصدوق ، وإنما يدعون عن نفوسهم الحجة : إما برد النقل ، وإما بتأويل المنقول . فيطعنون تارة في الإسناد وتارة في المتن ، ولا فهم ليسوا متبعين لا موقنين بحقيقة السنة التي جاء بها الرسول ؛ بل ولا بحقيقة القرآن .  
الفرق الثاني في الخوارج وأهل البدع :

أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات . ويرتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم ، وأن دار الإسلام دار حرب ، ودارهم هي دار الإيمان . وكذلك يقول جمهور الرافضة ، وجمهور المعتزلة ، والجهمية ، وطائفة من غلاة الشيعة إلى أهل الحديث والفقهاء ومكلمتهم .

فهذا أصل البدع التي ثبت بعض سنة رسول الله ﷺ واجماع السلف أنها بدعة ، وهو جعل الفرسية وحصل السيفية كقرا .

فينبغي للمسلم أن يحذر من هذين الأصول الخبيثين ، وما يتولد عنهما من بعض المسلمين ووطنهم ولعنهم ، واستحلال دماءهم وأموالهم .

كفيرة المسلمين ٢٠١

ولهم خاصتان مشهورتان فاروقا بهما جماعة المسلمين وأنتمهم :

إحدهما : خروجهم عن السنة ، وجعلهم ما ليس بسنة سيئة ، أو ما ليس بحسنة حسنة ، وهذا هو الذي أظهروه في وجه النبي ﷺ حيث قال له ذو الطيرضة التميمي : أعدل فأنتك لم تعمل ، حتى قال له النبي ﷺ : « وويلك ! ومن يعمل إذا لم أعدل ؟ لقد جئت وخسرت إن لم أعدل » . وقوله : « فأنتك لم تعمل » ؛ جعل منه لعمل النبي ﷺ منها ترك عدل . وقوله : « أعدل » أمر له بما اعتقده هو حسنة من القسمة التي لا تصلح ، وهذا الوصف تشترك فيه البدع المخالفة للسنة ، لقائلها

١٣ - وعن سويد بن غفلة ؛ قال : قال علي رضي الله تعالى عنه : إذا حدثكم عن رسول الله ﷺ ، فلا تأخر من السماء أحب إلي من أن أقول عليه ما لم يقل ؛ وإذا حدثكم فيما بيني وبينكم ، فإن الحرب عدوة ؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول : وسخرت في آخر الزمان قوم : أئمان الأسمان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية ، يقولون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يزعمون من الدين كما يفرق السهم من الرمية ، يقولون فاقولهم ؛ فإن في قتلهم أجزاء من قتلهم عند الله يوم القيامة <sup>(١)</sup> .

١٤ - وعن عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ : أن الحرورية لا خرجت وهو مع علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ؛ قالوا : لا حكم إلا لله . قال علي رضي الله تعالى عنه : كلمة حق أريد بها باطل ؛ إن رسول الله ﷺ وصف ناسا إلى لأمر من صفتهم في هؤلاء ؛ ويقولون الحق بالسننهم ، لا يجوز هنا سنهم - وأشار إلى حلقه - من أبيهم خلق الله إياه ، منهم أسود ، إحدى يديه طين شاة أو حنطة تذى ؛ ، فلما قتلهم خلق ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، قال : انظروا . فظنوا ، فلم يجدوا شيئا . فقال : ارجعوا ، فوالله ما كذبك ولا كذبك - مرتين أو ثلاثا - ثم وجدوه في خربة ، فأثروا به حتى وضعوه بين يديه . قال عبيد الله : وأنا حاضر ذلك من أمرهم يقول علي فقوم <sup>(٢)</sup> .

(١) أخرجه البخاري [٥٠٥٧] ، ومسلم [١٠٦١/١٠٥٤] ، واللفظ له .

(٢) أخرجه مسلم [١٠٦١/١٠٥٧] ، والسنن في خصاص علي [١٧٧٧] .

كفيرة المسلمين ٢٠٠

## المستزلة

قال عبد القاهر البغدادي : كان وأصل من متاعى محسن الحسن البصرى في زمان فتنة الأزارقة (١) وكان الناس يومئذ مختلفين في أصحاح الذنوب من أئمة الإسلام على فرق فرقة تزعم أن كل مرتكب للذنوب صغير وكبير مشرك بالله ، وكان هنا قول الأزارقة من الخوارج وزعم هؤلاء أن أطفال الكثر كين مشركون ؛ ولذلك استحلوا قتل أطفال مخالفيهم وقتل نسائهم سواء كانوا من أئمة الإسلام أو من غيرهم . وكانت الصغرية من الخوارج يقولون في مرتكبي الذنوب بأنهم كفرة مشركون كما قاله الأزارقة غير أنهم خالفوا الأزارقة في الأطفال . وزعمت النجاشات من الخوارج أن صاحب الذنوب الذي أجمعت الأمة على اجتهاد أهل الفقه فيه مشرك وصاحب الذنوب الذي اختلفت الأمة فيه حكمه على اجتهاد أهل الفقه فيه وعصروا مرتكب مالا يعلم تخريبه بهالة تخريبه إلى أن تقوم الحجة عليه فيه وكانت الأباضية من الخوارج يقولون أن مرتكب ما فيه الرعيذ مع معرفته بالله عز وجل وما جاء من عنده كافر كقران نعمة وليس بكافر شرك وزعم قوم من أهل ذلك العصر أن صاحب الكبيرة من هذه الأمة منافق والنافق شر من الكافر المظهر لكفره ، وكان علماء التابعين في ذلك العصر مع أكثر الأمة يقولون إن صاحب الكبيرة من أئمة الإسلام مؤمن لا فيه من معرفته بالرسول والكذب المنزلة من الله تعالى ومعرفته بأن كل ما جاء من عند الله حق ولكنه فاسق وكبيرته ونسفته لا ينفي عنه اسم الإيمان والإسلام ؛ وعلى هذا القول الخامس مضمي سلف الأمة من الصحابة وأعلام التابعين فلما ظهرت فتنة الأزارقة بالبعثرة والأموار واختلف الناس عند ذلك في أصحاب الذنوب على الوجوه الخمسة التي ذكرناها خرج وأصل ابن عطاء عن قول جميع الفرق المتقدمة وزعم أن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر وجعل

(١) فرع من فروع الخوارج .

تكفير المسلمين ٢٠٣

وعدان الأصلاء مما عداك السنة والجماعة ، فمن خالف السنة فيما أتت به أو شرعه فهو مبتدع خارج عن السنة ، ومن كفر المسلمين بما رأه ذنباً سواء كان ديناً أو لم يكن ديناً ، وعاملهم معاملة الكفار ؛ فهو عفاك للجماعة . وعامة البدع والأموار إنما تنبأ من هذين الأصلين (١)

○○○

(١) الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية [٧: ٧١/١٧٥] و [١٣/ ٢٠٨/١٣٠] .

٢٠٢ تكفير المسلمين

شهادتهم وأجازوا الحكم بشهادة عدلين من كل فرقة من الفريقين وخرج واصل  
عن قول الفريقين وزعم أن فرقة من الفريقين فسقة لا بأعيانهم وأنه لا يعرف الفسقة  
منهما ، وأجازوا أن يكون الفسقة من الفريقين عليًا واتباعه كالخمين والمسلمين وابن  
عباس وصار بن باسر وأبي أيوب الأنصاري وسائر من كان مع علي يوم الجمل ،  
وأجاز كون الفسقة من الفريقين عائمة وطلحة والزبير وسائر أصحاب الجمل ثم  
قال في تحقيق شكته في الفريقين لو شهد علي وطلحة ، أو علي والزبير ورجل من  
أصحاب علي ورجل من أصحاب الجمل عندى علي باقة بقل لم أحكم  
بشهادتهما لعلمي بأن أحدهما فاسق لا بعينه كما لا أحكم بشهادة المتلاعنين  
لعلمي بأن أحدهما فاسق لا بعينه ولو شهد رجلان من أحد الفريقين أيهما كان  
قبلت شهادتهما ، ولقد سخطت عيون الرافضة الثاقبين بالاعتزال بشك شيخ المعتزلة  
في عدالة علي واتباعه ومقالة واصل في الجملة كما قلنا في بعض أسماؤنا :  
مقالة ما وصلت بواصل بل قطع الله به أوصالها  
الفرق بين الفرق ١٦: ١٠٠٠٠

الفسق منزلة بين منزلتي الكفر والإيمان ، فلما سمع الحسن البصري من واصل  
يدعوه مله التي يخالف بها أقوال الفرق فغله طرده عن مجلسه فاعتزل عند سارية  
من سوارى مسجد البصرة أنضم إليه قوته في الضلالة عمرو بن عبيد بن باب  
كعبه صريخة أمة فقال الناس يومئذ فيهما أئهما قد اعتزلا قول الأئمة وسمى  
اتباعهما من يومئذ معتزلة ، ثم إيهما أظهرها بدعتهما في البراة بين المنزلةين وضما  
إيهما دعوة الناس إلى قول القدرية على رأى مبد الجهنى فقال الناس يومئذ لو ااصل  
إنه مع كفره قدرى وجرى-الثل بذلك في كل كفر قدرى ثم أن واصلًا وعمرا  
والقبا الخوارج في تأييد عقاب صاحب الكبيرة في النار مع قولهما بأنه موحد وليس  
بمشرك ولا كافر .

ولهما قبل للمعتزلة إنهم مخائث الخوارج لأن الخوارج لا رأوا أهل الذنوب  
الخلود في النار سمورهم كفره وحاربههم والمعتزلة رأيت لهم الخلود في النار ولم  
تجسر على تستيهم كفره ولا جسرت على قتال أهل فرقة منهم فضلًا عن قتال  
جمهور مخالفيهم ولهما نسب إسحاق ابن سويد المدوى واصلًا وعمرو بن عبيد  
إلى الخوارج لانفاقهم على تأييد عقاب أصحاب الذنوب فقال في بعض قصائده :  
برئت من الخوارج لست منهم من المرار منهم وابن باب  
ومن فسوم إذا ذكروا عليًا يردون السلام على السحاب  
ثم أن واصلًا فارق السلف ببدعة ثالثة ؛ وذلك أنه وجد أهل عصره مختلفين في  
علي وأصحابه وفي طلحة والزبير وعائشة وسائر أصحاب الجمل فوعظت الخوارج  
أن طلحة والزبير وعائشة وأتباعهم يوم الجمل كفروا بقتالهم عليًا وأن عليًا كان  
على الحق في قتال أصحاب الجمل ، وفي قتال أصحاب معاربه يعقون إلى وقت  
التحكيم ثم كفر بالتحكيم وكان أهل السنة والجماعة يقولون بصحة إسلام  
الفريقين في حرب الجمل ، وقالوا : إن عليًا كان على الحق في قتالهم وأصحاب  
الجمل كانوا عصاة مخطئين في قتال علي ولم يكن خطوهم كثيرًا ولا فسقًا يسقط

أي أن هذه أصول الدين لا الأصول الخمسة للمعتزة وذلك أن أصولهم خمسة

يسمونها التوحيد والعمل والنزلة بين المتزلزين وانفاذ الوعيد والأمر بطلب معروف والنهي عن المنكر لكن معنى التوحيد عندهم يتضمن نفي الصفات ولها معنى ابن التورث أصحابه المرشحين وهذا إما هو إلهاد في أسماء الله وآياته ومعنى العمل عندهم يتضمن التكذيب بالقدر وهو خلق أفعال العباد وإرادة الكائنات أو القدرة على شئ وبنيهم من ينكر تقدم العلم بالكتاب لكن هنا ليس قول أنفسهم ، وأما النزلة بين المتزلزين فهي عندهم أن الناسق لا يسمى مؤمنا بوجه من الوجوه كما لا يسمى كافرا فزوره منزلة بين منزلتين وانفاذ الوعيد عندهم معناه أن فساق الامة مخلدون في النار لا يخرجون منها بشفاعه ولا غير ذلك كما قوله الخوارج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتضمن عندهم جواز الخروج على الأمة وقتالهم بالسيف .

وقول الناسم تلك الأصول للاعتزال وكم لها فرع فمنه الخ : أي أن المعتزة قالوا بخلق القرآن ونفوا صفات الله تعالى وعلوه على خلقه ونفوا رؤيته تعالى في الآخرة ونفوا القضاء والقدر والشفاعة في عصاة المرشحين وقالوا بأن الله لا يقدر على إصلاح العصاة ولا يقدر على إيمان الكفار وأرجعوا على الله رعاية الأصالح ونحو ذلك .

وقوله للقاضي هو الهمداني أي القاضي عبد الجبار بن احمد الهمداني المعتزلي شافعي الفروع معتزلي الأصول وهو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد ابن الجليل أبو الحسين الهمداني قاضي الري وأعمالها وكان شيخ المذهب وهو مع ذلك شيخ الاعتزال .

شرح قصيدة ابن القيم ٤٢٣٨:٤٢٣٧/١٧

تكفير المسلمين ٢٠٧

ذكر أصول المعتزة والرد عليها وبيان صلاتهم

قال العلامة ابن القيم في نونية .

وكذلك تقطع أنهم جازوا بعند الله بين طوائف الإنسان  
وكذلك تقطع أنهم أيضا دعوا للخمس وهي فروع الإيمان  
وكتبه وقراءة الأسمان  
هم رسله لمصالح الأكيوان  
ل الغمس للقاضي هو الهمداني  
فرع فمنه المطلق للقرآن  
لهلوه والقسوق للرحمن  
يوم القضاء كما يرى القميران  
سبق الكتاب به هما حسمان  
أهل الكبار في لظى النيران  
وروى رواية حديثها بطلان  
يقدر على إصلاح ذي العصيان  
يقدر على إيمان ذي الكفران  
بالنسخ الحال شريعة اليهان  
للأصلح الموجد في الإمكان  
سبحانك اللهم ذا السجبان

قال الشارح : أي تقطع أن الرسل دعوا الأصول الإيمان الخمسة وهي الإيمان بالله  
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . وقوله :

عدي أصول الدين حقا لا الأصو ل الغمس للقاضي هو الهمداني

تكفير المسلمين ٢٠٦





## المسلم الفاسق هل يجوز تكفيره؟

قال القاضي أبي بلي: في الفاسق الملقى هو الذي وجه منه المصطفى بالقلب وبالتقوى، لكنه ترك الطاعات غير الصلاة<sup>(١)</sup> وارتكب المكرات هل يسمى مؤمناً أم لا؟

ظاهر كلام الإمام أحمد رحمة الله تعالى عليه أنه يسمى مؤمناً ناقص الإيمان ولا يسلبه الاسم في الجملة، بل تقول مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وقد أروا إلى هذا في مواضع فقال في رواية أبي الطارث: «الإيمان قول وعمل يزيد وينقص» فوصف بالإيمان الناقص، وإنما ينقص بترك المفروضات وفعل المحظورات ولم يسلبه الاسم.

وقال أيضاً في رواية محمد بن موسى: «الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وإذا عملت الخير زاد وإذا ضيعت نقص» فلم يسلبه جملة الاسم بالضياع بل جعله ناقصاً في حقه.

وكذلك قال في رواية المروزي: «الإيمان قول وعمل، والزيادة في العمل والنقصان إذا زنا وسرق».

وقال أيضاً في رواية إسماعيل بن سعيد قول النبي ﷺ: «من غشاً فليس منا»<sup>(٢)</sup>، ومن حمل السلاح علينا فليس منا<sup>(٣)</sup>. قال على التأكيد والتشديد ولا أكثر أحداً إلا بترك الصلاة. فقد صرح بالقول أنه لا يكفر بالمصيبة خلاف الجوارح ولم يسلبه الاسم وحمل ذلك على التليظ.

- (١) استثنى هنا الصلاة لوجود الخلاف في تاركها من غير جمود.  
 (٢) جزء من حديث أخرجه مسلم [١٠١١]، وأحمد في المسند [٤١٧/٢].  
 (٣) مو طرف الحديث السابق تخريجه.

الرباع: أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكفار والصغار، بخلاف تلك الأقوال، فإن من قال: سبعة، أو سبعة عشرة، أو إلى السبعين أوجب:

مصدر دعوى.

ومن قال: ما اتفقت الشرائع على تحريمه دون ما اختلفت فيه: يقتضى أن شرب الخمر، والفرار من الزحف، والتزوج ببعض الحرام، والحرم بالرضاعة والصهوية، ونحو ذلك، ليس من الكفار، وأن الجنة من مال التيمم، والسرقه لها، والكتابة الواحدة الخفيفة، ونحو ذلك من الكفار، وهذا فاسد.  
 ومن قال: ما سد باب المهرقة بالله، أو ذهب الأموال والأبدان يقتضى أن شرب الخمر، وأكل الخنزير والبيته والدم، وقذف المحصنات ليس من الكفار، وهذا فاسد.

ومن قال: إنها سميت كفار بالنسبة إلى ما دونها، أو كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة، يقتضى أن الذنوب في نفسها لا تنقسم إلى صغار وكبار، وهذا فاسد، لأنه خلاف المصروف الدالة على تقسيم الذنوب إلى صغار وكبار.  
 ومن قال: إنها لا تعلم أصلاً، أو إنها مبهمه، وإنما أخبر عن نفسه أنه لا يعلمها، فلا يجنب أن يكون قد علمها غيره. والله أعلم.

وقوله: وإن لم يكونا تائبين، لأن التوبة لا خلاف أنها تمحو الذنوب، وإنما الخلاف في غير التائب<sup>(١)</sup>.

○○○

(١) شرح العقيدة الطحاوية [ص: ٣١٩: ٣٧٢].

وهو ظاهر كلام أبي عبد الله بن بطة في كتاب الإبانة الكبير فقال : « الإيمان يزيد وينقص وأن الأعمال الزاكية والأخلاق الفاضلة تزيد فيه وتسمى وتعلمه وأن الأعمال الخبيثة والأخلاق الدنية تسلب الإيمان من فاعلها » .  
وعندى أن كلام أحمد في هذا متأول وأن قوله : « يخلع منه الإيمان ويخرج منه الإيمان » يريد به من الإيمان الكامل لا أنه أراد به جملة الاسم بدليل ما روياه عنه من طرق مختلفة <sup>(١)</sup> .

○○○

وقال في رواية صالح : « الإيمان يتفاضل بعضه أفضل من بعض ، ويزيد وينقص ، ويؤيده في العمل » ، وتقصاته في تركه العمل ، مثل تركه الصلاة ، والركاة ، والحج وأداء الفرائض . فهنا ينقص ويزيد بالعمل .  
وقال : « إن كان قبل زيادته تام فكيف يزيد التام ؟ »

وقال في رواية ابن القاسم : « الإيمان يزيد وينقص ، إذا أتى هذه الأشياء الذي نهى عنها يكون نقص ممن لم يفعلها ويكون هذا أكثر إيماناً منه يكون الإيمان بمضه أكثر من بعض » .

وقال في رواية إسحاق بن منصور : « يعجزني أن يستثنى في الإيمان لأن الإيمان قول وعمل ، وقد جئنا بالقول ونخشى أن نكون قد فرطنا في العمل ، فقد أجاز الاستثناء وبين أن ذلك يخوف النقصان .

فهذا ظاهر كلام أحمد وأن النسق لا يسلب اسم الإيمان على الإطلاق ، وإنما يسلب كماله .

ونقل حنبل عن أحمد أنه قال : « إذا أصاب الرجل ذنباً من زنى أو سرق يخلع منه الإيمان كما يخلع الرجل قميصه ، فإذا تاب وراجع عاد إليه إيمانه » .

ونقل عنه لفظاً آخر قوله : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » <sup>(١)</sup> . قال : « يخرج من الإيمان إلى الإسلام » .

والإيمان مقصور في الإسلام ، فإذا زنى خرج من الإيمان إلى الإسلام . وظاهر هذا أنه سلبه اسم الإيمان بفعل الكبائر لأنه قال : « يخرج من الإيمان ويخلع منه الإيمان » ، فعلى هذا يكون مسلماً فاسقاً .

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري [٢٤٧٥] ، ومسلم [١٠٠/٥٧] ، وأبو داود [٤٦٨٩] ، وابن ماجه [٣٩٣٦] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .

## المسلم الفاسق هل يجوز تسميته منافقاً ؟

قال القاضي أبي يعلى : والدلالة على أن فساق أهل الصلاة لا يجب أن يوصفوا بالنافق خلافاً لما حكى عن الحسن وعمر بن عبيد :

هو أن المنافق هو الذي يستر الكفر ويظهر الإسلام ولهذا المعنى لا يسمى اليهودي والنصراني منافقاً لأنه مظهر لما يعتقده .

ولهذا لم يسم الصحابة من أتى المعاصي الظاهرة منافقاً ، فدل على أن الاسم لا يتناوله ، ولأن النفاق في اللغة مأخوذ من جحر الربوع ، لأنه يجعل له مدخلين يدخل إليه منهما كي يخفى مكانه فوصف المنافق بذلك من وجهين :

أحدهما : خروجه من الدين تشبيهاً بخروج الربوع من أحد بابي جحره .

والثاني : إبطانه لخلاف ما يظهره تشبيهاً بإخفاء الربوع أحد بابي جحره .

ثم خص بذلك أن يكون الذي يطنه كفوفاً والذي يظهره إسلامياً ، وهذا المعنى معلوم فيمن أظهر المعاصي ولأن من أحكام النفاق قطع التوارث وتحريم المناكحة ، وهذا المعنى لا يثبت فيمن ارتكب المعاصي فوجب أن لا يوصف بذلك الاسم ، ولأن المقدم على المعصية يقدم عليها مع الحروف والوجوه وعزبة التوبة والتخلص من عقابها وهذا معلوم من حال من يقدم على ذلك .

فلئن جاز أن يوصف باسم النفاق لفعل الكيثر جاز أن يوصف بذلك بفعل الصغائر ، فإن ارتكبوا ذلك لزمهم في الأبياء أن يكونوا منافقين لأنه قد وجد منهم ذلك والإقدام على ذلك يقضي إلى تقصير النبوت<sup>(١)</sup> .

(١) أهل السنة متفقون على أن الأبياء معصومون عن الكيثر ، وعن كل رذيلة فيها شبهة وتقص واختلوا في الصغائر :

قال الجمهور من أصحاب مالك وأبي حنيفة والشافعي : إنهم معصومون من الصغائر كلها كعصمتهم من الكيثر أجمعها .

واصح المخالف بقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ السَّيِّئُونَ هُمْ السَّيِّئُونَ ﴾ .

والجواب : أنه لا حجة فيها لأنها تقتضي أن المنافق فاسق ونحن لا نمنع هذا وليس فيه أن الفاسق منافق ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ [المكوت: ٤٩] . فيه دلالة على أن الجاحد فاسق وليس فيها دلالة على أن الفاسق يكون جاحداً<sup>(١)</sup> .

واصح بقوله تعالى : ﴿ وَرَبُّهُمْ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ لَكِرْثٌ لِّئَنَّا مِن قَسْبِهِ لَنَصَدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِينَ ﴾ ﴿ لَكِنَّا عَاتَيْنَهُمْ مِن قَسْبِهِمْ جَلِيلًا بِهِ وَقَوْلُوا هُمْ سُوءُفِرُونَ ﴾ ﴿ فَاتَّقِبْهُمْ يَتَّكَأ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّكَ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ ... ﴾ [التوبة] . فجمعهم منافقين بمخالفة العهد واليثاق .

والجواب : أن الله تعالى لم يصف ذلك فساقاً بل قال : ﴿ فَاتَّقِبْهُمْ يَتَّكَأ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ وما يعقب النفاق لا يجب أن يكون فساقاً لأنه لو كان كذلك لم يثبت للنفاق أول ، وعلى أن المراد بالآية من تقدم ذكره في الآية ، فلا يدل على غيره .

واصح بما روى عن النبي ﷺ رواه أحمد في كتاب الإيمان بإسناده عن عبد الله ابن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « أربع من كُرُ فيهِ كان منافقاً : إذا وعد أخلف ، وإذا حدث كذب ، وإذا خاصم فجر ، وإذا عاهد غدر »<sup>(٢)</sup> .

وقال الطبري وغيره من الفقهاء والتكلميين والمحدثين : إنهم غير معصومين عن الصغائر إلا أنهم لا يقررون على ذنب مطلقاً .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : وهذا قول أكثر أهل التفسير والحديث ، والفقهاء ، بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول .

راجع : تفسير القرطبي [٣٠٨/١] الفصل لابن حزم [٣١:٢/٤] . الفتاوى لابن تيمية [٣١٩/٤] ، شرح الفقه الأكبر [ص : ٥٢:٥٠] .

(١) مذكور في الأصل . والصوراب أن يقول : فيه دلالة على أن الجاحد ظالم وليس فيه دلالة على أن الظالم يكون جاحداً .

(٢) أخرجه البخاري [٣٤] بنقله : « أربع من كُرُ فيهِ كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا أؤتمن خان ، وإذا حدث =

## بطلان قول الجراح

والرد على من يكفر بالمعصى

قال القاضي أبى يعلى : قاللله على بطلان قول الجراح فى قولهم : ه يكون

كاذبا ه أشياء ؛ منها :

قوله سبحانه وتعالى : **هُوَ إِيَّاكَ لَا يَخْتَفِرُ** أى يَشْرَكَ بِكَ وَيَخْتَفِرُ مَا دُونَكَ لِئَلَّا

يُنشَأَ **﴿ [النساء: ١١١، ٤٨] ،** فأثبت أن غير الشرك معفور فلو كانت الكفار كثيرا لم

تكن معفورة لأنها كفر .

وأيضا قوله تعالى : **هُوَ وَكَرَّهَاتِكُمُ الْكُفْرَ وَالْعِتْسَاقَ** **﴿** ، فجعل المعاصى

ضروريا وصطف بعضها على بعض فوجب أن يكون بعضها ليس بكفر ، والا لم

يكن للصلف معنى ويكون تكرارا ، وصطف الشى على نفسه .

وقال سبحانه وتعالى : **هُوَ إِيَّاكُمْ يَخْتَفِرُونَ** **﴿** أى يَخْتَفِرُونَ عَنْكُمْ تَكْفِيرَ عَنْكُمْ

**﴿ [النساء: ٢٦] .**

وقوله تعالى : **هُوَ الَّذِينَ يَخْتَفِرُونَ كَثِيرَ آيَاتِهِ وَالْمُؤْتَجِسِينَ إِلاَّ اللَّهُ** **﴿** ، وهذا يدل

على أنه يخفى له ما دون الكفار ، وعند بعضهم هو كافر بجميع ذلك .

وأيضا فإن الله تعالى أوجب على القاذف الجلد إذا لم يأت بالشهود وأوجب رد

شهادته ورسماه فاسقا **(١)** ، ولو كان ذلك كثيرا لم يبه عن رد شهادته لأن ذلك من

الأحكام التى لا تصح إلا مع الحياة ، والكفر يمنع بقاء الحياة **(٢)** .

**(١)** إشارة لقول الله تعالى : **هُوَ الَّذِينَ يَبْرُونَ اللَّهَ مِمَّا قَالُوا بِهِمْ يُفَوِّتُ بِهِمْ أَمْرًا**

**﴿** **﴿ [النور: ٤] .**

**(٢)** لأن المؤمن إذا كفر بعد إيمانه يهل ، لا أخرجه البحارى **[٣٠١٧]** عن ابن عباس رضى الله

تعالى عنهما عن النبى **ﷺ** : **« من بدل دينة فاطمته »** .

والجواب : أنه محمول على الذى إذا حدث بما خلافة كثيرا نحو أن يخبر عن

نفسه بأنه مؤمن بالله ورسوله وليس الأمر كذلك ، فحمل على ذلك . بين صحة

هذا أنه لو حمل على ظاهره لوجب إذا حدث بما إذا كان كذبا وكان صغيرا أن

يكون منافقا ، وقد بينا أنه لا يكون بذلك منافقا لأنه لو جاز حمله على ظاهره

لوجب أن يصف اليهودى بالمنافق لأنه قد يكذب فى خبره .

وجواب آخر وهو أصبح ما ذكرنا : أنا نسجل قوله : **« كان منافقا »** على طريق

التعريض عليه والتعظيم لحاله ، كما قال النبى **ﷺ** **(١)** : **« من أتى امرأة فى دبرها**

**﴿** فقد كفر بما أنزل على قلب محمد **﴿** .

وقوله **(٢)** : **« شرك بالله تبرى من نسب وإن دق **﴿** (٣) .**

**كذب ، وإنا عامد غير ، وإذا خامس غير .** وأخرجه مسلم **[٥٨١]** ، وأحمد فى المسند

**[١٨٩٩/١]** ، وأبو داود **[٤٦٨٨]** ، والترمذى **[٢١٢٢]** عن عبد الله بن عمرو بن العاص

رضى الله تعالى عنهما .

**(١)** أخرجه أحمد فى المسند **[٤٤٧٦/٢]** ، عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه بلفظ : **« من**

**﴿** أى حائفا أو امرأة فى دبرها أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد

**ﷺ** ، وأخرجه الترمذى **[١٢٥١]** وقال : **« وإنا ممنى هنا عند أهل العلم على التلخيص ،**

**﴿** وروحه الأباى فى صحيح الترمذى **[١١٦٦]** ، وفسره اللار كغورى : **« أى التشديد**

**﴿** والتحديد . تحفة الأخرى **[٤١٩/١]** ، وحمله على أن اللار كغورى كغرى أولى لأنه

مطابق للفظ الحديث وحكم النبى **ﷺ** على فاعله بأنه كغرى لكنه لا يخرج من الله ، ويؤيد

هذا أن من الأفعال ما ووصف بأنه كغرى وليس بكغرى ناطق عن الله ، كقوله **ﷺ** : **« سباب**

**﴿** المسلم فسوق وقوله كغرى ، وقد سعى الله المتقاتلين مؤمنين فقال : **« هو كان كالميتان بين**

**﴿** الترتيبية **﴿ [المحرمات: ٢٩]** ، فظهر بهذا أن اللار بالكفر هو ما لا يخرج عن الله .

**(٢)** جزء من حديث أخرجه أحمد فى المسند **[٢١٥/١]** عن عمرو بن شبيب عن أبيه عن

جده بلفظ : **« كغرى تبرؤ من نسب وإن دق ... »** وقال الشيخ شاكر **[٢٧٠١٩]** : **« حتمن .**

وأيقنا فإنه اجماع الصحابة<sup>(١)</sup> وذلك أنهم نسبوا الكفر إلى مانع الزكاة وقتلوه وحكموا عليه بالردة<sup>(٢)</sup> ، ولم يفعلوا مثل ذلك حين ظهر منه الكياثر ، ولما كان المجمع كذا في أسروا بين المجمع .

○○○

وكذلك أمر الله تعالى من يرمى زوجته باللعان<sup>(٣)</sup> ، ولو كان ذلك كذباً لم يصح ذلك من جهات :

أحدهما : أنه كان يجب أن لا يكون رامياً لزوجته ؛ لأنها إن كانت زانية فقد بانت منه على قولهم ، وإن لم تكن كذلك فقد بانت برميها لها وذلك كفر ، وكان يجب أن يكون رامياً لأجنبية .

الثاني : ما كان يجب أن تنفق الفروة بينهما على اللعان لأن أحدهما قد كفر وارتد على قولهم ، فكان يجب أن تكون قد بانت منه وفي ذلك خروج عن الإجماع .

الثالث : أن القصد باللعان إذا لم يكن ولد إزالة الفرائض وقد زال على قولهم فلا وجه للتعبد باللعان .

وأيضاً الحديث المشهور عن النبي ﷺ رواه أبو سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون ولا يحيون ، ولكن أناس تسمهم النار يذبونهم - أو قال بخطاياهم - ؛ ليستهم إمانة حتى إذا صاروا فحماً أدن في الشفاعة فحى بهم ضبار ضبار<sup>(٤)</sup> ، فيلقون على أنهار الجنة فيقال : بأهل الجنة أقيموا عليهم فينبون نبات الجنة في حصيل السيل<sup>(٥)</sup> . »

(١) ﴿ وَالَّذِينَ يَزِينُونَ أَزْوَاجَهُمْ بِكُلِّ مَثَلٍ لَمْ تَكُنْ لَهُنَّ فَتَنَةٌ أَسِيرَةٌ أُنَاجٍ فَتَيَاتٍ وَأُولُو الْأَيْمَنِ الْعَكْبَرِيُّونَ ﴾ وَالْقِيَسَةُ أَنْ تَلْتَمِسَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكُفْرِيِّينَ ﴿ وَيَوْمَ لَا تُنْفَعُ النَّفْسُ مِنْ الْقِيَسَةِ ﴾ وَأَنَّ تَقْدِيمَ أُنَاجٍ فَتَيَاتٍ عَلَى الْكُفْرِيِّينَ وَالْقِيَسَةُ أَنْ تَقْتَسِمَ اللَّهُ مَثَلًا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ [البقرة] .

(٢) الضبار هي : الجماعات في تفرقة ، واحديها : ضبارة ، مثل صدارة وصبار ، وكل مجتمع ضبارة .

(٣) حصيل السيل : هو ما يحى به السيل من طين ورفره . فإذا اتفقت فيه حية واستقرت على شط مجرى السيل ، فإنها تبتت في بدم ورياء ، فتسبهم بها في سرعة عود أهداهم وأجاسهم بعد إحراق النار لها . . .

وقال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَيْبَتِكَ بِأَلْحِقَ بَوادٍ قَرِيبًا مِّنَ الْمَثُورِينَ  
لَكَرِهْتَهُ ﴿١٥٠﴾ يُخَيِّرُ ثَمُودُ فِي الْوَعْدِ بَيْنَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ إِنَّ الثَّوْرَ وَثَم  
يُخَيِّرُونَ ﴿١٥١﴾ وَالْأَنْعَامُ فَأَخْبِر عَنْهُمْ بِكَرَاهَةِ إِخْرَاجِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ بِالْحَقِّ وَالْجَهْلَاقِ وَهُ  
بِعِدْمَا تَبَيَّنَ مَعَ تَسْمِيَّتِهِم بِالْإِيمَانِ .

وظاهر هذه الآيات يقتضي إطلاق اسم الإيمان على الكمال ، لكن قام الدليل  
على نفي الكمال ونفي الإطلاق في الجملة .

وأيضا لو زال الاسم عنه لا صح منه فعل العبادات كما لا يصح من الكافر ،  
وفي صحة ذلك من الفاسق دليل على أنه لم يخرج من الإيمان ، ولأنه لو خرج  
بفسقه عن الإيمان لم يخرج مؤمنه ولو جب أن يفسخ نكاحه إذا لم يكن  
مدخولا بها في الحال والمدخول بها بعد انقضاء عدتها وفي الاتفاق على بطلان  
ذلك دليل على أنه لم يخرج من الإيمان .

ولأن القائل بالثبوت بين الثرتين مخالف للإجماع السابق وذلك أن الصحابة  
وغيرهم اختلفوا في الفاسق المثل هل هو مؤمن أم لا ؟ فقلت الصحابة : لا إنه  
مؤمن ببيانه فاسق بفسقه ، وقالت الجوازي : الفاسق ليس مؤمن بل هو كافر .  
فمن أحدث قولاً منك مخالف للإجماع السابق فلا حكم لقوله .  
ولأنه لو جاز أن يخرج من الإيمان بفعل كبيرة جاز أن يخرج منه بفعل صغيرة ،  
لأنها ظلم لنفسه ولأنها تتضمن الخروج عن طاعة الله .

○○○

بطلان قول المعتزلة

وأن اسم الإيمان لا يتقلب من الفاسق

قال القاضي أبو يعلى : والدلالة على أنها لا تنسبه اسم الإيمان في الجملة عدلها  
للمعتزلة في قولهم : لا يكون مؤمنا ولا كافرا ، وله منزلة بين الثرتين ، وهو  
ظاهر ما رواه حنبل عن أحمد في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَرِهُوا بِأَيْمَانِهِمْ  
يُظَاهِرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَالْأَنْعَامُ : فَأَخْبِر عَنْهُمْ بِكَرَاهَةِ إِخْرَاجِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ بِالْحَقِّ وَالْجَهْلَاقِ وَهُ  
بِعِدْمَا تَبَيَّنَ مَعَ تَسْمِيَّتِهِم بِالْإِيمَانِ .  
وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَرِهُوا بِأَيْمَانِهِمْ يَفْسُقُونَ ﴿١٥٣﴾ وَالْأَنْعَامُ : فَأَخْبِر عَنْهُمْ بِكَرَاهَةِ إِخْرَاجِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ بِالْحَقِّ وَالْجَهْلَاقِ وَهُ  
بِعِدْمَا تَبَيَّنَ مَعَ تَسْمِيَّتِهِم بِالْإِيمَانِ .  
وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَرِهُوا بِأَيْمَانِهِمْ يَفْسُقُونَ ﴿١٥٤﴾ وَالْأَنْعَامُ : فَأَخْبِر عَنْهُمْ بِكَرَاهَةِ إِخْرَاجِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ بِالْحَقِّ وَالْجَهْلَاقِ وَهُ  
بِعِدْمَا تَبَيَّنَ مَعَ تَسْمِيَّتِهِم بِالْإِيمَانِ .  
وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَرِهُوا بِأَيْمَانِهِمْ يَفْسُقُونَ ﴿١٥٥﴾ وَالْأَنْعَامُ : فَأَخْبِر عَنْهُمْ بِكَرَاهَةِ إِخْرَاجِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ بِالْحَقِّ وَالْجَهْلَاقِ وَهُ  
بِعِدْمَا تَبَيَّنَ مَعَ تَسْمِيَّتِهِم بِالْإِيمَانِ .  
وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَرِهُوا بِأَيْمَانِهِمْ يَفْسُقُونَ ﴿١٥٦﴾ وَالْأَنْعَامُ : فَأَخْبِر عَنْهُمْ بِكَرَاهَةِ إِخْرَاجِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ بِالْحَقِّ وَالْجَهْلَاقِ وَهُ  
بِعِدْمَا تَبَيَّنَ مَعَ تَسْمِيَّتِهِم بِالْإِيمَانِ .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَرِهُوا بِأَيْمَانِهِمْ يَفْسُقُونَ ﴿١٥٧﴾ وَالْأَنْعَامُ : فَأَخْبِر عَنْهُمْ بِكَرَاهَةِ إِخْرَاجِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ بِالْحَقِّ وَالْجَهْلَاقِ وَهُ  
بِعِدْمَا تَبَيَّنَ مَعَ تَسْمِيَّتِهِم بِالْإِيمَانِ .  
وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَرِهُوا بِأَيْمَانِهِمْ يَفْسُقُونَ ﴿١٥٨﴾ وَالْأَنْعَامُ : فَأَخْبِر عَنْهُمْ بِكَرَاهَةِ إِخْرَاجِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ بِالْحَقِّ وَالْجَهْلَاقِ وَهُ  
بِعِدْمَا تَبَيَّنَ مَعَ تَسْمِيَّتِهِم بِالْإِيمَانِ .  
وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَرِهُوا بِأَيْمَانِهِمْ يَفْسُقُونَ ﴿١٥٩﴾ وَالْأَنْعَامُ : فَأَخْبِر عَنْهُمْ بِكَرَاهَةِ إِخْرَاجِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ بِالْحَقِّ وَالْجَهْلَاقِ وَهُ  
بِعِدْمَا تَبَيَّنَ مَعَ تَسْمِيَّتِهِم بِالْإِيمَانِ .  
وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَرِهُوا بِأَيْمَانِهِمْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٠﴾ وَالْأَنْعَامُ : فَأَخْبِر عَنْهُمْ بِكَرَاهَةِ إِخْرَاجِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ بِالْحَقِّ وَالْجَهْلَاقِ وَهُ  
بِعِدْمَا تَبَيَّنَ مَعَ تَسْمِيَّتِهِم بِالْإِيمَانِ .

(١) أخرجه البخاري [٤٧٧٦، ٤٧٨٢] عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : لا  
يزلت هذه الآية : ﴿ هُوَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَرِهُوا بِأَيْمَانِهِمْ يَفْسُقُونَ ﴾ حتى ذلك على أصحاب  
رسول الله ﷺ وقالوا : أبنا لم يلبس إيمانه بظلم ، قال رسول الله ﷺ : وانه ليس بذلك  
الا تسرع الى قول لقمان لابنه : ﴿ إِيَّاكَ أَفْتَرِكُ أَفَلَا تُعَلِّمُهُ عَقِلًا ﴾ [القصص : ١٧٣] .  
قال ابن حجر : فإن قول فالعاصي قد يوجب ، فما هو الأمن والاعتناء الذى حصل له ؟  
فالطوبى أنه آمن من التخلف في النار مهتدي إلى طريق الجنة . والله أعلم .  
فتح الباري [١٧٤/١] .

## موقف الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً

وقال ابن القيم في كتاب طريق الهجرتين ، عند ذكره لطبقات المكافين :  
 الطبقة الحادية عشرة : أقوام خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، فعملوا حسناً  
 وكبائر ، ولقوا الله مصرين عليها غير تائبين منها لكن حسنتهم أغلب من سيئاتهم  
 فإذا وزنت بها رجحت كفة الحسنات فهؤلاء أيضاً ناجون فاتزون ، قال تعالى :  
 ﴿ وَالَّذِينَ يَوْمِئِذٍ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَوَازِينُ فَأَوْزَيْنَاهُمُ الْمَوَازِينَ ﴿١٠٠﴾ وَمَنْ خَفَّتْ  
 مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ يَوْمَ هُمْ كَانُوا بِآيَاتِنَا يَقْتُلُونَ ﴿١٠١﴾ [الأعراف] .  
 قال حذيفة وعبد الله بن مسعود وغيرهما من الصحابة يحشر الناس يوم القيامة  
 ثلاثة أصناف : فمن رجحت حسنته على سيئاته بوحدة دخل الجنة ، ومن  
 رجحت سيئاته على حسنته بوحدة دخل النار ، ومن استوت حسنته وسيئاته فهو  
 من أهل الأعراف ، وهذه الموازنة تكون بعد القصاص واستيفاء المظالمين حقوقهم  
 من حسنته فإذا بقي شيء منها وزن هو وسيئاته .

الطبقة الثانية عشرة : قوم تساوت حسنتهم وسيئاتهم فقابل أتراهما فتقاوما  
 فمنعتهم حسنتهم المساوية من دخول النار ، وسيئاتهم المساوية من دخول الجنة ،  
 فهؤلاء هم أهل الأعراف لم يفضل لأحدهم حسنة يستحق بها الرحمة من ربه ولم  
 يفضل عليه سيئة يستحق بها العذاب . وقد وصف الله سبحانه وتعالى أهل هذه  
 الطبقة في سورة الأعراف بعد أن ذكر دخول أهل النار وتلاعنهم فيها ومخاطبة  
 أتباعهم لرؤسائهم وردد عليهم ثم مناداة أهل الجنة أهل النار فقال تعالى :  
 ﴿ وَبَيْنَهُمَا جَبَابٌ وَعَظْمٌ يُأْكَلُ وَيَسْمَنُ وَلَا يَشْتَعِبُ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا لَا  
 تَلْبِكُمْ أَمْ تَدْعُونَنَا بِهِمْ وَيَكْفُرُونَ بِآيَاتِنَا أَفَتَبْطِغُونَ بِآيَاتِنَا أَنْ تَقُولُوا لَوْلَا  
 نَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغُورِ الْفَالِيِّينَ ﴿١٠٢﴾ فقله تعالى : ﴿ وَبَيْنَهُمَا جَبَابٌ ﴿١٠٣﴾ بَيْنَ أَهْلِ

الجنة والنار حجباب قبل هو السور الذي يضرب بينهم له باب : ﴿ كَالْبُرِّزِيِّ أَرْجَمَهُ  
 وَكُلُّهُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْعَاكِفِ ﴾ [الحديد : ٢٣] باطنه الذي يلي المؤمنون قبة الرحمة ،  
 وظهره الذي يلي الكفار من جهنم العذاب ، والأعراف : جمع عرف . وهو  
 المكان المرتفع ، وهو سور عال بين الجنة والتارحليه أهل الأعراف .

قال حذيفة وعبد الله بن عباس : هم قوم استوت حسنتهم وسيئاتهم فقصرت  
 بهم سيئاتهم عن الجنة ، وتجاوزت بهم حسنتهم عن النار فوقفوا هناك حتى يقضي الله  
 فيهم ما يشاء ، ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته .

الطبقة الثالثة عشرة : طبقة أهل الجنة والبليّة : تعوذ بالله وإن كانت آخرتهم إلى  
 منور وخير وهم قوم مسلمون ، خفت موازينهم ورجحت سيئاتهم ، على حسنتهم  
 فقلبتهم السيئات ، فهذه الطبقة التي اختلفت فيها أقاويل الناس ، وكثر فيها خوضهم  
 وتشتت مذهبهم ، وتشتت آراؤهم ، فطائفة كفرتهم ، وأوجب لهم الخلود في  
 النار ، وهذا مذهب أكثر الخوارج ، بل يكفرون من هو أحسن حالاً منهم وهو  
 مرتكب الكبيرة الذي لم يجب منها ولو استغفرها حسنته ، وطائفة أوجب لهم  
 الخلود في النار ولم تطلق عليهم اسم الكفر بل سموهم منافقين ، وهذا المذهب  
 ينسب إلى البكرية أتباع بكر ابن أخت عبد الواحد ، وطائفة نزلتهم منزلة بين منزلة  
 الكفار والمؤمنين ، فجعلوا أقسام الخلق ثلاثة : مؤمنين ، وكفاراً ، وقسموا لا مؤمنين  
 ولا كفاراً ، بل بينهما وأوجب لهم الخلود في النار ، وهذا هو الرأي الذي عليه  
 أهل الاعتزال وهو أحد أصولهم الخمسة التي هي قواعد مذهبهم وهي التوحيد  
 الذي مضمونه جحد صفات الخالق ونعوت كماله ، والتعطيل المحض ، والعمل  
 الذي مضمونه نفي عموم قدرة الله ، وأنه لا قدرة له على أعمال الجيرانات بل هي  
 خارجة عن ملكه وخلقه وقدرته ، وأنه يريد ما لا يكون ويكون ما لا يريد ، فإنه  
 لا يقدر أن يهدي ضللاً ولا أن يضل مهتدياً ، ولا يجعل المصلي مصلياً ، ولا اللادكر

فيفيض عليهم أهل الجنة من الماء حتى تبيت أجسادهم ثم يدخلون الجنة وهم الطيبة الذين يخرجون من النار بشفاعته الشافعين وهم الذين يأمر الله سيد الشفاة مرارا أن يخرجهم من النار بما معهم من الإيمان ، وإخبار النبي ﷺ أنهم يكونون فيها على قدر أعمالهم مع قوله تعالى : ﴿ هُوَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ و ﴿ هُوَ هَلْ يَحْزَنُونَكَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ هُوَ ثُمَّ يَنزِلُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُؤْتَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ٢٧٨١ ، وأضفاف ذلك من نصوص القرآن والسنة يدل على ما قاله أفضل الأمة وأعلمها بالله ، وكتابه ، وأحكام الدارين ، أصحاب محمد ﷺ ، والمقل والفطرة تشهد له ، وهو مقتضى حكمة البرزخ الحكيم ، الذي بهرت حكمته العقول فليس الأمر سببا خارجا عن الضبط والحكمة ، بل مربوطا بالساليب والحكم مرتب عليها أكمل ترتيب جار على نظام اقتضاه السبب ، واستدعته الحكمة ، وأرى الطريق سلكها سالك غير هذه الطريق من الطرق المقدمة أفنعت به إلى ترك بعض النصوص ولا بد فإنها تتناقض في حقه لا أصلا من الأصل ، الذي لا يلتزم عليه جميع النصوص ، فلا بد أن يرد بعضها ببعض أو يستشكلها أو يتطلب لها مستكر التاويلات ووجوه التحريفات ، كما رد الخواج والمعتزلة النصوص المتواترة ، اللدانة على خروج أهل الكليات من النار بالشفاعة ، وكذبوا بها وقالوا لا سبيل لمن دخل النار إلى الخروج منها بالشفاعة ولا غيرها ، وبما بهرتهم نصوص الشفاة ، وصرح بهم أهل السنة وأئمة الإسلام من كل قطر وجانب ورومهم بسهام الرد عليهم أجالوا بالشفاعة على زيادة الثواب فقط لا على الخروج من النار فردوا السنة المتواترة قطعا وصراروا مضمة في أقراء الأمة وصرار في فوقها فإن أمر الشفاة أظهر عند الأمة من أن يقبل شكها أو نزاعا وهو عندهم مثل الصراط والحساب ونحوهما مما يعلم إخبار الرسول ﷺ به قطعا ولكن إقائي القوم لأنهم في غاية البعد عما جاء به الرسول ﷺ إجابته عنه ليسوا من الورثة ، وأما الخواج فكذبوا الصحابة صريحا وأما المرجحة

تكفير المسلمين

ذاكرا ، ولا الطائف طائفا ، تعالى الله عن إفكهم وشركهم علوا كبيرا والمرتبة بين المرتزين التي يعضونها إيجاب القول بالنار للمسلم المبالغ في طاعة ربه الذي أتى عبده في عبادته وطاعته ومات ميمرا على كبيرة واحدة ، تعالى الله عما نسبوه إليه من ذلك وجل عن هذا الاقراء ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي مضونه الخروج على أئمة الجور بالسيف وطلع اليد من طاعتهم ومعارفة جماعة المسلمين . والأصل الخامس : النبوة مع أنهم لم يعرفوها حقها بل هضموها غاية الهضم من وجوه كثيرة ليس هنا موضعها والقصود أن مذهبهم تخليد هذه الطيبة في النار فإن لم يسموهم كفارا فواتقوا الخواج في الحكم وخالفوهم في الاسم ولها تسمى هذه المسألة من مسائل الأسماء والأحكام .

فهذه ثلاث فرق أوجبت لهذه الطائفة الخلود في النار ، وقالت المرجحة على اختلاف آرائهم لا يدري ما يفعل الله بهم ، فيجوز أن يذهب كلهم وأن يفقر عنهم كلهم ، وأن يذهب بعضهم ويفقر عن بعضهم غير أنهم لا يخلد أحد منهم في النار فيجوزوا أن يلحق بعضهم بن ترجحت حسناته على سيئاته بل يجوزوا أن يرفع عليه في الترجحة فهم مركزون عندهم إلى محض المشية لا يدري ما يفعل الله بهم بل يرجح أمرهم إلى الله وحكمه . وهذا قول كثير من المتكلمين والفقهاء والصوفية وغيرهم فهذه الأقوال التي يعرفها أكثر الناس ولا يحكي أهل الكلام غيرها وقول الصحابة والتابعين وأئمة الحديث لا يعرفونه ولا يحكونه وهو الذي ذكرناه عن ابن عباس وحذيفة وابن مسعود أن من ترجحت سيئاته بواحدة دخل النار ومولاه هم القسم الذين جاءت فيهم الأحاديث الصحيحة التابعة عن رسول الله ﷺ فإنهم يدخلون النار فيكربون فيها على مقدار أعمالهم فمنهم من تأخذ النار إلى كفيه ومنهم من تأخذ النار إلى أنصاف ساقيه ومنهم من تأخذ النار إلى ركبته ويثبون فيها على قدر أعمالهم ثم يخرجون منها فيثبون على آفهام الجنة

تكفير المسلمين

## الإجماع على أن أمة النبي ﷺ أمة مصطفاة

لا يدخل منها أحد في النار

روي عن غير واحد من السلف أن الظالم لنفسه من هذه الأمة من المصطفين  
على ما فيه من عوج وتقدير .

وقال آخرون : بل الظالم لنفسه ليس من هذه الأمة ولا من المصطفين الوراثين  
للكتاب .

والصحيح : أن الظالم لنفسه من هذه الأمة وهذا اختيار ابن جرير كما هو ظاهر الآية  
وكما جاءت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ من طرق يشد بعضها بعضاً<sup>(١)</sup> .

الأحاديث الواردة في اصطفاء الأمة :

○ عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية :  
﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا إِلَى كُتَيْبِ بْنِ أَسْلَمَةَ مِنَ عِبَادِنَا فَيُنهَاهُمْ فَأَلَّا نَقْتَصِمَهُمْ وَنَتَقَصِمَهُمْ سَائِرًا بِالْخَيْرَاتِ يَا ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ . قال : هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة ،  
وكلهم في الجنة<sup>(٢)</sup> .

ومعنى قوله : بمنزلة واحدة أي في أنهم من هذه الأمة وأنهم من أهل الجنة وإن  
كان بينهم فرق في المنازل في الجنة .

○ عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال  
الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا إِلَى كُتَيْبِ بْنِ أَسْلَمَةَ مِنَ عِبَادِنَا فَيُنهَاهُمْ فَأَلَّا نَقْتَصِمَهُمْ وَنَتَقَصِمَهُمْ سَائِرًا بِالْخَيْرَاتِ يَا ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ فاما الذين سبقوا  
فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، وأما الذين اقتصدوا فأولئك الذين

(١) تخفة الأوردى [٦٧/٩] .

(٢) رواه أحمد في المسند [٧٨/٣] ، والترمذي [٣٢٢٥] ، وصححه الألباني في صحيح  
الترمذي [٢٥٧٧] .

فإنهم يجوزون أن لا يدخل النار أحد من أهل التوحيد وهذا بخلاف المعلوم المتواتر  
من نصوص السنة بدخول بعض أهل الكفاية النار ثم خروجهم منها بالشفاعة ومع  
هذا التواتر الذي لا يمكن دفعه لا يجوز أن يقال بجواز أن لا يدخل أحد منهم النار  
بل لا بد من دخول بعضهم وذلك البعض هو الذي تحقت موازينه ورجحت سيئاته  
كما قال الصحابة ، وحكى أبو محمد بن حزم هذا إجماعاً من أهل السنة .

طريق المهرين [٣٨٠/٣٨٧] .

○ عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : إن هذه الأمة ثلاثة أثلاث يوم القيامة : ثلث يدخلون الجنة بغير حساب ، وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ، وثلث يجوزون بذنوب عظام حتى يقول الله عز وجل : ما هؤلاء ؟ وهو أعلم تبارك وتعالى ؛ فقول الملائكة هؤلاء جاؤوا بذنوب عظام إلا أنهم لم يشركوا بك شيئا فيقول الرب عز وجل : أدخلوا هؤلاء في سعة رحمتي .  
 وتلا عبد الله رضي الله تعالى عنه هذه الآية : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (١) .

○ عن عقبة بن صهبان الهنائي قال سألت عائشة رضي الله تعالى عنها عن قول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَيَنْتَهَرُ عَلَيْهِمْ لِقَابِهِمْ ﴾ الآية . فقالت لي : يا بني هؤلاء في الجنة ، أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ شهد له رسول الله ﷺ بالحياة والرزق ، وأما المقصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به ، وأما الظالم لنفسه فمات وملاك (٢) .  
 قال : فجمعت نفسها رضي الله تعالى عنها معنا ، وهذا منها رضي الله تعالى عنها من باب الهضم والتواضع ولا فهي من أكبر السابقين بالخيرات ، لأن فضلها على النساء كفضل التريد على سائر الطعام (٣) .  
 ○ وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه في قوله تبارك وتعالى : ﴿ فَيَنْتَهَرُ عَلَيْهِمْ لِقَابِهِمْ ﴾ قال : هي لأهل بدونا ، ومقتصدنا أهل حضرا ، وسابقنا أهل الجهاد (٤) .

(١) ذكره ابن كثير في التفسير [٥٥٧/٣] .  
 (٢) رواه الطيالسي [١٤٨٩] ، والحاكم [٤٦٢/٢] وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وذكره ابن كثير في التفسير [٥٥٧/٣] .  
 (٣) أخرجه البخاري [٣٢٣٠] ، ومسلم [٢٤٣١] عن أبي موسى رضي الله عنها .  
 (٤) رواه ابن حاتم في تفسير ابن كثير [٥٥٧/٣] .

يحاسبون حسابا يسيرا ، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحاسبون في طول الحشر ثم هم الذين تلاقاهم الله برحمته فهم الذين يقولون : ﴿ وَقَالُوا لَكُنْزُهُ لِلَّهِ الَّذِينَ آذَنُوا عَنْكَ لَكُونُوا رَبَّنَا لَنَقُورُ مَكْرُورًا ﴾ الآية لَكُنْزًا دَارَ النَّقْمَةِ مِنْ قِتْلِهِمْ لَا يَسْتَأْذِنُ فِيمَا فَصَبَّ وَلَا يَسْتَأْذِنُ فِيمَا لَقُورٌ ﴿ (١) .  
 ○ وعن أبي اللرداء رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :  
 ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَيَنْتَهَرُ عَلَيْهِمْ لِقَابِهِمْ ﴾ قال : فأما الظالم لنفسه فيحس حتى يصيبه الهم والحزن ثم يدخل الجنة .  
 ○ عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنها ﴿ فَيَنْتَهَرُ عَلَيْهِمْ لِقَابِهِمْ وَيَنْتَهَرُ مِنْهُمْ سَابِقًا بِالْمَعْتَرَةِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ الآية . قال : قال رسول الله ﷺ :

○ عن عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال :  
 « أمي ثلاثة أثلاث : ثلث يدخلون الجنة بغير حساب ، وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة ، وثلث يحصبون ويكشفون ثم تأتي الملائكة فيقولون وجدناهم يقولون لا إله إلا الله وحده ؛ فيقول الله تعالى : صدقوا . لا إله إلا الله أنا ، أدخلوهم الجنة بقول لا إله إلا الله وحده ، واحملوا خطاياهم على أهل التكذيب . فهي التي قال الله تعالى : ﴿ وَبَخِيلِكُمْ آتَيْنَاهُمْ وَأَتَقْنَا بِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [المكوت: ١٣] وتصديقها في التي ذكر فيها الملائكة ، قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ فجعلهم ثلاثة أفواج ، وهم أصناف كلهم ، فمنهم : ﴿ عَلَيْهِمْ لِقَابِهِمْ ﴾ فهذا الذي يكشف ويحصب ، ومنهم مقتصد وهو الذي يحاسب حسابا يسيرا ، ومنهم سابق بالخيرات فهو الذي يلج الجنة بغير حساب ولا عذاب (٢) .

(١) رواه أحمد في المسند [١٩٨/٥] ، وذكره الهيثمي في الجمع [٩٥/٧] .  
 (٢) ذكره الهيثمي في الجمع [١٦٧/١] . (٣) ذكره الهيثمي في الجمع [٩٦/٧] .

○ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه في قوله : ﴿ ثُمَّ أَرْبَابًا آلِكَيْتَ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا بَيْنَ يَدَيْكَ مِنْ جِبَارَاتٍ ﴾ قال : هم أمية محمد ﷺ ورثهم الله كل كتاب أنزل ، فظالمهم مقفور له ، ومقتصدهم يحاسب حسابًا يسيرًا ، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب<sup>(١١)</sup> .

○ وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر والبيهقي في البعث عن عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، وظالمنا مقفور له ، وكان إذا نزع بهذه الآية قال : إلا إن سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مقفور له<sup>(١٢)</sup> .

وأخرج القتيبي وابن مردويه والبيهقي من وجه آخر عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « سابقنا سابق ، ومقتصدنا ناج ، وظالمنا مقفور له » وقرأ عمر : ﴿ قَيْنَهُمْ ظَالِمًا لِنَفْسِهِ... ﴾<sup>(١٣)</sup> .

وأخرج ابن النجار عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال : « سابقنا سابق ، ومقتصدنا ناج ، وظالمنا مقفور له »<sup>(١٤)</sup> .

وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال : السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب ، والمقتصد يرحمة الله ، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعته محمد ﷺ .

وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي في البعث عن البراء بن عازب في قوله : ﴿ قَيْنَهُمْ ظَالِمًا لِنَفْسِهِ ﴾ قال : أشهد على الله أنه يدخلهم الجنة جميعا<sup>(١٥)</sup> .

- (١) ذكره ابن كثير في التفسير [٢٥٦/١] ، والسيوطي في الدر المنثور [٢٢٧/٧] .
- (٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور [٢٥٧/١] .
- (٣) ذكره القرطبي في التفسير [٣٤٦/١٤٤] .
- (٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور [٢٥٧/٧] .
- (٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور [٢٥٧/٧] .

○ وعن كعب الأجار رحمة الله تعالى عليه قال : إن الظالم لنفسه من هذه الأمة ، والمقتصد ، والسابق بالخيرات ، كلهم في الجنة ، ألم تر أن الله تعالى قال : ﴿ ثُمَّ أَرْبَابًا آلِكَيْتَ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا بَيْنَ يَدَيْكَ مِنْ جِبَارَاتٍ قَيْنَهُمْ ظَالِمًا لِنَفْسِهِ وَهُمْ مَبْنُوعُونَ وَهُمْ سَائِرٌ بِالْعَجْرَتِ يَذُنُ اللَّهُ أُمَّةً ذَلِكُمْ مَوْ أَلْفَلَسُ الْعَكْبَرِيُّ ﴾ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا ﴿ إِلَى قَوْلِهِ عَرَّوْجِل : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ ﴾ قال : هؤلاء أهل النار<sup>(١١)</sup> .

○ سأل ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كعبا عن قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَرْبَابًا آلِكَيْتَ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا بَيْنَ يَدَيْكَ مِنْ جِبَارَاتٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ يَذُنُ اللَّهُ أُمَّةً ﴾ قال : قامت مناكبتهم ورب كعب ثم أصطرا الفضل بأعمالهم<sup>(١٢)</sup> .

○ عن أبي إسحاق السبيعي في هذه الآية : ﴿ ثُمَّ أَرْبَابًا آلِكَيْتَ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا بَيْنَ يَدَيْكَ مِنْ جِبَارَاتٍ ﴾ الآية .

قال أبو إسحاق : أما ما سمعت من ذي ستين سنة فكلمهم ناج<sup>(١٣)</sup> .

○ عن محمد ابن الحنفية رضي الله تعالى عنه قال إنها أمية مرحومة ، الظالم مقفور له ، والمقتصد في الجنان عند الله ، والسابق بالخيرات في الدرجات عند الله<sup>(١٤)</sup> .

○ وقال أبو الجارود سألت محمدا بن علي يعني الباقر رضي الله تعالى عنهما عن قول الله تعالى ﴿ قَيْنَهُمْ ظَالِمًا لِنَفْسِهِ ﴾ فقال : هو الذي حطت عملا صالحا وآخر سيئا<sup>(١٥)</sup> .

- (١) رواه ابن جرير الطبري كما في تفسير ابن كثير [٥٥٧/٣] .
- (٢) رواه ابن جرير الطبري كما في تفسير ابن كثير [٥٥٧/٣] .
- (٣) رواه ابن جرير الطبري كما في تفسير ابن كثير [٥٥٧/٣] .
- (٤) رواه ابن جرير الطبري كما في تفسير ابن كثير [٥٥٧/٣] .
- (٥) رواه ابن جرير الطبري كما في تفسير ابن كثير [٥٥٧/٣] .

قال ابن جرير الطبري : واذ كان ذلك كذلك فيبين أن المصطفين من عباده هم مؤمنو أمته ، وأما الظالم لنفسه فإنه لأن يكون من أهل اللذون والمطهي التي هي دون النفاق والشرك عددي أشبه بمعنى الآية من أن يكون المنافق أو الكافر وذلك أن الله تعالى ذكره أبيع هذه الآية قوله : ﴿ جَنَّتٍ عَنْدَ يَدْتَلْوِيَّتِهَا ﴾ فهم يدخلون الجنة جميع الأصناف الثلاثة .

وإن قال قائل فإن قوله : ﴿ يَدْخُلُونَهَا ﴾ إنما عني به المقصد والسائق قبل له وما برهانك على أن ذلك كذلك من خير أو عقل فإن قال قيام الجنة أن الظالم من هذه الأمة سيدخل النار ولو لم يدخل النار من هذه الأصناف الثلاثة أحد وحب ألا يكون لأهل الإيمان وعيد .

قيل : إنه ليس في الآية خير أنهم لا يدخلون النار وإنما فيها إخبار من الله تعالى ذكره أنهم يدخلون جنات عدن وجنان أن يدخلها الظالم لنفسه بعد عقوبته والله إياه على ذنوبه التي أصابها في الدنيا وظلمه نفسه فيها بالنار أو بما شاء من عقابه ثم يدخله الجنة فيكون بمن عمه خير الله جل ثناؤه بقوله : ﴿ جَنَّتٍ عَنْدَ يَدْخُلُونَهَا ﴾<sup>(١١)</sup> .

قال العسكاني في تأويل قول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ يَحْيَاؤَاتِ ﴾ المفعول الأول لأورثنا الموصول ، والمفعول الثاني الكتاب ، وإنما قدم المفعول الثاني لقصد التشریف والتعظيم للكتاب .

والمعنى : ثم أورثنا الذين اصطفييناهم من عبادنا الكتاب وهو القرآن ، أي : فقبضنا وقدرنا بأن نورث العلماء من أممك يا محمد هذا الكتاب الذي أورثناه عليك ، ومعنى : اصطفييناهم اختيارهم واستخلاصهم ولا شك أن علماء هذه الأمة من

(١) تفسير الطبري [١٣٧/٢٢] .

وأخرج الفريابي وابن مردويه عن البراء قال : قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ يَحْيَاؤَاتِ ﴾ قال : « كلهم ناجح وهي هذه الآية »<sup>(١)</sup> .

وأخرج ابن مردويه والبيهقي عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يبعث الله الناس على ثلاثة أصناف وذلك في قول الله : ﴿ قَبِيضُهُمْ عَلَىٰ لَيْسِيهِمْ وَقَتْمُهُمْ قَتْمُهُمْ سَكَاوَاتِ الْيَحْيَاؤَاتِ ﴾ فالسائق بالخيرات يدخل الجنة بلا حساب ، والمقصد يحاسب حساباً يسيراً ، والظالم لنفسه يدخل الجنة برحمة الله<sup>(٢)</sup> .

وأخرج عبد بن حميد عن صالح أبي الخليل قال : قال كعب بن يونس أخبار بني إسرائيل : إنني دخلت في أمة فرزهم الله ثم جمهم ثم أدخلهم الجنة ثم تلا هذه الآية : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ يَحْيَاؤَاتِ ﴾ حتى بلغ : ﴿ جَنَّتٍ عَنْدَ يَدْخُلُونَهَا ﴾ قال : قال فادخلهم الله الجنة جميعاً<sup>(٣)</sup> .

وأخرج عبد بن حميد عن أبي مسلم الحرابي قال : قرأت في كتاب الله إن هذه الأمة تصنف يوم القيامة على ثلاثة أصناف :  
صنف منهم : يدخلون الجنة بغير حساب .

وصنف : يحاسبهم الله حساباً يسيراً ويدخلون الجنة .  
وصنف : يوقفون ويؤخذ منهم ما شاء الله ثم يدر كهم عفو الله ويجازوه .  
وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن الحنفية قال : أعطيت هذه الأمة ثلاثاً لم تعطها أمة كانت قبلها منهم : ظالم لنفسه مغفور له ، ومنهم مقصد في الجنان ، ومنهم سائق بالمكان الأعلى<sup>(٤)</sup> .

(١) و (٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور [٢٦١/٧] .  
(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور [٢٧٧/٧] .  
(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور [٢٨٨/٧] .

## فهرس اختريات

الصفحة

الموضوع

١٢ - ٣

مقدمة الكتاب

وفيها التحذير من الركوز إلى الدنيا ، وأن الله تعالى سائل كل ما يوم القيامة عن علمه ، وماذا عمل فيه ؟ وأمر النبي ﷺ لأنه البلاغ عنه ، ودعوته ﷺ لن يبلغ صه .

وأن الأمة لا تجتمع على ضلالة ، والتحذير من الأهواء والبدع ومخالفة أهلها وأمر شرار خلق الله تعالى .

١٧ - ٦٤

قول العراصون

١٩ كتاب الشناعة .. أو الخطا الكامل هل هو عودة لعمد الإجماع ١٤

٢٢ شهادات منكر الشناعة والرد عليها

٢٣ الشبهة الأولى في ركائزها وما لا تجرى قس من قس شيئاً في [البقرة: ٤٨] ..

٢٤ الشبهة الثانية في من قيل أن يكاف يوم لا يتبع فيه في [البقرة: ٢٥٤] ..

٢٤ الشبهة الثالثة في ليس لك من الأكبر شيئاً في [آل عمران: ١٧٨] ..

٢٦ الشبهة الرابعة في من يعمل شيئاً يميز به في [النساء: ١١٢] ..

٢٧ الشبهة الخامسة في وما هم يحترقون شيئاً في [البقرة: ٢٧] ..

٤٠ الشبهة السادسة في أئمتنا يا أولي الألبام في [الأمراف: ٣] ..

٤٠ الشبهة السابعة في وأني جديت بستم يؤمنون في [الأمراف: ١٨٥] ..

٤١ الشبهة الثامنة في أنا الذين لا يصليون ولا يصومون ولا يؤتوا زكواً ولا يؤتوا صدقة في [البقرة: ١١٠] ..

٤١ الشبهة التاسعة في الذين حتى كذبوا كذبا عظيماً في [البقرة: ١١٩] ..

٤٢ الشبهة العاشرة في كل لله الشكرمة جيداً في [البقرة: ٤٤] ..

٤٢ الشبهة الحادية عشرة في أنا نتمتعون بكنة النبيين في [البقرة: ٤٨] ..

٤٣ الشبهة الثانية عشرة في من لا يتكلم قس شيئاً في [الانعام: ١١٩] ..

٢٣٧

المصاحبة فمن يهدمهم قد شرفهم الله على سائر العباد ، وجعلهم أمة وسطا ليكونوا

شهداء على الناس ، وأكرمهم بكونهم أمة خير الأنبياء وسيد ولد آدم .

ثم قسم سبحانه هؤلاء الذين أوزعهم كتابه واصطفاهم من عباده إلى ثلاثة أقسام ،

فقال : فمنهم ظالم لنفسه قد استشكل كثير من أهل العلم معنى هذه الآية لأنه

سبحانه جعل هذا القسم الظالم لنفسه من ذلك المقسم وهو من اصطفاهم من

العباد ، فكيف يكون من اصطفاه الله ظالماً لنفسه ؟ قيل : إن التقسيم هو راجع إلى

العباد أي فمن عبادة ظالم لنفسه وهو الكافر ويكون ضمير يدخلونها عائداً إلى

المقتصد والسائق وقيل المراد بالظالم هو القصر في العمل به وهو الرجاء لأمر الله

وليس من ضرورة ورثة الكتاب مراعاته حتى رعايته لقوله في تفسيرهم

تختلف في ورثوا الكتاب ، وهذا فيه نظر لأن ظلم النفس لا يناسب الاصطفاء .

وقيل : الظالم لنفسه هو الذي عمل الصغائر وقد روى هذا القول عن عمر

وعثمان وابن مسعود وأبي البرداء وعائشة ، وهذا هو الراجح لأن عمل الصغائر

لا يتنافى الاصطفاء ، ولا يتبع من دخول صاحبه مع الذين يدخلون الجنة بحلول

فيها من أساور من ذهب .

وروجه كونه ظالماً لنفسه أنه تقصيرها من التواب بما فعل من الصغائر المنفورة له فإنه

لو عمل مكان تلك الصغائر طاعات لكان لنفسه فيها من التواب حطاً عظيماً ،

وقيل : الظالم لنفسه هو صاحب الكبائر<sup>(١)</sup> .

○○○

(١) فتح القدير [٣/٤٩٤] .

الموضوع

الصفحة

١٤٧	وجوب طاعة رسول الله ﷺ واتباع أمره .....
١٥٤	منزلة السنة من القرآن الكريم .....
١٧٠	كتابة الحديث الشريف .....
١٧٠	١ - كراهية الكتابة .....
١٧١	٢ - كتابة العام .....
١٧٩ - ١٧٤	صحائف الصحابة رضي الله تعالى عنهم .....
١٧٤	١ - ما كتب في حياة النبي ﷺ .....
١٧٤	(أ) صحيفة علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه .....
١٧٥	(ب) صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه .....
١٧٦	(ج) صحيفة عمرو بن حزم رضي الله تعالى عنه .....
١٧٧	٢ - ما كتب بعد وفاة النبي ﷺ .....
١٧٧	(أ) صحيفة جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه .....
١٧٨	(ب) صحيفة سمرة بن جندب رضي الله تعالى عنه .....
١٧٩	(ج) صحيفة أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .....
١٨٠	مرحلة تدوين السنة .....
١٨٥	صحیح الإمام البخاری والباعث علی تصنیفه وبيان منزلته وأهميته .....
١٨٨	مراحل كتابة الحديث النبوي الشريف .....
٢٣٦ - ١٨٩	قضية تكفير المسلمين وتخليد مرتكب الكبيرة في النار .....
١٩١	دعاة على أبواب جهنم .....
١٩٣	الجهلائيون .. مخائيل الخوازمي والمعتزلة .....
١٩٥	الخصراخ .....
٢٠٣	المعتزلة .....
٢٠٦	ذكر أصول المعتزلة والرد عليها وبيان ضلالهم .....
٢٠٨	هل يجوز التكفير بالمعصية ؟ .....

الصفحة

الموضوع

٤٥	الشفاعة عند أهل الكتاب .....
٤٥	١ - الشفاعة في التوراة .....
٤٦	٢ - الشفاعة في الإنجيل .....
٤٨	من إنجيل برنابا : شفاعة النبي ﷺ في فصل القضاء .....
٥٠	ومن إنجيل برنابا : شفاعة النبي ﷺ في خروج المذنبين من أمتهم من النار .....
٥٢	الشفاعة .. وحسن الظن بالله تعالى .....
٥٤	الشفاعة .. ولقائم محمود .....
٥٦	الشفاعة .. وعقلم الأرومية .....
٥٨	الشفاعة .. أنواع .....
٦٥ - ٩٢	إبيات الشفاعة والرد على المعتزلة .....
٦٧	للعلامة فخر الدين الرازي
٧٢	الشفاعة بين الإبيات والنفي .....
٧٩	أدلة المعتزلة في إنكار الشفاعة والرد عليها .....
٩٣ - ١٣٩	إبيات الشفاعة .....
٩٥	تفسير آيات الشفاعة .....
١١٤	نقضية الشيخ محمد متولى الشعراوي الشفاعة بإذن من سبحانه .....
١٢٧	الشفاعة .. والنفس المجازية والجزى عنها .....
١٣٢	الشفاعة الحسنة .....
١٤١ - ١٨٨	لا أحد يشفع عنده إلا من إذنه .....
١٤٣	إنكار السنة .....
	جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم .....